
Oh My God!!!
يوميات الجنود الأمريكان
في بلاد الرافدين
اعترافات . قصائد . رسائل . مدونات
ترجمة
بثينة الناصري
مركز الحضارة العربية

Oh, My God!!

يوميات الجنود الأمريكان

في بلاد الرافدين



- مركـز الحضـارة العربيـة مؤسسـة ثقافيـة مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيـد الانتمـاء والـوعى القـومى العربـى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلـع مركز الحضـارة العربيـة إلى التعـاون والتبـادل الثقـافى والعلمـى مـع مختلـف المؤسسـات الثقافيـة والعلميـة ومراكـز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الـواردة بالإصدارات تعـبر عـن آراء كاتبيهـا، ولا تعـبر بالضـرورة عـن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

◆ ◆ ◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

إعداد وترجمة

بثينة الناصري

Oh, My god!!!

يوميات الجنود الأمريكان في بلاد الرافدين

اعترافات – قصائد – رسائل – مدونات



الكتاب: يوميات الجنود الأمريكان
في بلاد الرافدين

المترجم: بثينة الناصري
(العراق)

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:
وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٠٩٢٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-909-5

الناصرى، بثينة.
Oh my god يوميات الجنود الأمريكان فى بلاد الرافدين: اعترافات – قصائد – رسائل – مدونات/اعداد وترجمة بثينة الناصرى. – ط١. القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.
٢٤٠ص؛ ٢٠سم.
تدمك: ٥-٩٠٩-٢٩١-٩٧٧
١- العراق – تاريخ – العصر الحديث – حرب قوات التحالف وسقوط صدام حسين.
أ- الناصرى، بثينة (مترجم).
ب- العنوان ٩٥٦,٧٠٩

مقدمة

للإجابة على سؤال بديهي: لماذا هذا الكتاب؟ تقفز إلى الذهن كليشيه "اعرف عدوك"، ولكن ليست هذه هي الإجابة التي تحضرني الآن.

يبحث الأمريكان دائمًا عن أفضل السبل لتسويق جنودهم على أنهم رسل الخير والمحبة بين البشر. وكما يرتبط اسم كوكاكولا في الأذهان بالانتعاش، وسيارات فولفو بالأمان، يبحثون عن وسائل تجعل صورة الجندي الأمريكي ترتبط بالحماية والحنان. بالضبط مثل أن تضع قناع جدتك على وجه ذئب قاتل، أو وجه طفل بريء على جذع فرانكشتاين.

ولكن سبق السيف العذل ولم تعد أشد الأصباغ ثباتًا، قادرة على تحويل الفظاعة والفظاظة إلى وداعة. فقد رسم الأمريكان لأنفسهم – عبر أفلامهم وأساطيرهم وألعابهم الكومبيوترية – صورة العضلات المنفوخة لأبطال أقرب إلى الآلات منهم إلى البشر مدججين بالأسلحة الفتاكة ولا يترددون في التدمير الساحق الماحق للعدو، وأفضل نموذج هو "المدمر" في أفلام شوارتزنجر والذي بلغ من إعجاب الشعب الأمريكي به حد انتخابه حاكمًا يمثلهم في كاليفورنيا بلاد هوليوود والخيال.

وفي العراق منذ ٢٠٠٣ أطلق العدو الأمريكي على عشرات من عملياته الحربية أسماء تتراوح بين أسماء الزواحف الكريهة مثل العقرب والأفعى، أو أسماء الحيوانات والطيور الكاسرة مثل النمر والنسر، أو أسماء المخلوقات الأسطورية مثل التنين والشبح، أو

أسماء أدوات القتل مثل المطرقة والفأس والشاكوش والسيف والرصاصة، أو أسماء الظواهر الطبيعية ذات التدمير الهائل مثل الطوفان والإعصار والرعد والبرق والحريق، أو أسماء طرق القتل مثل ضربة الشيطان والخنقة والقبضة واللدغة. وأخيرًا أوصاف القتلة: القاتل والسفاح والمدمر.. بالضبط مثل شخصياتهم الخارقة في أفلامهم الهوليوودية التي لا تحسن سوى القتل والتدمير.

لا ندهش إذا علمنا أن هذه الحالة ترتبط ارتباطًا مباشرًا مع العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة التي تغيرت على عهد بوش من العقيدة التي تسبغ صورة التحضر والإنسانية على الجندي الأمريكي، إلى صورة المقاتل الشرس المتوحش المتمثلة بهذا القسم الذي يؤديه العسكري الأمريكي قبل زجه في الحروب العبثية في أنحاء العالم:

(أنا جندي أمريكي

أنا محارب وعضو في فريق وأخدم شعب الولايات المتحدة وأعيش قيم الجيش.

سوف أضع دائمًا المهمة فوق الجميع.

لن أقبل الهزيمة مطلقًا.

ولن أهرب

ولن أترك رفيقًا سقط

أنا منضبط وقوي بدنيًا وعقليًا ومدرب ومحترف في مهامي القتالية والتدريب. وأحافظ دائمًا على سلاحي ومعداتي ونفسي.

أنا خبير وأنا محترف. ومستعد للانتشار والاشتباك وتدمير عدو الولايات المتحدة في المعارك. أنا حارس الحرية والطريقة الأمريكية للحياة.

أنا جندي أمريكي) - (انظر مقالة روبرت فيسك في الفصل الأخير من هذا الكتاب).

وفي الواقع هذه هي العقيدة العسكرية الأمريكية: التدمير المفرط والانتقام البشع وصنع أمثولة لتخويف الآخرين لئلا يفكروا في الوقوف بوجه العنجهية الأمريكية، باستخدام أحدث ابتكارات التكنولوجيا من أسلحة متفوقة. "وضع المهمة فوق الجميع" "عدم قبول الهزيمة" الاستعداد لتدمير العدو" "حارس للطريقة الأمريكية للحياة". أحسب أن بوش ورجاله اختاروا تغيير قسم الجندي إلى هذه الصيغة من أجل استخدام القوات في حروب استعمارية مستمرة لأهداف غامضة ملفقة. ولكن مشكلة الجندي الأمريكي هي المفارقة التي يعيشها حين يكون "العدو" شعبًا أعزل يعيش في قرى ومدن وقصبات على بعد آلاف الأميال عن الشواطئ الأمريكية، ودون أن يكون لهذا الشعب عداوة مع الشعب الأمريكي. كما أنه يحارب جماعات من هذا الشعب لا يرتدون حتى زيًا خاصًا فهم ليسوا جيشًا نظاميًا وإنما رجال يدافعون عن أرضهم، وهم بهذه الصفات لا يمكن أن تزعم – حسب القسم – أنك استطعت "تدمير العدو" لأنك تقتل واحدًا ينبع لك عشرة. ولا يمكن أن تزعم النصر، فهذا ليس جيشًا نظاميًا سيرفع راية بيضاء ويدخل معك في مفاوضات هدنة بين منتصر ومهزوم. إنك تقاتل جيش أشباح، لا تختلف هيئاتهم عن الناس الذين تراهم في الصباح، سمر الوجوه، ربما يبتسمون في وجهك، ويمضون في سبيلهم. وفي الليل لا تعرف من أين تأتي الضربات.

هذا هو المأزق الذي يعيشه رامبو في العراق. ولهذا تكون يوميات الجنود وأفكارهم وخواطرهم واعترافاتهم، ورسائلهم ومدوناتهم، نافذة تطل على أرواحهم الضائعة في بلاد الرافدين وتكسر الأسطورة.

بثينة الناصري

القاهرة – ١٤ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٨

باختصار

(كل ما أستطيع قوله هو أني مازلت هنا ولكن بعض الأصدقاء الذين كانوا معي لم يعودوا معي. يوم الخميس كان يومًا صعبًا وكل يوم بعده كان صعبًا أيضًا. الصلاة هي كل ما نحتاجه جميعًا هنا).

أحد المارينز في معسكر الفلوجة

في يومياته على موقعه livejournal

رحلة الأهوال على الطريق السريع

جاروب والش *Jarob Walsh*

٢٠٠٤/٥/١٧

المصدر: www.intellectual conservative.com

يروي هذه القصة جندي أمريكي هو جاروب والش خدم في العراق وكان قدره أن يكلف مع آخرين بحراسة ٢١ شاحنة تنقل وقوداً من القاعدة العسكرية في مدينة (بلد) إلى (مطار بغداد) حيث رأى الموت بعينيه وجرح عدة مرات في هجوم كاسح للمقاومة يوم ٢٠٠٤/٤/٩ حيث لم ينج من الشاحنات غير ثلاث.

تعمل فرقتنا في مجال نقل الوقود. إننا فرقة النقل ٧٢٤ الاحتياطية في الجيش. ولكن في العراق عندنا مقاولون مدنيون هم شركة كيلوغ وبراون وروت(*). وتقوم هذه الشركة بكل عمليات نقل الوقود. وهكذا أصبحنا نحن أساساً القوة الحامية لقوافلهم.

الجمعة ٩ أبريل/ نيسان، حوالي الساعة ٧ صباحًا، بدأت فرقتي في الاستعداد لمرافقة قافلة وقود من معسكر إل إس إيه أناكوندا LSA Anaconda في مدينة (بلد) إلى مطار بغداد الدولي. كانت مهمتنا حراسة ٢١ شاحنة وقود مدنية، وكان عددنا ٢٦ في كل المجموعة وكنت في الشاحنة الواحدة والعشرين مع مدني، وكنت في مقعد الراكب. لم أركب مع مدني في قافلة من قبل. إن

(*) فرع من شركة هاليبرتون التي فازت بمعظم العقود العراقية.

المدنيين الأمريكان ليسوا مقاتلين ولهذا لا يحملون أسلحة(**)، وهكذا كنت الوحيد الذي أحمل سلاحًا. لقد جعلني ذلك الوضع متوترًا لأن هذا يعني أنه ليس هناك أحد يسند ظهري إذا هوجمنا.

خرجنا من أبواب أناكوندا في العراق حوالي الساعة ١٠ صباحًا، وكانت القافلة تسير على ما يرام وكان تقريبًا يومًا عاديًّا في العراق. كانت هناك سيارات ذاهبة وآتية في الطريق السريع ذي الأربع حارات، وكان هناك أناس يتحركون في كل المدن. كان يومًا طبيعيًّا. بعد حوالي ساعة ونصف من الرحلة، لاحظنا تناقص السيارات والناس. ثم فوجئت بصوت قائدي اللفتنانت – الذي كان في الشاحنة التي في المقدمة – يأتي على الراديو وهو يقول: "إنهم يطلقون علينا الرصاص – الكل يستعد" ولم تمض دقيقة حتى جاء صوت آخر في الراديو وهو يقول: "انفجرت الآن شاحنة اللفتنانت ولا أعرف أين أذهب أو ماذا أعمل" نظرت إلى السائق وقلت " أوه. (خر..) الأمر سيئ " وما أن أنهيت كلامي حتى انفجرت الشاحنة التي كانت أمامنا مباشرة.

كان شيئًا لم أر مثله في حياتي، كنا في وسط بغداد على طريق سريع رئيسي ونحن تحت الهجوم. كانت هناك مبان حولنا والناس في المباني يطلقون النار علينا. نظرت إلى يساري ورأيت تسع سيارات تمشي في ثلاثة صفوف وفيها ركاب ونساء وأطفال. كنت أظن أن الراكبين فيها يتفرجون علينا ونحن نصاب ولكني رأيت رجالا يطلقون النار علينا من خلف السيارات.. ثم بدأت الإطلاقات علينا من أسلحة خفيفة وكانت أصوات الطلقات مثل كرات جولف تصطدم بالمعدن. وبدأت أرد على النار ولكني لم

(**) من الصعب تصديق أن هناك مدنيًّا أجنبيًّا لا يحمل سلاحًا في هذه الظروف الخطرة، ولعله يقصد أن سلاحهم خفيف أو أنهم غير مدربين على القتال مثله، أو أنها محاول دعائية منه ليقول إن المدنيين الأجانب عزل وليسوا مقاتلين.

أستطع إصابة المهاجمين، بل أصابت طلقاتي النساء والأطفال الذين بدءوا يتساقطون. واستمر المهاجمون في إطلاق النار.

كانت أول مرة أقتل فيها أحدًا ولهذا كنت مهزوزًا. وكنا نسير بسرعة ٤٥ ميلا في الساعة وكانت هذه أقصى سرعة ممكنة. بعد أن تجاوزنا النساء والسيارات وصلنا إلى معبر كان مزدحمًا بالناس وهم يحملون أغطية سوداء عليها كتابات باللغة العربية. وكانوا يطلقون علينا النار من الجسر ويحاولون أن يسقطوا الأغطية على زجاج الشاحنات الأمامي. ولم أستطع أن أرد على النار بسبب وضع جلوسي في الشاحنة. أمرت السائق أن يخفض رأسه ولا يظهر منه سوى عينيه لرؤية طريقه. ولو كان قد أصيب فلن تكون هناك وسيلة للخروج من الطريق السريع. وكان أمامنا ٨ أميال للوصول إلى غايتنا.

لم يستطع الناس على الجسر استهداف شاحنتنا بالأغطية السوداء ولكنهم أصابوا بالرصاص القمرة والتانكر. وكان البنزين يندفع من الشاحنة ويتدفق على الطريق السريع. أمرت السائق أن يحاول أن يسرع لأنه لو التهب البنزين قل علينا السلام.

ووجدنا أنفسنا خلف شاحنة ماثيو موبين وهو جندي زميل كان يركب مع مدني أيضًا ولكن حالما كنا خلفه حتى تفجرت شاحنته، وتمايلت الشاحنة على الطريق السريع ثم خرجت عنه وهوت إلى منخفض بين مجموعة مبان. كانت مثل كرة كبيرة ملتهبة. فيما بعد شوهد مات (تصغير ماثيو) على قناة الجزيرة كرهينة، ويعتقد أنه مازال كذلك(*)، بعد أن انفجرت شاحنته أمامنا واصلنا السير ورأينا شاحنة أخرى منقلبة على جانبها في حفرة إلى يسارنا – كانت إحدى شاحناتنا - وكان على جانبي الطريق شاحنات مدنية عراقية يستخدمها العراقيون كأفخاخ طريق.. ما أن تصل إليها حتى يفجروها عن بعد.

(*) وجدت رفات ماثيو موبين هذا العام ٢٠٠٨ ونقل إلى الولايات المتحدة – المترجمة.

وخلف الشاحنة العسكرية على اليمين رأيت رجلا ممددًا على بطنه يرفع رأسه ويخفضه للنظر إلينا. ظل يرفع رأسه، ثبت سلاحي على المرآة الجانبية لشاحنتنا وبدأت أصوب نحو رأسه وكنت على وشك أن أصيبه في الرأس أو الظهر وكل ما كنت أفكر فيه عندذاك: "أنه أحد المهاجمين وسوف يفجر كلا الشاحنتين ونحن نمر به". ورأيته يرفع يده اليسرى بشيء أبيض لم أتبينه ولكن قلبي كان يضرب في ضلوعي وكنت على يقين من أنه يرفع مفجرًا على بعد، ولكني استمررت في التحديق به ولم أصوب نحوه وكلما اقتربنا أكثر وأكثر تبين لي أنه مدني أمريكي يرفع بيده بطاقة هويته يلوح بها لنعرف أنه منا. عندما كنت في المستشفى فيما بعد رأيت نفس الشخص في الأخبار. كان توماس هاميل الذي استطاع الفرار بعد ذلك من خاطفيه. ولكننا كنا نسير بسرعة فائقة لا تمكننا من فعل شيء فلم نتوقف ونساعده لأننا كنا هدفًا لإطلاقات وتفجيرات في كل مكان. ولكن في ذلك الوقت لم أكن متأكدًا من أننا فعلنا الشيء الصحيح بتركه دون مساعدة ولم أكن متأكدًا تمامًا أنه واحد منا حقًا.

ما أن تجاوزناه حتى رأيت في المرآة الخلفية الشاحنة التي وراءنا تنفجر ثم تنقلب عدة مرات على الطريق. لم أر شيئًا شبيهًا بذلك طوال حياتي. لقد هزني هذا المنظر فعلا. كان شيئًا مثل الأفلام. ولكننا استمررنا في الانطلاق ومررنا بخمس أو ست شاحنات عراقية مفجرة والنيران تلتهب فيها. كان هناك دخان أسود يغطي كل شيء. مررنا من خلاله ونحن ندعو ألا تصيبنا أية شرارة من النار. لم نكن نستطيع رؤية شيء. ونحن نجتاز النار كان الجو ساخنًا جدًّا والدخان الأسود الكثيف يبتلع كل شيء حتى أني لم أستطع أن أتنفس.

أخيرًا رأينا النور وخرجنا من النار. كانت تجربة مرعبة. كانت

هنـاك شـاحنة أخـرى أمامنـا تسير ببطء شـديد حـوالي ٢٠ ميلا فـي السـاعة، وكانـت المقطـورة تلتهب بالنـار. قررنـا أن نسـاعدهم وأبطأنـا حتى حاذيناهم. صرخت بالسائق أن يتوقف لنأخذهم معنا. كـان هنـاك مـدنيان. أبطـأوا وتوقفنـا أمـامهم بمسـافة قليلـة. ولكـن لسـوء الحـظ انفجـرت شـاحنتهم فـي تلـك اللحظـة وقـذفت بشـاحنتنا إلى جانـب الطريق، ولكـن السـائق استطاع السيطرة عليهـا. وهكـذا استمررنا فـي المسير نحـو غايتنـا. ولم نكـن نعلم أين يقـع المطـار ولكننـا كنـا نحـاول أن نصـل إلى هنـاك. كـان هنـاك شـاحنات صـغيرة فـي كـل مكان، مفجرة والنار تشتعل فيهـا. كـان شيئًا رهيبًـا لا يسـتطيع المرء أن يبالغ فيما يحدث وفي وصفه. كان أفظع ما يمكن تخيله: أجسـاد في كل مكـان وشاحنات تحترق وتتفجر وإطلاق نار كثيف.

أخيرًا، رأينـا المعبر الـذي نحتـاج أن نصـل إليـه. فـي هـذا الوقـت كـان كـل ما بقي من القافلة هو ثلاث شـاحنات إلى جانب شـاحنتنا. كانـت واحـدة تتقـدم نحـو المعبر واثنتـان خلفنـا. كانـت التـي خلفنـا تبعد عنا بحوالي ميل أو ميلين وكانـت هنـاك مركبـة همـر خلفهـا. تقـدمنا نحـو المعبر ولكـن عنـدما اسـتدرنا إلى اليسـار للتوجـه نحـو المطـار بـدأ سـائقنا يصـرخ. انحنيت إلى الأمـام ونظـرت مـن نافذتـه. كان هناك خط دخان ينطلق نحو شاحنتنا. كان آر بي جي.

كـان الشـيء التـالي الـذي أذكـره هـو انقـلاب شـاحنتنا علـى جانبهـا الأيمـن، جانـب الراكـب الـذي أجلـس فيـه. كنـت رابطًـا الحزام فلم أستطع التحرك ولكن السائق لم يكـن كذلك وسقط فوقي وهو يرفس ويصرخ ويحاول الخروج من الشاحنة، كان فـوقي تمامًا وبدأت أضرب الزجاج الأمامي بمؤخرة سلاحي حتى كسـرته فخرج منه السـائق واستدار إلـيّ وبدأ يسحب خوذتي. كـان يحـاول إخراجي من الشاحنة من خوذتي، ولكـن ركبتي كانـت محشـورة بـين المقعـد ولوحـة القيـاس فـي مقدمـة الشـاحنة وكـان حزامـي

يقيدني. استمر السائق في جذب خوذتي بقوة مؤلمة وقلت له أولا أن يتركني ويتخذ ستارًا من النيران التي مازالت تطلق علينا ولكن فيما بعد وهو مازال يجذبني وصلت إلى مرحلة لا أستطيع معها التنفس. كنت أشعر كأن رأسي سينفجر لشدة جذبه. أخيرًا فككت قيد خوذتي وتخلصت منه، ثم صرخت به أن يركب الشاحنة مرة أخرى ويخفض رأسه ولكنه لم يكن يستمع إليّ وبدلا من ذلك جاء إليّ مرة أخرى. فككت حزام الأمان وسحبت ركبتي من خلف لوحة القياس فسقطت على ظهري وخرجت ساقاي من النافذة. وهنا بدأ السائق يسحبني من كاحلي. واستمررت في الصراخ به أن يتركني ويستتر ولكنه لم يستمع. أخيرًا رفسته في صدره بقدمي اليسرى ويوجهه بقدمي اليمنى، فسقط على ظهره وقبل أن يلمس الأرض كان الدم يغطي وجهه. تصورت أنه أصيب بإطلاقة. وفكرت حينها: "يا للجحيم. لقد مات وبقيت وحدي" ولكنه سقط على مؤخرته وظل جالسًا هناك. قلت في نفسي: "هذا غريب أنه لم يمت." وكنت على يقين من أنه أصيب بإطلاقة في وجهه. ولكنه في تلك اللحظة فتح عينيه على سعتهما وهو يقول: "أوه يا إلهي. إنك مصاب. سأموت. سأموت" نظرت إلى جسدي ولم أر أي ثقوب رصاص. ولم تكن لدي فكرة عما يقوله. ثم نظرت إليه وقلت: "تمدد ولا تنهض" من أجل سلامته.

ثم وقفت لأخرج من الشاحنة. كانت قدمي اليمنى تؤلمني بشدة حتى تصورت أنها قد كسرت. نظرت إليها ورأيت الدم يغطي قدمي. ثم أدركت أن الدم الذي كان على وجه السائق كان دمي عندما كنت أرفسه أصبت بإطلاقة. واكتشفت فيما بعد أن اثنين من أصابع قدمي قد سحقا. وعندما نظرت إلى الجرح عرفت مقدار الألم الذي يسببه لي، ولكن الأدرينالين كان عاليًا في جسدي بحيث كنت ما أزال أستطيع الوقوف. نظرت إلى مؤخرة الشاحنة

لأرى إن كانت تشتعل. كان هناك ثقب في مقطورة الشاحنة مساحته ٦ أقدام وكان الوقود ينسكب في كل اتجاه ورأيت نارًا صغيرة تتقد داخل المقطورة وفي العجلات.

التفت ونظرت باتجاه مقدمة الشاحنة ولكن قبل أن أدير رأسي ضربني شيء في صدري، كانت الضربة من الشدة بحيث سقطت على ظهري في الشاحنة. وأنا ممدد هناك نظرت إلى صدري فرأيت رصاصة مدفونة في سترتي الواقية ضد الرصاص وهي تدخن. كانت الرائحة فظيعة. جذبت الرصاصة واحترقت أصابعي. نهضت وخرجت مرة أخرى من الشاحنة، نظرت أمامي على مسافة على الجسر فرأيت طفلين على بعد مائة إلى مائة وخمسين مترًا مني. كان الاثنان يحملان كلاشينكوف. أحدهم كان في سن العاشرة والآخر في حوالي السابعة، وكان هذا الأخير يحمل السلاح مقلوبًا من مخزن الرشاش وكان الآخر الذي في العاشرة يطلق ثلاث جولات في المرة الواحدة عليّ.

أصابت أول جولة الزجاج على جانب مقعد السائق قريبًا من رأسي. التفت لألتقط سلاحي وعند ذاك أطلق مرتين عليّ في ظهري. دخلت الإطلاقات من ظهري إلى قمرة الشاحنة(*).

جن جنوني وهو مازال يطلق النار عليّ. أمسكت سلاحي وقفزت خارجًا وأطلقت طلقتين فوق رأسيهما. لم أكن أريد أن أقتلهما، فهما طفلان. بعد أن أطلقت النار فوق رأسيهما استدارا وركضا هاربين. ثم سقطت على الأرض لم أكن أستطيع التنفس أو الحركة. لقد أصبت أربع مرات. نظرت إلى حيث سقط سائقي. لم أجده. نظرت إلى الخلف فرأيته يركض وراء الشاحنة في الاتجاه المعاكس لما يفترض أن يكون طريقنا. ولم أستطع إيقافه. كان يركض كالمجنون. إذن لم

(*) تفسير نهوضه رغم إصابته الخطيرة التي ذكرها هو أنها لم تكن بالخطورة التي تعيقه بسبب ارتدائه سترة الوقاية من الرصاص التي ذكرها أكثر من مرة.

يبق سواي ساقطًا على ركبتي، ولم أكن أستطيع التنفس أو الحركة وكان رأسي يدق بشدة. عرفت أن النهاية اقتربت. لم يكن من الممكن أن أخرج من هنا حيًّا. إما الموت أو الأسر.

ومع ذلك لم أستسلم، نهضت وأمسكت بسلاحي وسرت إلى سور الجسر لأنظر إلى الطريق السريع. كانت كل شاحناتنا تحترق. كان الطريق مغطى بمركباتنا وقتلانا المدنيين، وكانت النار والدخان الأسود في كل مكان. كان مشهدًا رهيبًا. آخر ما أتذكره أنه كانت هناك مركبتان إلى يسار الطريق ولكني لم أرهما ولهذا توقعت أن يكونا أصيبتا أيضًا. وفيما كنت هناك أنظر إلى الدمار أصابت السور الذي أقف عنده حوالي عشرين إلى ثلاثين إطلاقة. تمددت على الأرض وبدأت أزحف باتجاه نهاية الجسر حيث طريق المطار والرصاص يتبعني.

ثم اكتشفت أني أتجه الاتجاه الخاطئ فليس هذا طريق المطار وإنما هو طريق يؤدي إلى وسط المدينة (بغداد). وهناك قد أصاب مرة أخرى وربما لن أنجو منها. كان الرصاص يتناثر حولي في كل مكان فيما نهضت وركضت باتجاه شاحنتنا المحترقة. قد يبدو هذا جنونيًّا ولكن الشاحنة في ذلك الوقت كانت المكان الآمن الوحيد. وأنا أتجه نحو الشاحنة رأيت آخر شاحنة صغيرة كنت قد رأيتها على الطريق السريع تصعد الجسر خلف شاحنتنا، كانت مضروبة من كل الجوانب وكل عجلاتها قد أصيبت، وكانت المقطورة تحترق وثقوب الرصاص تغطيها. أبطأت عندما وصلت إليّ فركبتها وأمرت السائق أن ينطلق بسرعة. كان هناك سائق وراكب والاثنان مدنيان، كان السائق مصابًا ولكن الإصابة لم تكن خطيرة والراكب كان يشتم ويلعن وقد أصيب في ذراعه.

كنا نسير بسرعة ٢٥ إلى ٣٠ ميلا في الساعة ولم يكن قد بقي شيء من إطارات الشاحنة، كانت تسير على عجلاتها المعدنية

الداخلية. وعندما دخلنا بغداد أطلقت النار على مبانيها وعلى كل شيء حولنا من أجل تقليل الإطلاقات التي تطلق علينا ، ولكن لم ينفع هذا للأسف. كلما أطلقت أكثر كلما ردوا علينا بالمزيد. ولم أكن أستطيع أن أثبّت سلاحي، كنت أقف على السلم الجانبي للشاحنة وأنا أمسك السلاح بيد وباليد الأخرى أتشبث بالشاحنة. ورأيت أني سوف أكون أكثر تمكنًا إذا وصلت إلى مقدمة الشاحنة وأمسكت المرآة الجانبية لأصل إلى المقدمة ولكن المرآة كُسرت في يدي، وفيما كنت على وشك السقوط حين أمسك الراكب بمقبض سترتي الواقية من الخلف وجذبني ليمنعني من السقوط. ولا أدري كيف فعل ذلك وكان لا يحسن سوى الشتم والثرثرة.

حاولت مرة أخرى، تشبثت بنافذة الراكب وقفزت إلى مقدمة الشاحنة وتمددت على بطني وأنا أطلق النار في كل الاتجاهات. والنار تطلق علينا من كل مكان. كان شيئًا فظيعًا ولا أدري كيف لم أصب. لقد سمعت صوت إطلاقة تمر قريبي وقد أتت من جانبي الأيمن الذي كان جانب السائق. نظرت إلى مصدرها فرأيت الطفلين اللذين كانا فوق الجسر سابقًا ، كانا يطلقان النار عليّ مرة أخرى. كان الأكبر الذي أصابني من قبل يطلق النار على المقطورة والشاحنة وكان الأصغر يطلق النار باتجاهي. أطلقت فوق رأسيهما ولكنهما لم يتزحزحا ، ثم صوبت نحو صدر الطفل وأطلقت جولة أصابته في رقبته وسقط ميتًا على الأرض.

نظر إليه الطفل الأكبر ثم إليّ وبدأ يطلق نحوي النار، انقلبت لئلا أصاب ثم صوبت نحو رأسه ولكن الرصاص أصاب الجدار خلفه فسقط عليه بعض الهشيم وأوقعه أرضًا. أعرف أنه لم يمت ولكنه وقع على الأرض وهذا ما كان جيدًا بالنسبة لي. ثم بدأت الشاحنة في الإبطاء شيئًا فشيئًا حتى توقفت. تدحرجت من المقدمة وتمددت أمام الشاحنة ولكني اكتشفت أن كل الإطلاقات

كانت تسقط حولي، وكان بعض الرصاص يصيب الشاحنة وكنت أدرك أنها لو أصابت المدنيين داخل السيارة لقتلا، فهما مصابان فعلا. نهضت وركضت بعيدًا عن الشاحنة بحوالي ٥٠ إلى ٧٥ مترًا وتمددت، وبدأت أطلق النار على المباني كلما رأيت أحدًا. في تلك اللحظة كان الجميع أعدائي ماعدا أبناء بلدي.

بقينا هكذا لمدة عشر دقائق تقريبًا حين ظهرت المركبة الهمر التي رأيتها سابقًا. كانت أملنا الأخير. قفزت ولوّحت لها، وساعدت المدنيين على ركوب الهمر ثم قفزت إليها وانطلقنا باتجاه مطار بغداد. كنا مازلنا نبعد بحوالي ثلاثة أميال، كانت مسافة بعيدة والهمر في حالة سيئة. سرنا مسافة طويلة والتقطنا في طريقنا اثنين آخرين: أحدهما جندي هو جريجوري جودريتش والآخر مدني. كنت أجلس خلف السائق وهكذا عندما قفز جودريتش إلى الشاحنة جلس على ركبتي والمدني قفز خلف الراكب. كنا مزدحمين فقد كان هناك حوالي عشرة أشخاص في مركبة تستوعب أربعة.

كان جودريتش يطلق النار وهو في حجري. ثم سمعت صوتًا مكتومًا، لقد أصيب وبدأ يصرخ: "آه.. آه لقد أصبت. لقد أصبت" أزحته جانبًا لأستطيع مساعدته. كان الدم يتدفق من فمه ولم أستطع أن أفعل له شيئًا. كان قد انتهى. كنا نسير بسرعة عشرة أميال في الساعة حين توقفت المركبة وأعتقد أنها أصيبت في الرادياتير، وكان مازال أمامنا مسافة طويلة حتى نصل أبواب المطار. وكنا تحت نيران ثقيلة. لم نكن طوال هذه الرحلة بمنجى عن إطلاق النار من الأسلحة الخفيفة.

جلسنا داخل الهمفي ينظر أحدنا إلى الآخر. كان يراودنا شعور واحد: أننا لن ننجو. استخدم الراكب الراديو لطلب المساعدة ولكن لم يجب عليه أحد. فقدنا الأمل ونحن جالسون نستمع إلى الرصاص وهو يضرب في الهمر. كنا نعرف أن الأمر انتهى. كانت

الهمر هي أملنا الوحيد والآن لم تعد كذلك. وبما أنه كان من الخطر جدًا خروجنا من المركبة فقد جلسنا هناك حوالي عشر إلى خمس عشرة دقيقة.

ثم سمعنا صوتًا زاعقًا قويًا. تطلع ثلاثة منا من خارج سقف المركبة فرأينا دبابة برادلي تتقدم نحونا وكانت تطلق النار على أي شيء يتحرك في المدينة. وكانت تتبعها دبابتان أخريان. أحاطتنا الدبابات وسيارتا همر مدرعتان. كان شيئًا رائعًا. أخرجنا الجنود من الهمر المتعطلة. ووضعت مع ثلاثة آخرين في المقعد الخلفي لمركبة همر مدرعة، ساروا بنا نحو ميل ثم أخبرونا بأنهم سينقلوننا إلى دبابة. خرجت وبمساعدة مدني آخر لحمل المدني الثرثار إلى الدبابة ولكن للأسف أصيب المدني الذي كان يساعدنا في ظهره وسقط. سحبت الرجل الثرثار إلى الدبابة ورجعت لأنقل المدني الآخر ولكن كان هناك من نقله قبلي، نظرت حولي لأرى إن كان هنا من يحتاج إلى المساعدة. ثم ركبت البرادلي. أغلق الجنود الباب وانطلقنا. كنا خمسة أفراد في الدبابة ثلاثة منهم جثث هامدة.

أخذتنا الدبابة إلى المطار وإلى المستشفى هناك. لا أستطيع أن أتذكر الكثير عما حدث هناك، كنت أشعر بآلام مبرحة وأعتقد أني غبت عن الوعي. قضيت يومين في مستشفى المطار ثم أرسلت إلى المعسكر في (بلد) لمدة يوم في مستشفاه. وفي اليوم التالي أرسلت إلى المركز الطبي الإقليمي لاندشتال في ألمانيا لمدة أسبوع. بعد ذلك رجعت إلى الولايات المتحدة إلى مستشفى والتر ريد العسكري في واشنطن حيث قضيت أسبوعًا آخر. وقد رأى الأطباء هناك أنه من الأفضل لي أن أعود إلى عائلتي لقضاء بعض الوقت معهم من أجل أن أنسى ما حدث. والآن أنا هنا في بيتي حتى ٢٥ آيار / مايو. ثم سوف أعود إلى المستشفى لإجراء جراحة. وإذا شفيت بسرعة فسوف أرسل مرة أخرى إلى العراق. وأتطلع إلى العودة ثانية فقد تركت الكثير من الأصدقاء هناك كما أني فقدت بعض أصدقائي في ذلك الهجوم.

متابعة: ظل جاروب والش في مستشفى والتر ريد العسكرية في الولايات المتحدة لمدة أكثر من سنة للعلاج من إصابته البدنية والنفسية. ولم يعد إلى العراق.

توابع القصة

كانت هذه من أكبر عمليات المقاومة وفي نهايتها قتل جنديان و٦ سواق أمريكان وأسر أحدهم توماس هاميل ثم استطاع الفرار، أما السائق الكوربورال ماثيو موبين فهو مازال – حسب الجيش الأمريكي - مفقودًا مع أن آسريه قد أذاعوا شريط إعدامه. وقد نجا من الكمين ٣٥ أمريكيًّا منهم ١١ أصيبوا وتم علاجهم. ولكنهم مازالوا يعانون من مرض اضطراب ما بعد الكارثة.

مفكرة الإسلام ٢٠٠٤/٤/١٠

أظهرت صور تلفزيونية نقلتها الجزيرة الإخبارية اليوم السبت عددًا من المقاومين العراقيين وهم يحتجزون شخصًا أجنبيًّا، يبدو أنه مدني أمريكي، وظهر الأسير الأمريكي في سيارة مدنية عراقية ويحيط به عدد من المقاومين العراقيين الملثمين، ويبدو أن الأمريكي أسر بعد اشتباكات بين مقاومين عراقيين وجنود الاحتلال خارج العاصمة العراقية بغداد يوم الجمعة، وتعد تلك العملية أحدث عملية في سلسلة حوادث اختطاف الأجانب في العراق أثناء هذا الأسبوع.

ووفقًا لما نقلته الجزيرة الإخبارية فقد تكلم الأسير الأمريكي، الذي جرح على ما يبدو في الذراع، بلهجة أمريكية جنوبية، وكان الأسير يجلس في المقعد الخلفي للسيارة، وتحدث مع رجل مسلّح ملثم يجلس إلى جواره، ثم انطلقت السيارة العراقية على الطريق السريع الرئيس الواقع غربي العاصمة بغداد حيث حدثت الاشتباكات أمس الجمعة.

ويبدو أن الفيلم صور يوم الجمعة، وقد تحدث الأسير إلى مصوّر

من تلفزيون "آي بي سي" الأسترالية، وعرف نفسه باسم "توماس هامل"، وقال بأنّه كان ضمن القافلة التي هوجمت الجمعة. وكان الأسير يرتدي سترة واقية من الرصاص من النوع الذي يرتديه حرّاس الأمن الخاصّين، الذين يقومون في أغلب الأحيان بحماية القوافل التابعة للاحتلال.

وقد أفاد متحدث باسم قوات الاحتلال أن جنديين أمريكيين اعتبرا في عداد المفقودين إثر هجوم شنه مقاومون عراقيون على قافلة عسكرية أمريكية غربي بغداد. ووفقًا لما نقلته وكالة الأسوشيتد برس؛ فقد أكد المتحدث "جاستين ماكو" "اعتبر جنديان في عداد المفقودين إثر الهجوم على قافلتهما الجمعة حوالي الساعة ١٢,٢٥ ظهرًا. وقع الهجوم بالقرب من مطار بغداد الدولي".

وكانت شبكة "سي إن إن" التلفزيونية قد ذكرت نقلاً عن مسئول في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) قوله: إن جنديين أمريكيين وعددًا من المدنيين الأمريكيين اعتبروا في عداد المفقودين إثر هجوم شنه مقاتلون عراقيون على قافلة لنقل البنزين غربي العاصمة بغداد يوم الجمعة.

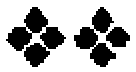
وكانت القيادة المركزية الأمريكية قد أعلنت في وقت سابق في بيان لها أن جنديًا من فرقة الدعم الـ١٣ قتل وأصيب ١٢ آخرون بجروح في هجوم على قافلتهم ظهر الجمعة قرب مطار بغداد الدولي، وفقًا للبيان. وأشار البيان إلى هجوم آخر وقع صباح الجمعة شمالي بغداد على مقربة من معسكر كوك حيث قتل جندي من فرقة الخيالة الأولى وجرح آخر.



هدد مقاومون عراقيون بقتل رهينة أمريكية تم أسره واحتجازه يوم الجمعة أمس. والأمريكي الأسير يدعى "توماس هاميل" "Thomas Hamill". وقد هدد المقاومون في شريط فيديو بعثوا

بنسـخة منـه إلى الأسوشـيتد بـرس وإلى قنـاة الجزيـرة القطريـة بـأن هـاميل (...سيواجه مصيرًا أسوأ مـن الأمريكـان الأربعـة الـذين قتلـوا وأحرقوا فـى الفلوجة، إذا لم تنسحب القوات الغازية وتفك حصارها عن مدينـة المسـاجد الفلوجة خـلال السـاعات الاثنـى عشـر القادمـة). وكان هـاميل قد أكد هويته لمراسـل من وكالـة الأنبـاء الأسـترالية قبل دقائق من اختطافه من قبل مسلحين عراقيين.

١٠ إبريل ٢٠٠٤ الأسوشيتد برس



قال الجيش الأمريكي اليوم الأحد إن الرهينـة الأمريكـي تومـاس هاميل أصبح مطلق السراح بعد ثلاثة أسابيع من بث لقطات تلفزيونية تظهر اقتياده على أيدي مسلحين عقب هجوم على قافلة في العراق.

وقال البريجادير جنرال مارك كيميت فـي مؤتمر صحفـي فـي بغداد "يبدو أنه هرب من مبنى. خرج مـن مبنـى وعـرف نفسـه لجنـود أمريكيين. يبدو الأمر وكأنه هروب".

ومضى يقول: إن دورية أمريكية عثرت على هاميل جنوبي تكريت.

وكان هاميل وهو مزارع من ولاية مسيسبي يعمل سائق شاحنات لدى شركة كيلوج براون أند روت التابعة لمؤسسة هاليبرتون التي حصلت علـى عقـد كبير مـن الجيش الأمريكـي للقيـام بعمليـات إمداد وتموين.

وكان هاميل قد سقط فـي الأسر فـي التاسع من أبريل/ نيسـان عندما نصب مسلحون كمينًا لقافلته مما أسفر عـن مقتل عـدة جنود ومدنيين أمريكيين.

وقال خاطفوه بعد عدة أيام من الحادث إنهم سيقتلونه ما لم ترفع القوات الأمريكية حصارها عن مدينة الفلوجة.

٢٠٠٤/٥/٢

ماذا عن الجندي الأسير مات موبين
online journal

بود سوندرز

٧ مايو ٢٠٠٦

منذ زمن وأنا مشغول بـأمر الجنـدي الوحيـد "الممسـوك" captured السـارجنت مـات مـوبين الـذي اختطـف منـذ ثـلاث سـنوات ولا يعـرف مصـيره بعـد. ومـازال البنتـاغون يطلـق عليـه صـفة (ممسـوك) ولـيس (أسير حرب). فما السبب؟ إذا صنف السـارجنت موبين على أنه أسـير حرب، فعلى البوشيين أن يصنفوا كل "المحتجزين" و"مقاتلي العدو" الـذين يخزنـونهم فـي غوانتنـامو والسـجون السـرية الـتي بنتهـا هـاليبرتون لوكالة المخابرات المركزية على أنهم (أسـرى حرب)!

مدونات - يوميات - خواطر

اعترافات - رسائل

في المدونات التالية يستخدم الجنود أسماء مستعارة حيث إن كتاباتهم تخالف التعليمات العسكرية خوفًا من نشر معلومـــات "تفيـــد العـــدو" بقصـــد أو بـــدون قصـــد.

تقرير الحالة

كيفن (من المشاة)

الخميس ٢٤ مارس ٢٠٠٥

الأشياء أصبحت ممتعة شيئًا ما هنا، ولكن على نحو غير جيد. حين كنا خارجًا في ميدان العمليات في بغداد، بالقرب منا، وقعت مركبة برادلي وبضع مركبات مدرعة أخرى في كمين أمس. انفجرت فيها أولا عبوة ناسفة ثم اندلعت معركة استمرت حوالي دقيقة. لم أر إلا سحابة الدخان من العبوة المتفجرة من بعيد، أما ما تلا ذلك فقد سمعت أصوات أسلحة خفيفة والصوت العالي لمدفع البرادلي. بعد ساعة أو اثنتين، مرت المركبات التي تعرضت لذلك الكمين بالمنطقة التي نقف عليها في المدينة والضرر المرئي الذي سببته العبوة كان علامة سوداء على جانب البرادلي مما أحرق لونها قليلا. لا أعرف إن كان هناك قتلى من المتمردين أو من الأمريكان، ولكن مما سمعته من الأسلحة الثقيلة من البرادلي المدرعة يجعلني أفترض أنهم ربما قتلوا بعض الأعداء. الشيء الوحيد الذي يهم هو ألا يصاب رجالنا في الواقعة. وفيما عدا هذه الحادثة لم يحدث شيء آخر في المنطقة.

لقد بدأ الطقس يزداد حرارة هنا. حتى لو كانت درجة الحرارة حوالي ٨٠ تقريبًا. ومع هذا لم يكن الأمس سيئًا جدًا. ولكني اضطررت لوضع كريم الوقاية من الشمس. حاليًا هناك بعض من سمرة الشمس في وجهي مع بقعة بيضاء حول عيني بسبب نظارات الشمس التي أضعها باستمرار، وكذلك البقعة البيضاء حول ذقني

بسبب رابط الذقن. على أية حال ، كان اليوم لطيفاً مع كثير من الرياح. آمل ألا تقوم عاصفة رملية.

معذرة لأني لم أكتب منذ عدة أيام. لقد انشغلت كثيرًا بالعمل في المدينة إضافة إلى أن الإنترنت قد تعطل عدة مرات. النوم هو أهم شيء وأحيانًا أفضله على الكتابة في هذه المدونة.

أفكار سيئة

كيفن (من المشاة)

الخميس ٣١ مارس ٢٠٠٥

المصدر: bootsonground.blogspot.com

لم يحدث الكثير لي هذه الأيام، أنا على ما يرام. على أية حال كان عليّ أن أقف بكامل معداتي ودرعي لمدة أربع ساعات أفحص هويات وأفتش "الحجيين " (جمعت كلمة "حجي" هكذا ولم أقل "حجاج " لئلا يغيب المعنى، فالجنود الأمريكان يطلقون كلمة حجي على كل عراقي كنوع من الاستهانة، وليس التوقير كما قد يظن البعض — المترجمة)، طوال اليوم تحت حرارة أكثر من ٩٠ درجة. وبما أننا من المشاة، فإني لا أعمل مع النساء كثيرًا، مطلقًا تقريبًا، ولهذا واجب التفتيش له بعض حسناته. فأنت ترى بعض الضابطات الفاتنات وأحيانًا بعض المترجمات الجميلات. مع أني لا أستطيع حقًا أن أكلمهن لئلا يعتبر ذلك.. تحرشًا جنسيًّا. ليس هناك الكثير من النساء الجذابات في الجيش، وهكذا عليك أحيانًا أن تبحث جيدًا. بعض الشباب يحاولون بسبب الضجر والملل أن يحسبوا عدد المجندات الجميلات اللواتي يرونهن. كما يضحكني حين أتذكر قول الكولونيل ناثان جيساب من فيلم "رجال طيبون قلائل" "ليس هناك، على هذه الأرض، أكثر إثارة من امرأة عليك أن تحييها تحية عسكرية في الصباح" كان قولاً مضحكًا ولكني حقيقة لا أؤمن به.

نشبت النيران في مركبة مقاتلة برادلي وهي داخل المعسكر

قبل عدة صباحات. لا أعرف الكثير عن الحادث. كان على الجنود الهرب من المركبة لأن الذخيرة بدأت تُطبخ. كنت نائمًا خلال ذلك الوقت ولكني أتذكر أن الانفجار هز غرفتي.

الحرارة قادمة. لقد وصلت إلى ٩١ درجة أمس، واليوم الجو حار جدًّا. الشيء المحزن هو.. أن هذا لا يعتبر حرًّا فعلا. قبل أن نغادر في هذا الصيف، نتوقع أن تصل الحرارة إلى ١٢٠ درجة أو حتى ١٣٠ درجة. وأنت ترتدي ملابسك المدرعة تبدو وكأن الحرارة أكثر بعشر درجات داخل الدرع من خارجه. وأنا أرى حكمة ارتداء ملابس القتال بكاملها وأنت خارج المعسكر ولكن في الداخل أيضًا؟ وهي منطقة مؤمنة وحصينة؟ أكره هذه التعليمات الغبية التي يصدرها قادتنا لمجرد تغطية مؤخراتهم. وبهذه الطريقة إذا ساءت الأمور، فليس عليهم إلا أن يقولوا "حسنًا، إنها ليست غلطتنا" وهذا سهل بالنسبة لهم لأنهم يعيشون في غرف مكيفة طوال اليوم وربما حتى يشعرون بالبرد منها. ما عدانا الذين نرتدي زيًّا مضحكًا داخل المعسكر حيث لا أحد يرتديه داخل المعسكر سوى حراس المرافق المختلفة لابد أنهم يريدون بعض إصابات الحر. أنا في الجيش، ولهذا من الواضح أن لا أحد يندهش، لأنك لو كنت في الجيش لأكثر من يومين، ستعرف كل القواعد الغبية التي لا تعقل والتي يخترعها هؤلاء الرجال.

أول ليلة في الرمادي

مايكل (من المشاة)

السبت ٣٠ يوليو ٢٠٠٥

www.adayiniraq.com

وصلنا بعد حلول الظلام بعد مسيرة يومين. لم ننم طوال الليلتين الماضيتين نتحرك تحت جنح الظلام، راكبين البرادلي التي تركب على الناقلة الضخمة. وفي هذا الوقت من السنة يكون داخل البرادلي فرنًا مشعًّا، يغرق ملابسي بالعرق ويجعلها تلتصق بجلدي مجتذبة كل ذرة من التراب والغبار في الهواء. هبطنا من المركبة ورحب بنا الرجال الذين كانوا قبلنا منذ يومين. وكانوا قد انتقلوا بواسطة مروحيات البلاكهوك، ولمّ شملنا معهم بعد عدة أيام كان شيئًا جيدًا، حيث يشعرنا كما لو أننا نجتمع معًا في الوطن مرة أخرى. وفورًا بدأت روايات قصص الرعب، والقصص تزداد تهويلا بعد أن وصلنا فعلا. وهي نفس القصص التي سمعناها سابقًا، ولكنها تتجسد الآن بشكل لم يسمح به موقعنا السابق.

الظلام حالك ولا تستطيع أن ترى المعسكر المؤقت بوضوح، أستطيع أن أرى فقط الهياكل الداكنة للمباني. خارج المعسكر كان هناك بيتان أو ثلاثة بطوابق والأنوار تشع منها بشكل يدعو للسخرية. مرحبًا بكم في الوطن. يمكن سماع أصوات اشتباكات على البعد، معركة أخرى بدون اسم تجري بيننا وبينهم. حين توقف إطلاق النار، انطلق صوت آخر أكثر رهبة من أصوات البنادق، ملأ أذني. كان صوت أناشيد مثل عويل يبعث القشعريرة يدعو

للصلاة، ينطلق من الجوامع العديدة في المنطقة. كان مثل همهمة نادبة مبهمة لآلاف الأرواح المهجورة، المسجونة أبديًا في الجحيم، تدعونا لمساعدتها والتواجد معها. إنه صوت فظيع، يزيده شناعة، سكون الليل(*).

أوقفنا مركبتنا البرادلي أمام المبنى الذي سوف نعيش فيه مؤقتًا. تم إنزال كل الحقائب والمعدات، وحملت بصمت إلى داخل الأسوار الشائكة وجلسنا في الباحة الصخرية. جاء بعض رجالنا ورحبوا بنا كما لو أننا افترقنا عنهم أكثر من الأيام القليلة التي استغرقتها رحلتنا، وبعضهم أطلق تعليقات ساخرة حول بيتنا الجديد الرائع.

وانطلقت الروايات حول المارينز في منطقتنا، خلايا الإرهابيين، تكتيكاتهم، الإصابات، كيف أننا في آخر الخط، على الصراط المستقيم. يمكن أن أفهم كيف يفقد الناس عقولهم في هذا المكان. كان الموت والقتل على بعد خطوات من بنايتنا بشكل هيكل برادلي نصف محترقة. كانت تستخدمها الوحدة التي جئنا للحلول محلها وقد احترقت المركبة ودمرت بعبوة ناسفة. هرب طقم الركاب ولكن بعضهم قتلته نيران رشاشة وهو يحاول الهرب من الجحيم.

عبوات ناسفة، دوريات راجلة أكثر، ألغام مضادة للبشر، رشقات هاون، ونسمع الطلقات قريبة جدًا ولكن لدينا الوقت للهرولة للملاجئ. بل كانت هناك شائعة بأن بعض المبتكرين يستخدمون الثلج لإطلاق الهاون، حيث الثلج حتى يذوب يعطيهم الوقت للهروب، بدون أن يلاحظهم أحد. ومن الواضح أن المارينز

(*) من الطريف الاستماع إلى هذا التفسير الغريب لأصوات الأذان من قبل عدو جاء غازيًا ويحاول تبرير وجوده في بلد غريب لا يفهمه. لقد كتب العديد من الجنود في مناسبات مختلفة حول شعورهم لدى سماعهم الأذان، علمًا أن مدينة الفلوجة في الرمادي تسمى مدينة المآذن لكثرة جوامعها – المترجمة.

يستلمون معلومات أكثر من الجيش، ولكن الجيش يستلم معلومات بشكل منتظم. تنتشر كل هذه الشائعات والقصص بسرعة من الوحدة التي نحل محلها إلينا، وهي تؤثر فينا سواء كانت صحيحة أم كاذبة. وقد لاحظت توتر بعض شبابنا.

دخلت إحدى غرف المبنى المؤقت الذي قد يصبح مقرنا الدائم وأول شيء لاحظته هو مئات الصفحات من المجلات تغطي الجدران. كانت الصور كلها لنساء في أشكال مختلفة من التعري ولكن ليس العري الكامل. ونفس الشيء في غرفة أخرى التي ستكون غرفتي، ولكن لم تكن الصور بنفس الكثرة. وجدت مساحة صغيرة لفراش في الغرفة التي أتشارك فيها مع أربعة عشر أو خمسة عشر رجلا آخر. على الأقل حتى تغادر الوحدة الأخرى حيث يمكننا أن نفرد أجسامنا. لسوء حظي أنام على بعد بضعة بوصات من واحد من أكثر الجنود سوءًا في الجيش كله، إنه يثرثر باستمرار مع أي واحد بكلام سخيف أثناء فركه أصابع يديه بين أصابع قدميه القذرتين. أستطيع أن أشم قدميه إضافة إلى الطعام الذي يتناوله بأصابعه التي كانت قبل قليل تفرك قدميه.

قبل ذلك، حين كنت أقف في باحة المعسكر أنظر باتجاه ظهر المبنى، لاحظت أنابيب بيضاء مألوفة تبرز من الأرض. في الظلام كانت تبدو مثل أنابيب هاون، ثم تذكرت أنابيب التبول التي كنا نستخدمها في صحراء الكويت قبل بدء الحرب. من يعرف كم من الأنبوب مدفون في الأرض أو كم من العمق يتسرب أنبوب القذارة وهو يشكل نهرًا من البول يتدفق عبر الجحيم. أثناء الوقوف فوقها وأنت تفرغ مثانتك، يمكنك حقيقة أن تسمع صدى خفيفًا من الأسفل. موسيقى العويل قد تكون آتية من هذه الأنابيب.

من موقعي هذا أستطيع أن أنظر إلى اليسار وأرى بيوت الخلاء الخشبية التي تتكون من ثلاث حجيرات نتخلص فيها من فضلاتنا

الأخرى. هناك أبواب مسحورة خلف الحجيرات يمكن أن تفتح لإزالة أوعية فضلات وجبتنا الأخيرة. أحد هذه الأوعية يجلس وحيدًا في مساحة خلف بيت الخلاء، ويعكس اللهب ضوءًا متوهجًا ساطعًا يمكنني من أن أرى الأنبوب الذي أقف فوقه. رائحة الديزل والرائحة الحلوة المقززة للخراء المحترق تأخذني إلى الماضي قبل سنتين حين كنت أقف فوق واحدة من هذه في الكويت أحرك طبيخ الساحرات بجاروف داكن اللون. تلك الرائحة الممزوجة بالديزل، سوف تظل محفورة في ذاكرتي. ليس هناك رائحة شبيهة بتلك الرائحة، ولا ينبغي أن تكون.

بعد أن وضعت فراشي في مكانه وجلست للكتابة، أطفئت الأنوار. كان وهج شاشات اللابتوب وأجهزة الدي في دي المحمولة ينير وجوه أولئك المسحورين بمحتوياتها، خالقًا الإيهام بوجوه غير مجسمة تحدق في الفراغ المظلم. لم يمض على وجودنا هنا بضعة أيام ولدينا الآن جهاز تلفزيون مرتبط بأجهزة بلاي ستيشن. ماذا يمكن أن يفعله جنود اليوم في أوقات فراغهم بدون اللابتوب والتلفزيونات وأجهزة الدي في دي وألعاب الفيديو؟ أستطيع أن أرى من فراشي شاشتين تعرضان أفلامًا. كل فيلم معروف، سواء بالممثلين وأدائهم السيئ أو بالمضمون السخيف للأفلام نفسها. فيلم جي أي جين (الجندية جين) و"قتلة بالفطرة"، فيلمان جيدان إذا كنت تعتقد أن قيام ديمي مور بتمارين الضغط شيئًا مثيرًا، أو إذا كنت مريضًا نفسيًا تستمتع بمشاهدة عبقرية أوليفر ستون والتمثيل السيئ لوودي هارلسون. من الواضح أن العنف المفرط والأعمال العسكرية المريضة هي موضة هذه الأيام. وأتساءل أي من الشخصيتين الرئيسيتين في الفيلمين يمكن أن تنتصر إذا اشتركتا في مبارزة، ديمي الطامحة للتشبه بالجنود أو وودي المريض النفساني المهووس بالقتل. ثم أتذكر أنهما متزوجان في فيلم آخر، وتمنيت في وقتها أن يشترك الاثنان

بمبارزة يقتل فيها كلاهما.

فراشي موضوع في أحد الأركان الخلفية للغرفة. وقد قصدت أن أختار هذا المكان حتى أنام على بعد بوصات من شخص وليس اثنين. إن الجدار الذي أحشر قربه فراشي يقدم لي رفقة الصور المقتطعة من المجلات. إحدى الصور لباميلا أندرسون في ملابس داخلية وحذاء عال. والصور الثلاث الأخرى لفتاة تمسح الأرض وهي بملابسها الداخلية، رجل يطير في الهواء على لوح التزلج، فتاة أخرى تمسك ثدييها. النور المنبعث من اللابتوب وأجهزة الدي في دي تنعكس ضياء وعتمة – حسب تحرك الصور عبر الشاشة – وفي نفس الوقت تضيء وتعتم أجزاء من الصور على الحائط مثل تأثير اللهب الذي رأيته سابقًا وهو يرقص على سطح وعاء الخراء.

على الحائط المقابل في الطرف الآخر من الغرفة حيث أجلس الآن، هناك ستة أسماء مكتوبة على الجدار ومشطوب عليها.

رسالة أخرى من العراق الجميل

الميجور بين(*)

٢٠٠٣/١٠/٥

الجو لطيف جدًّا في هذا الوقت من السنة – بارد – فدرجة الحرارة ١٠٠ فقط أثناء النهار و٦٠ –٧٠ أثناء الليل. حتى أنهم أطفأوا السخان في الحمام – فالماء الآن ساخن جدًّا بشكل طبيعي بدلا من بارد جدًّا – ولهذا مرة أخرى تقفز تحت الدش لتتبلل وتقفز بعيدًا لتضع الصابون على جسدك ثم تقفز تحت الدش ثانية لتغسل الصابون عنك.

آهة!!

هناك الكثير من التستوستيرون حولي – أحتاج إلى الخروج للغداء. أسرح شعري، وأعتني بأظافري.. شيء..

لقد انتقلت الجرذان إلى المستشفى الدافئ. وتجري مسابقة كل يوم حول عدد الجرذان التي يتم اصطيادها وفي أي قسم. الفائزون هذا الأسبوع: (أ. ر) و(إي. م. ت) – قتل كل منهما خمسة. أما أنا، طبعًا، أميل إلى أن أدلل الجرذان وأطلق عليها أسماء. ولهذا فإن صوت انطباق الفخ يؤلمني، خوفًا من أن يكون الصيد جورج أو توماس أو فرانك أو رامبو أو... مع أني قاومت إفساد تركيب الفخ قبل دخول الفأر. فهم يتسللون إلينا – بل يهاجموننا من الجو. حقًا. كنت جالسة أعمل على جهاز الكومبيوتر حين سمعت تزييقًا

(*) الميجور بين (اسم مستعار) Major Pain لمرضة في الجيش لمدة ١٤ عامًا وتخدم في بغداد وقد نشر شقيقها مايك رسائلها إليه على الإنترنت.

فالتفت في الوقت المناسب لأرى فأرًا ينزلق من السقف. تطلع حوله قليلا ثم تسلل خارجًا. هجوم جوي. أسميته رامبو. والآن بعض الممرضات يخشين أن يتسلل الفئران إلى شعورهن.. أوه!!

كان أسبوعًا مملا، نوعًا ما.

كان لدينا في الطوارئ اثنان يشكوان من عضات ابن آوى الذي دخل خيمتهما ورفض الخروج. ولسوء حظ ابن آوى، كان قراره تصعيد الموضوع إلى العض، قد قوبل من قبل المعضوضين بالتصعيد بالبندقية الآلية إم ١٦ والنتيجة: المعضوضان ١ / ابن آوى صفر.

وقد أضفنا ابن آوى إلى عداد الصيد الأسبوعي.

أما تلك المبولات الرائعة الجديدة ذات التنظيف الفوار الذاتي فقد انتهى أمرها. استمرت كل الأسابيع الثلاثة السابقة قبل أن تحترق مضخاتها، في الوقت الذي انتشرت فيه نوبة التهاب معوي في المعسكر. نعم عدنا إلى المبولات المحمولة القديمة — ويوجد منها ٧ في كل المستشفى (٤٠٠ شخص) والمرضى (الكثير منهم مواطنونا ذلك الأسبوع). ولسوء الحظ، كانت تلك المبولات المحمولة على بعد ٢٠٠ ياردة من خيام النوم. مما يعني سيرًا طويلا إذا كان عليك الذهاب فعلا. وكما قالت صديقة نيقة — إنها لم تعد تهتم بمقدار امتلاء المبولة، إذا كان المقعد نظيفًا فهي تستخدمه.

صديقتي الأخرى ندبت خسارة دورات المياه الفوارة. وهنا ليس ثمة أحواض غسيل الأيادي، مطلقًا!!

وأنا أيضًا رغم استخدامي المهووس للمناديل المبللة والتعقيمات الأخرى فقد أصبت بالمرض. وحين رأيت الناس يقولون إن لوني أصبح أخضر جميلا، عرفت أن الوقت قد حان لرمي المناشف والذهاب إلى الطوارئ للعلاج واستلام دواء الأموديوم، دواء رائع، الأموديوم رائع. أخذت إجازة ليومين وكان شيئًا صعبًا بالنسبة لي.

في أحد الأيام تم توبيخي لسكبي مياه غسيل ملابسي قرب خيمة النوم على أساس أن الماء سوف يجتذب الحشرات والحيوانات.

كما صدرت آوامر لإخلاء المنطقة من كل النباتات، وأيضًا لتقليل السكان غير الآدميين. والآن أسألك: ما هو آفضل ناقل للأمراض؟ نحن!! وهكذا إذا "هم" قلقون من انتقال المرض، لماذا يتركونا بدون أحواض غسيل الأيدي خارج خيام السكن أو صالة الطعام؟ هه؟ هه؟ اللعنة. لو كان مثلها موجودًا لما مرضت. ولما مرض ٥٠٪ من الناس الآخرين هنا!!

أوكي.. هذه هي ثرثرتي لذلك الجزء من رسالتي.

الهاونات تستمر في السقوط علينا – أحيانًا لا شيء في الليل، أحيانًا واحد أو اثنان، أحيانًا ١٣. حسنًا. آخر رشقة كانت ١٣ – حوالي الساعة ٥،٤٥ دقيقة صباحًا. حين نهاجم أثناء خفارتي، أذهب إلى أبراج الحراسة لتلقي أخبار الإصابات ثم أذهب إلى الطوارئ للاستعداد. من الطريف أن تستمع إلى تقارير أبراج الحراسة "الوميض ٢٠٠ ياردة الوضع الساعة الواحدة. تأثير الهاون ٥٠ ياردة الساعة ٦". خاصة في الأسبوع الماضي حين أبلغ أحد الأبراج قدرته على تعقب ثلاث هاونات عبر السماء بعد الغداء. وبالتأكيد بعد ٢٠ ثانية – بم بم بم.. شيء مخيف. لحسن الحظ لم تصب الهاونات شيئًا كبيرًا.. أوقعت اثنين وقليلا من الأنقاض. هذا كل ما هنالك.

مازلنا نطلق النيران ردًا على الهجمات. وأقسم أن الدبابات وقطع المدفعية موجودة عبر الشارع. وهكذا في منتصف الليل بومب..! واهتزت الخيام. تشعر بموجة الضغط داخلك. مما يطرد النوم تمامًا. سعيدة لأني أعمل ليلا. بنوا لنا ملاجئ جديدة لهجمات الهاون. قطع كونكريتية مسطحة بشكل حرف U، سمكها ١٢ انج وارتفاعها يصل إلى وسط الشخص، أي أن عليك أن تزحف لتدخلها. وهي ليست كبيرة وليس من المفروض أن تلمس جانب جسمك، لأنها سوف تنقل موجة صدمة أي شيء ينفجر قريبًا منها.

حسنًا، تخيل هذا: ليل مظلم، رمال، صخور، ذباب الرمل، أفاع، عقارب، عناكب. وتريد مني أن أزحف إلى داخل نفق؟؟! أوه..

كلا. سوف أستخدم الخنادق والتراب مكوم على جانبيه. شكرًا. الناس الذين نصبوا ملاجئنا الجديدة، بحكمتهم اللانهائية، وضعوا إحداها في الطريق المؤدي إلى الحمامات ومناطق مرورية مزدحمة أخرى. ولكن هل تعرف أنك إذا اصطدمت بأحدها في الظلام بطريقة صحيحة فسوف تنقلب على ظهرك؟ وهو في الواقع أقل ألمًا من أن يضعوا ٥ طن من الكونكريت على الطريق في الظلام وتصطدم فيه بوجهك؟

العناكب مخلوقات مرتبة، بحجم راحة اليد ولونها أسمر، وهي ليست سامة ولكن عضتها مؤلمة، وهي عدوانية! إذا عبثت معها فسوف تهاجمك.

يجرنا الحديث عن الهجمات إلى جنديين تعلما بثمن غال ألا يسكرا ثم يذهبان لإطعام النمر في حديقة الحيوانات لحمًا نيئًا، وباليد. النمر لم يسمع مقولة "لا تعض اليد التي تطعمك" وبطبيعة الحال لم يتوقف النمر عند اليد وإنما التهم الذراع كلها. صديق الجندي استخدم رشاشته الإم ١٦ وقتل النمر الذي تبين أنه من فصيلة نادرة مما أغضب أصحاب الحديقة.

وهكذا، كانت هذه مجابهة بشرية مع الضواري تشتمل على الكحول. هل تعرف أن ٨٠٪ من عضات الأفاعي تتضمن الكحول أيضًا؟ وصدقني ليست الأفاعي التي كانت تشرب.

العقارب سبب منتشر آخر لزيارة الطوارئ – عادة يكون إصبع القدم الكبير – عند الذهاب إلى الحمام أو بيت الخلاء في منتصف الليل بأحذية الحمام، أصطدم بعقرب في الظلمة.. أخ!!

أمس كان يوم إجازتي. ولهذا ذهبت إلى "وسط المدينة " (تقصد داخل المعسكر) إلى السوبر ماركت. نعم لدينا سوبر ماركت! وإذا ذهبت في الوقت المناسب ستجد لديه كوكا كولا دايت!! نعم!! كان عليّ أن أقلل من إدماني للكوكاكولا دايت هنا وكانت عملية انسحاب مؤلمة. حين تتوفر أشتري صندوقًا وأشربه على مهل.

القوة الجوية سوف تنتقل إلينا وتستولي على مطارنا. حتى الآن كان الجيش يتحكم بالرحلات الجوية القادمة والمغادرة بالتنسيق مع القوة الجوية. الآن سوف يتولون هم العملية. أعتقد أنهم جاءوا قبل عدة أسابيع وقرروا المساحة التي يريدونها لعملياتهم. وكان على الجميع في تلك المنطقة أن ينتقل ليفسح المجال للقوة الجوية. اتضح أن المساحة المطلوبة هي التي نقيم عليها. وقد سأل أحدهم أحد مسئولينا "إذن متى تنتقلون؟" فكان جوابه "هه؟". حسب النظام العسكري ينبغي على هذه المستشفى أن تكون قادرة على التفكيك في ٧٢ ساعة وإعادة النصب في ٧٢ ساعة أخرى. وهذا لا يشمل الأشياء الصغيرة مثل خيام النوم والحمامات والاتصالات والمولد الكهربائي الكبير والأسلاك. ولا تأخذ بنظر الاعتبار أن المستشفيات العسكرية مثل هذه لا تملك آليات لنقل المعدات الثقيلة (كنا نفترضها دائمًا). إذن القصد هو: هه؟ لن ننتقل! ولن نفعلها. وهو شيء جيد وسيئ في نفس الوقت – حيث سوف تجلب القوة الجوية طائراتها ٧٤٧ و٧٦٧ ومعدات أخرى لنقل البشر. جيد. لأننا يمكن أن نحصل على طيران مباشر من هنا إلى ألمانيا أو الولايات المتحدة، وسيئ لأننا سوف نتحمل ضجيج ودخان وغبار طائرات سي ١٣٠ كلما حطت أو حلقت أو شغلت ماكنتها وهي رابضة تفرغ أو تشحن حمولتها. والمدرج يبعد ٢٠٠ ياردة منا، أي أنه سيكون هناك ضجيج مرتفع جدًا من النفاثات عالية الصوت. ربما يجدر بنا أن نضع لافتة تحذير تقول "الهدوء منطقة مستشفى"؟ هل تعرف الطائرات القراءة؟

وقرع الطبول يستمر.

إلى اللقاء.

مع السلامة يا صديقي

Ma"Sallama, Sadiqi

موستانج(*)

الاثنين ٢٠٠٥/١٢/١٢

www.topmustang.blogspot.com

لو قال لي أحدهم قبل ١٤ شهرًا بأني سوف أعتبر، يومًا ما، أحد العراقيين صديقًا حميمًا لي، لوصفته بالجنون.

مر عليّ، منذ آخر مرة كتبت فيها يومياتي، أسبوعان قاسيان. فقد قتلت عبوة ناسفة هائلة جنديين أعرفهما وأصيب آخر إصابة خطيرة، سوف يعيش بدون ذراع وساق. لا أستطيع أن أصف الحادث ولكني سوف أتحدث عن مشاعري ولماذا أخجل من بعضها.

كان التقرير الأصلي حول تفجير عبوة ناسفة قتل بسببها العديد من الجنود الأمريكان من بطارية المدفعية التي عملت معها بكثافة. أعرف تقريبًا كل الجنود في تلك الوحدة وكذلك الآمر (إكس أو) برتبة سارجنت أول وأعتبر كل ضباط الفصيل أصدقائي. حطمتني الأخبار وحاولت أن أحصل على أكبر قدر من المعلومات بدون أن أبدو شديد الفضول. حين سمعت أن القتلى كانوا جنودًا يتبعون كتيبة أخرى، شعرت بدفقة من الارتياح

(*) أنا جندي من الحرس الوطني في منيسوتا، قضيت سنة في العراق. عندي خدمة ٢٣ سنة في الجيش، ٤ منها خدمة في الميدان مع المارينز والبقية في الحرس. خدمت في البوسنة وكوسوفو. ولا أنوي الانخراط في الخدمة ثانية.

للحظة حين أدركت أني لا أعرف أحدًا منهم. ولكن كما تبين فيما بعد، حالما علمت الأسماء أدركت أنهم جنود كنت قد رافقتهم في دوريات من قبل. وقد وجدت صعوبة في التعامل مع الإحساس بالذنب للارتياح الذي شعرت به حين عرفت أنهم لم يكونوا أصدقائي، وإنما مجرد معارف. سوف يستغرق فهم ومعالجة هذه المشاعر فترة من الوقت.

حفل اغتصاب! (*)

جوشوا كي

المصدر: www.uruknet.info

نرعبهم. نضربهم. ندمر منازلهم. نغتصبهم. من لا نقتله نخلق له كل الأسباب في العالم ليتحول إلى إرهابي. وبما نفعله بهم، من يلومهم على رغبتهم بقتلنا؟

حكاية جندي صحا ضميره لدى حضوره "حفل اغتصاب" ارتكبه ضباطه!!

جوشوا كي (٢٨ سنة) كان فتًى ريفيًّا أميًّا من أوكلاهوما رأى في الجيش الأمريكي ومنافعه الموعودة - من الرعاية الصحية إلى التدريب المهني - بطاقة مرور إلى حياة أفضل. في عام ٢٠٠٢ ولما يبلغ من العمر ٢٤ سنة بعد ولكنه كان متزوجًا وأبًا لطفلين، انضم كي إلى الجيش. ويقول أن ضابط تجنيده وعده بأنه لن يُرسل إلى الخارج ولكن بعد سنة واحدة كان في العراق.

وبعد ٢٤ ساعة من وصوله كما يروي كي في حكاية هارب من الجيش، انتابته شكوكه الأولى حول سبب وجوده ورفاقه هناك.. في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ عاد كي إلى الوطن في إجازة لمدة أسبوعين ولم يعد إلى العراق. استمر في الاختباء. وفي مارس التالي عبر وعائلته الحدود الكندية عند شلالات نياغرا.

(*) نصوص من كتاب "حكاية هارب من الجيش" بقلم الجندي الهارب من الخدمة جوشوا كي. نشر هذا العام من دار نشر أنانسي.

أصابني ذعر شديد في يومي الأول في الرمادي.

كانت قواتنا الجوية قد انتهت لتوها من قصف هؤلاء الناس، ولكن حالما خرجنا من مركباتنا بدأنا نمشط شوارعهم على الأقدام. وبسبب الأثقال التي تقترب من ١٠٠ رطل من الأسلحة والمعدات والملابس ينوء بها ظهري، كنت أتحرك بسرعة البقرة.

كان فصيلنا يتكون من ٢٠ رجلا يسيرون بمفردهم في شوارع مليئة بالعراقيين. لم أستطع منع نفسي من التفكير بأنه في أي لحظة قد يرديني ميتًا أي قناص على أي سطح من هذه البيوت. كان الأطفال العراقيون يحيطونني مثل أسراب النحل يمدون أيديهم يطلبون الماء والطعام.

وكانت ترن في أذني كلمات زوجتي الأخيرة قبل أن أركب الطائرة: "لا تدع أولئك الإرهابيين يقتربون منك. حتى لو كانوا أطفالا، اقتلهم قبل أن يقتلوك".

في تلك الليلة الأولى، أوقظت في الساعة الثالثة فجرًا وأمرت أن أغادر السرير بسرعة لأننا في خلال ساعة سوف نداهم منزلاً مليئًا بالإرهابيين.

وقد عرض الكابتن كوند وبعض الضباط من رتبة سارجنت عليّ وعلى رفاقي صورة ملتقطة بالستلايت لمنزل ورسمًا تخطيطيًا للمنزل من الداخل. كانت مهمتنا أن نفجر الباب ونندفع إلى داخل المنزل بسرعة ونفتش فيه جديًا عن أسلحة وعلامات وجود أنشطة إرهابية ثم نعتقل الرجال بأسرع وقت ممكن. كلما طال وقت بقائنا في أي مكان كلما ازداد احتمال تعرضنا للصواريخ والهاونات.

لم تكن لدي أية فكرة عما يمكن توقعه.

هل أندفع عبر الباب حتى يفجروني أشلاء بقنبلة يدوية؟ هل سيكون هناك شخص ما لديه كلاشينكوف يفجر به مؤخرتي لدى أول خطوة داخل المنزل؟

هل سيكون في انتظاري طفل في السادسة وقد تلقى تعليمًا في يومين على استخدام السلاح ليرديني به وهو جالس في مقعده؟

مرت الدقائق وتمنيت أن تمضي الساعة سريعًا حتى ننتهي مما ينتظرنا. وقد أدى جندي أو اثنان تمارين تقوية الصدر قبل الخروج. اقترضت مشغل السي دي المحمول من ماسون وفجرت طبلتي أذني بإيقاع أوزي أزبورن. وقد ساعدتني الموسيقى.

كنت جاهزًا ومرتفع المعنويات، نظرت إلى ساعتي وتمنيت أن تسرع ووضعت تبغًا بطعم البوربون بين شفتي. فأنت لا تستطيع أن تعالج سيجارة جيدًا حين يكون بين يديك سلاح آلي من نوع M249. ولهذا التبغ أفضل. يجعل فمك أسود مثل الخطيئة ويعفن الجذور في لثتك ولكن التبغ كان هو جرعة النيكوتين التي اخترتها في تلك المداهمة.

كنت قد حفظت التعليمات. أعرف زوايا المنزل وأي باب سوف نفجره وكم من الطوابق في ذلك المنزل وما هي مهمة كل واحد منا ساعة دخولنا.

سوف أكون الثالث في الباب مما يعني أني سأكون ثاني واحد أتلقى الرصاص إذا كان هناك من سيواجهنا في المنزل وكان عليّ أن اندفع إلى اليسار. دائمًا وفي كل مداهمة كان ترتيبي الثالث في الدخول وكان عليّ دائمًا أن أتجه إلى اليسار.

قبضت على سلاحي. نعم.. إنه يستطيع إطلاق ٢٠٠٠ جولة في الدقيقة ولكن نظريًا فقط. فأنت لا تستطيع في الواقع أن تحتفظ بإصبعك على الزناد طوال ذلك الوقت. فأنت حين تطلق تلك الصليات، يحول الرصاص الخزانة إلى جمرة متقدة. وإذا استمررت في وضع إصبعك على الزناد لمدة طويلة فقد تدمر الحرارة السلاح.

استغرق قيامي وجونز بوضع شحنة التفجير البلاستيكية على الباب ثلاثين ثانية. ثم هرعنا إلى جانبي الباب حتى لا نفجر أنفسنا معه. قد تتحول إلى لحم مقلي إذا كنت قرب الانفجار. أطلقت

شرارة التفجير ثم اندفعنا نحن الستة إلى الداخل. كان جونز الأول.. كان ذلك الولد النحيل ذو الشعر الأحمر من ولاية أوهايو شديد الحماس دائمًا. واندفعنا وراء جونز إلى داخل المنزل مدججين بالسلاح والخوذ والستر الواقية والمدافع الآلية وبساطيل القتال..

لم أدخل من قبل بيتًا عراقيًا.

دخلنا في المطبخ أولا. كان قائد الفريق باديلا قد أمر أن نفتش كل شيء ولهذا فقد فتحت الثلاجة على أمل أن أجد أسلحة أو قنابل يدوية. ولكني لم أجد شيئًا.

كل ما رأيته في الثلاجة كان قليلا من الطعام وفي المجمدة وجدت ألواحًا كبيرة من اللحم غير المغطاة أو الملفوفة. لا أكياس بلاستيك، وإنما لحومًا مكشوفة مجمدة. ركضنا إلى غرفة المعيشة تحيطها أرائك طويلة.. واحدة عند كل جدار.

في هذه الغرفة وجدنا مع الأرائك طفلين ومراهقة وامرأة. كما وجدنا شابين في المنزل.. كان أحدهما يبدو مراهقًا والآخر ربما في أوائل العشرينات.. كانا أخوين.

صرخنا وشتمنا، وقد بصقت التبغ على الأرض واختلط صراخي مع صراخ الجنود الآخرين. كنت أعرف أن أهل المنزل لن يفهموا ولكني مع ذلك كنت أصرخ: "انبطحوا. انبطحوا يا أولاد... اخرسوا أفواهكم اللعينة".

لم يعرفوا ماذا تعني "get down" ولهذا ضربنا الأخوين حتى وقعا على الأرض وضعنا ركبنا على ظهريهما وسحبنا أياديهما خلفهما وفي أقل من رمشة عين كنا قد أوثقناهما.

الوثاق البلاستيكي يضيق الخناق على اليدين وقد ينغرس في الجلد وليس له مفتاح، الطريقة الوحيدة لفكه هو قطعه بالسكين.

دفعنا الأخوين إلى الخارج حيث كان ينتظر ١٢ من فصيلنا وقد

أخذ الشقيقان إلى مركز احتجاز أمريكي للاستجواب.

لا أعرف ماذا يسمى أو أين مقره، كل ما أعرفه هو أننا نرسل هناك كل رجل - أو بالأحرى كل ذكر طوله أكثر من خمسة أقدام - نجده في المنازل التي نداهمها ولم أر أيًّا منهم يعود في المناطق التي كنا نمشطها بانتظام.

في الداخل استمررنا في بعثرة المنزل. وكلما فشلنا في العثور على أسلحة أو أدلة مريبة كلما زدنا من بعثرة وقلب المنزل.

قلبنا الدواليب وقطعنا المفارش والمراتب بالسكاكين وأطحنا بالأبواب وقد داهمنا ثلاث غرف نوم في الطابق الثاني ثم أسرعنا إلى الطابق الثالث. قلبنا كل شيء وكسرنا الأثاث بشكل عشوائي ونحن نفتش عن الأسلحة والذخائر وأي دلائل على أنشطة إرهابية أو علامات أسلحة دمار شامل.

لم نجد سوى سي دي واحد. قال الجنود أول الأمر إنه دليل على نشاط إرهابي ولكن اتضح أنه يحوي خطبًا لصدام حسين. وحالما قلبنا كل أحشاء البيت وفتشنا كل شيء، حل محلنا فريق آخر لزيادة التكسير وإشاعة الفوضى بحثًا عن أسلحة ربما تكون قد أفلتت من انتباهنا.

في الخارج، عهد إليّ أن أراقب النساء والأطفال. لم نحتجزهم ولكن لم نكن نسمح لهم بالذهاب إلى أي مكان. أفراد العائلة لا يستطيعون الدخول إلى المنزل كما لا يستطيعون الذهاب إلى الجيران. عليهم أن يبقوا في أماكنهم في حين نمزق منزلهم أشلاء.

في هذه الأثناء بدأت الفتاة المراهقة تحدق بي، وحاولت أن أتجاهلها.

ثم بدأت تكلمني. في الداخل، حين كنا نصرخ فيها وفي الآخرين، كنت أفترض أن لا أحد منهم يفهم كلمة من الإنجليزية.

ولكن هذه الفتاة الصغيرة بدأت تكلمني بالإنجليزية وعيناها تحفران ثقوبًا في جسدي.

كانت جلدًا على عظم ربما لا تزن أكثر من ١٠٠ رطل. ولم تكن حتى امرأة كاملة ولكن شيئًا فيها كان قويًّا ومثيرًا للقلق.

شعرت بالخوف من الفتاة وتمنيت أن أسرع بالابتعاد عنها ولكن عملي كان أن أبقى لضمان عدم تحركها. كان سلاحي جاهزًا. وكانت ترتدي قميص نوم أزرق وتربط شعرها بوشاح أبيض. لم تكن تغطي وجهها بحجاب وهكذا كنت أستطيع أن أرى وجهها. كانت عيناها بلون الفحم ومليئتين بالكراهية.

وبلغة إنجليزية سألتني:

- "أين تأخذون أخوي؟".

قلت:

- "لا أعرف يا آنسة".

- "لماذا تأخذونهما؟".

- " لا أستطيع أن أصرح".

- "متى تعيدونهما؟".

- "لا أستطيع أن أجيبك على ذلك أيضًا".

- "لماذا تفعلون بنا هذا؟".

ولم أستطع أن أجيب عليها.

لم أكن أرغب أن تثير ضجة. لم أرغب أن تبدأ في الصياح مما قد يثير انتباه رفاقي الجنود وبعضهم قد يشتهي أن يستخدم عقب سلاحه لكسر أسنانها.

لم يكن قد مضى على وجودي في العراق أكثر من ٢٤ ساعة وكنت قد بدأت في الإحساس بشعور غامض.

أولا.. كنت عرضة للخطر ولم أكن أحب ذلك.

حتى مع كل هؤلاء الجنود وكل هذه المعدات كنت أعرف أنه في أي وقت وفي أي مكان.. أي عراقي مع بندقية وحائط يختبئ خلفه وعين صحيحة يستطيع أن يلتقطني أسرع مما ينقض صقر على جرذ.

ثانيًا: في أول خطوة داخل الحرب كنت أحس بعدم الارتياح حول سبب وجودنا هناك، شيء ما كان خاطئًا.

لم نجد شيئًا في منزل الفتاة ولكننا قلبناه في ٣٠ دقيقة واعتقلنا أخويها. وفي الداخل مازال بعض الجنود يقلبون المنزل. لم أشعر بالراحة لاضطراري لحراسة تلك الفتاة في جراج بيتهم في هواء نيسان البارد قبل الفجر في الرمادي.

أما أسئلتها فقد نالت مني ولم أحب أن أكون في موضع من لا يستطيع الإجابة.. حتى بيني وبين نفسي.

مداهمة البيوت وبعثرتها كانت هي معظم المهام التي كلفت فيها بالعراق وقبل أن تنتهي دورتي كنت قد ساهمت في ٢٠٠ مداهمة تقريبًا. ولم نجد في أي منها أسلحة أو دلائل إرهاب.

لم أجد شيئًا يبرر الرعب الذي نسببه كلما فجرنا باب منزل مدني وكسرنا كل ما يملكه وضربنا وقيدنا الرجال واعتقلناهم.

ولكن الأسوأ كان ما فعلناه في إحدى المداهمات..

كان منزلا جميلا من طابقين في منطقة منعزلة.

وكالعادة، وضعت شحنة المتفجرات على الباب. وفجرناه وبينما اندفعنا داخل المنزل كانت النساء يتعثرن وهن يخرجن من غرفهن. وصرخت ثلاث فتيات مراهقات حين رأيننا.

بعض رفاقي الجنود مسكوا بهن موجهين أسلحتهم إليهن وركضنا نحن نفتش المنزل، لم نجد رجالا على الإطلاق، بل

وجدنا ست نساء أخريات ما بين سن العشرين والثلاثين. لم يجد الرجال في فرقتي أي شيء حتى ولا أي سلاح وكالعادة كلما فشلوا في العثور على شيء ازدادوا في المنزل تخريبًا وكسرًا للأثاث وتهشيمًا للمقتنيات وتقطيعًا للمفارش وللمراتب ورميًا للأرفف على الأرض.

في الخارج وجدت الجندي هيز مع امرأة في جراچ المنزل وكان يوجه سلاحه إلى رأسها ولكنها لم تتوقف عن الصياح.

كانت تقول:

- "لماذا تفعلون هذا؟".

وأمرها هيز أن تخرس.

صرخت:

- "لم نفعل لكم شيئًا".

رأيت هيز وقد جن جنونه. قلت لها بأننا ننفذ أوامر ولا نستطيع أن نتحدث إليها ولكنها استمرت في الصراخ بي وبهيز:

- "انتم الأمريكان حقراء! من تظنون أنفسكم لتفعلوا هذا بنا؟".

ضربها هيز على وجهها ببندقيته فسقطت على التراب صامتة وهي تنزف. لم تحرك ساكنًا. دفعت هيز جانبًا وأنا أقول له:

- "ماذا تفعل يا رجل؟ عندك زوجة وطفلان! لا تضربها هكذا".

نظر إليّ بعينين يملأهما الحقد كأنه على وشك قتلي لقولي تلك الكلمات ولكنه لم يلمس المرأة مرة أخرى.

وجدت هذه الواقعة مع هيز على الخصوص مثيرة للقلق لأني خلال عملي معه في العراق لم أره يومًا يفقد هدوءه وقد تولد لديّ إحساس أنه إذا فقد صوابه وضرب المرأة فكلنا معرضون لمثل هذا السلوك.

ثم حدث شيء مازلت أراه في كوابيسي حتى اليوم.

اقتيدت النساء إلى داخل المنزل وطلب منا جميعًا أن نقف حراسًا في الخارج. دخل أربعة عسكريين أمريكان مع النساء وأغلقوا الأبواب. لم نر أي شيء من خلال الشبابيك. لم أعرف من هم الرجال العسكريون أو من أي وحدة كانوا ولكني كنت أعرف أنهم أعلى رتبًا منا أو على الأقل في مستوى ملازم أول فما فوق.

وهذا لأن جويس وهي ملازم ثان من فرقتنا كانت هناك ووجودها لم يعقهم.

عادة حين نقوم بمداهمة كنا نستغرق ٣٠ دقيقة أو أقل في الدخول والخروج. فنحن لا نرغب في البقاء في مكان واحد مدة أطول خوفًا من التعرض لهجمات بالهاون.

ولكن فريقنا أمروا بالبقاء خارج المنزل لمدة ساعة. بدأت النساء يصرخن والرجال معهم خلف الأبواب المغلقة. واستمر هذا طويلا.

أخيرًا. خرج الرجال وأمرونا بالانصراف.

طرأ على ذهني حينها أن الإرهابيين هم نحن الجنود الأمريكان

إننا نرهب العراقيين.

نرعبهم.

نضربهم.

ندمر منازلهم.

ربما نغتصبهم.

من لا نقتله نخلق له كل الأسباب في العالم ليتحول إلى إرهابي

وبما نفعله بهم، من يلومهم على رغبتهم بقتلنا؟ وقتل كل الأمريكيين؟

هذا الإدراك المثير للغثيان تحول في أحشائي إلى ما يشبه ورمًا سرطانيًا نما وكبر وسبب لي معاناة هائلة مع كل يوم يمر عليّ هناك.

الإرهابيون في العراق.. هم نحن الأمريكان.

كان يومًا جيدًا.. قتلنا الكثير من الأبرياء!

ماسي

٢ يونيو ٢٠٠٤

The iraq monitor.org

(في شهر ونصف قتلت أنا وفرقتي أكثر من ٣٠ مدنيًا).

يقول السيد ماسي الذي رأى جثثًا تهان وتسرق وجرحى مدنيين يرمون على قارعة الطريق دون إسعاف. وبعد أن أخبر ضابطه أنه يشعر بأنهم يرتكبون جرائم إبادة، أطلق عليه الضابط لقب (جبان).

والسيد ماسي الذي شخصت حالته بأنه يعاني من كآبة وضغوط عصبية ترك المارينز في تشرين ثان/ نوفمبر. وفي بيته في سموكي ماونتنز في ولاية نورث كارولينا يقول إن سبب المقاومة في العراق هو (أننا قتلنا الكثير من الأبرياء).

وكانت فرقة الأسلحة البحرية السابعة التي ينتمي إليها والمسلحة بالمدافع الآلية والصواريخ، من أولى الفرق التي تدخل العراق في مارس العام الماضي. ويقول عن ذلك: كنا نستولي على القرى ونقاط التفتيش، وكنا نطلق رصاص تحذير على السيارات القادمة. ولكن إذا لم تتوقف لم نكن نتردد في إطلاق النار عليها.

لقد قيل للمارينز أن العراقيين كانوا يملأون سيارات الإسعاف بالمتفجرات ويرتدي الجنود ثيابًا مدنية، ولكن سرعان ما بدأ المارينز بعد إطلاق النار على سيارات العراقيين دون أن تنطلق أية متفجرات، يشكون في حقيقة تلك الادعاءات.

ويقول ماسي: لم يكن في المجمعات العسكرية العراقية أي شيء سوى الدبابات المعطلة والمفككة والأجهزة التي لا تعمل والثكنات التي تبدو مثل مدن أشباح.

وأكثر حادثة ظلت عالقة في ذاكرته وقعت في أوائل أبريل/نيسان قرب مجمع عسكري عراقي يبعد خمسة أميال عن مطار بغداد: كان هناك تقريبًا ١٠ متظاهرين قرب دبابة. سمعنا طلقة من بعيد وفتحنا عليهم النار. قتل الجميع ماعدا واحدًا. وقد تركنا القتلى في أماكنهم.

لاحظنا أنه كان هناك بعض الأر بي جي على بعد ٢٠٠ متر منهم – وربما جاءت هذه من المجمع العسكري – يعني أن المتظاهرين كان بإمكانهم أن يطلقوا علينا النار ولكنهم لم يفعلوا. كان الناجي الوحيد مختبئًا وراء عمود يبعد عنا بحوالي ١٥٠ مترًا أشرت إليه بسلاحي أن يهرب. كان نصف إحدى قدميه مقطوعًا. ابتعد وهو يجر قدمه وكنا نضحك ونهتف.

ثم جاءت شاحنة مسرعة. أطلقنا عليها الرصاص. أحد الركاب قفز فقتلناه، وكان السائق ميتًا. ثم جاءت سيارة تويوتا كورولا. قتلنا السائق وخرج من السيارة راكب رافعًا ذراعيه إلى الأعلى فقتلناه.

جاء يركض نحونا جندي من فرقة ليما وقال لنا (هيا.. لقد قتلتم ذلك الرجل ولكنه كان رافعًا ذراعيه) بعد ذلك مُنحت وحدتي وقائدي وأنا إجازة لبقية اليوم. وبعد خمس دقائق احتلت فرقة ليما مواضعنا وأطلقت النار على سيارة فيها امرأة وطفلين، وقتل الجميع.

في اليوم التالي كانت فرقتي تحرس نقطة تفتيش عند ملعب بغداد الدولي "جاءت سيارة كيا سبيكترا بسرعة ٤٥ ميل في الساعة. أطلقنا الرصاص تحذيرًا ولكنها لم تتوقف ثم صوبنا نحو السيارة وأطلقنا عليها النار بكثافة. توقفت الكيا أمامي: ثلاثة من

الركاب الأربعة كانوا قد قتلوا وأصيب الرابع والدماء تغطيه. طلبنا القسم الطبي ولكنه مات قبل أن يصلوا. في ذلك اليوم قتلنا ثلاثة آخرين بنفس الظروف. وفيما بعد قلت لقائدي: إنه يوم سيئ. فرد قائلا: (كلا إنه يوم جيد).

وقد شاهد السيد ماسي أثناء أداء مهامه في العراق عراقيين جرحى يرمى بهم على جانب الطريق دون إسعاف. وكان رد فعله للحدث الذي أدى حصار الفلوجة – منظر الجثث المتفحمة لرجال الأمن الخاصين الأمريكيين – أن قال (لقد فعلنا نفس الشيء لهم).

ويوضح قائلا: إن العراقيين شاهدونا ونحن نهين أمواتهم طوال الوقت. كنا نتحلق حول جثثهم المتفحمة نمثل بها. نركلهم خارج السيارات ونضع سجائر في أفواههم. كما رأيت مركبات تدوسهم. وكان عملنا تفتيش جيوب العراقيين القتلى لنجمع معلومات. ولكني كنت أشاهد أيضًا المارينز وهم يسرقون السلاسل الذهبية والساعات والمحافظ المليئة بالنقود.

نخوض حربًا غير التي يتحدث عنها السيد بوش

٢٠٠٦/٨/٢٩

المصدر: لوس أنجيليس تايمز

في قاعة الطعام في ثكنة عسكرية أمريكية جنوب بغداد كان الرئيس بوش على شاشة التلفزيون الكبيرة يخطب حول الحرب على العراق. لم يكلف الجنود أنفسهم بتحويل أنظارهم عن الدجاج والبطاطس المهروسة.

في حين يستعد القادة العسكريون والسياسيون لتقديم تقرير (التقدم) في هذه الحرب إلى الكونغرس الشهر المقبل، يشعر عدد متزايد من الجنود بالاستهجان من الأحاديث المتفائلة التي يقولون إن القادة على الأرض والبيت الأبيض يستخدمونها في مناقشاتهم حول الحرب، وقد بدأ الجنود يصرخون بأعلى صوت حول إحباطاتهم بسبب تمديد فترات الخدمة التي تجعل الكثير منهم يعيشون ظروفًا خطرة وغير مريحة. يقول بعضهم إن حربين تشن هنا: الحرب التي يراها الجنود أنفسهم، والأخرى التي يود القادة الكبار والسياسيون أن يراها العالم.

يقول الجندي يفنسون ترتولين وهو أحد الموجودين في قاعة الطعام في اليوسفية على بعد ١٠ أميال إلى جنوب بغداد "لا أرى أي تقدم.. فقط المزيد من قتلانا. لم أعد أريد أن أكون هنا بعد الآن".

ويأتي هبوط معنويات الجنود في الوقت الذي تواجه فيه إدارة بوش ضغطًا متصاعدًا للبدء بسحب القوات.

وقد نشرت (التايمز) يوم الجمعة أنه من المتوقع أن ينصح الجنرال بيتر بيس، رئيس هيئة الأركان، الرئيس بوش بخفض القوات في السنة المقبلة إلى النصف بسبب نقص الجنود.

ولكن بيس قال يوم الجمعة " الخبر خاطئ وهو من قبيل الافتراضات فأنا لم أقرر بعد ما سوف أقدم من توصيات".

يقول السارجنت ميجور مارفن هيل، الذي يطوف على القواعد العسكرية في العراق لرفع معنويات الجنود نيابة عن الجنرال ديفد بترايوس قائد القوات الأمريكية في العراق، اعتمادًا على ما رآه أن معنويات الجنود تستحق درجة (٨) في ترتيب الدرجات من ١ -١٠.

"الوحدات التي تحقق نجاحات حقيقية هي حيث تكون معنويات الجنود عالية جدًّا. والوحدات التي تتعرض للخسائر – سواء في الأرواح أو الإصابات – هي حيث تكون المعنويات هابطة قليلا".

إن علامات الإحباط وتقريع الذات لا تخطئها العين بضمنها التعليقات القاسية، والبوح على الإنترنت ونتائج المسوحات التي تجرى على معنويات الجنود ومعدلات الانتحار.

وأحيانًا تجد هذه العلامات في المراحيض في المعسكرات مثل معسكر ليبرتي حيث سجل بعضهم قائمة المساعدة للتعرف على "تسع علامات للانتحار" وعلى إحدى القوائم تم تأشير سبع إجابات بنعم.

كتب جندي في محافظة ديالى شمال بغداد في مدونته على الإنترنت يوم ٧ أغسطس/ آب:

"هذا الاحتلال، حفرة الأموال هذه، هذا العدوان غير المبرر، ينحدر إلى قاع اليأس كل ثانية".

ويضيف هذا الجندي الذي يسمي نفسه أليكس من فريسكو "الشخص الوحيد الذي أعرفه والذي كان يعتقد بأن الحالة في العراق تتحسن، قتله قناص في شهر مايو/ آيار".

معدل الانتحار بين الجنود الآن في أعلى مستوى منذ ٢٣ سنة. وهو ١٧,٣ لكل ١٠٠ ألف جندي بالمقارنة مع ١٢,٤ لكل ١٠٠ ألف في ٢٠٠٢ ، ومن ٩٩ حالة حدثت العام الماضي، وقعت ٢٧ منها في العراق.

وآخر مسح للصحة العقلية أجري على الجنود في العراق ونشرت نتائجه في مايو/ آيار، يقول: إن ٤٥٪ من ١٣٢٠ جندي تم سؤالهم يعتبرون أن معنويات الجنود في الحضيض، وفقط ٧٪ كانوا يعتقدون أن المعنويات مرتفعة جدًا.

لقد ساءت مؤشرات الصحة العقلية في السنتين الأخيرتين كما تقول سندي وليام وهي خبيرة أفراد في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا "تكرار نشر القوات طويل المدى يسبب ضغطًا عقليًا حادًا".

معظم القوات في العراق يتوقعون ١٢ شهرًا من الخدمة. ولكنها مددت في مايو/ آيار لمدة شهرين آخرين، والآلاف منهم كان يؤدي الخدمة للمرة الثانية أو الثالثة.

النتيجة أنه لدينا قوة مقاتلة تتكون من كثير من الجنود المرهقين، في حين يأتي بترايوس الذي استلم المهمة قبل ستة أشهر ليطلب منهم أن يتبنوا تكتيكات مكافحة الإرهاب. وهذه الخطط تتضمن العيش (خارج الأسلاك) بالتعبير العسكري أي في ثكنات تجعل الجنود أقرب للعراقيين. والنظرية هي أن الناس سوف تثق بالجنود حين تراهم على القرب وسوف يبلغونهم بما يعرفون من معلومات.

ولكن هذه الثكنات تفتقر غالبًا للضروريات الأساسية مثل الماء النظيف والمراحيض الحديثة والهواتف والإنترنت وكل ما يتمتع به بقية الجنود في المعسكرات النائية خارج المدن مع صالات طعام وأدوات رياضية. كما أن الجنود في الخط الأمامي يتعرضون إلى مخاطر أكثر من أولئك المحتمين بقواعدهم.

منذ بداية الحرب كان هناك ٨ أشهر زادت في كل منها نسبة موت الجنود على ١٠٠ بضمنها الأشهر الثلاثة منذ زيادة القوات.

في اليوسفية يحتل الجنود أرض مصنع بطاطس سابق، مكشوفة للشمس الحارقة ويستخدمون مراحيض شرقية ولا يستحمون إلا حين يكون هناك مياه كافية. ويتريضون ركضًا حول منطقة كونكريتية لا ظل فيها. وهناك جنود في هذه المنطقة يعيشون في ظروف أسوأ.

يعتقد الميجور روب جريجس الذي يؤدي هنا خدمته للمرة الخامسة، أن الظروف القاسية جيدة للمهمة التي هم بصددها. بدون أنواع اللهو المشتت، ينصب تركيز الجنود على مهمتهم. ويوضح جريجس الذي ينام ويعيش في نصف حاوية شحن معدنية طولها ٢٠ قدمًا في قاعدة اليوسفية "هذا يسمح لهم بالتركيز على سبب وجودنا هنا"، وأن يعيش الجنود نفس الظروف التي يعيشها الكثير من العراقيين يساعدهم على إقناع الشعب العراقي بأن الأمريكان صادقون في رغبتهم بتحسين الأوضاع كما يقول.

ولكن الفروقات في ظروف المعيشة والعمل بين الجنود تزيد من المرارة والنيل من المعنويات. وكذلك الشعور بان المهمة عقيمة وهو اعتقاد يغذيه جمود العملية السياسية وانعدام الثقة في القوات العراقية.

يقول السارجنت دونالد ريتشارد هاريس وهو يقارن وجهات النظر بين الجنود وقادتهم العسكريين في القواعد البعيدة: "هناك حربان مختلفتان. وتبدو أنها عملية فاشلة" وحين سئل أن يضع ترتيبًا لدرجة المعنويات في وحدته قال هاريس إنها ٤ من ١٠ "انظر إلى هؤلاء الشباب. هذا هو وقت راحتهم" وكان الجنود الشباب يجلسون حوله يمسحون الغبار من بنادقهم عقب هبوب ريح عاصفة على قاعدتهم الصغيرة وهي منزل مهجور يحيطه أكياس الرمل والأسلاك الشائكة.

يقول السارجنت كلارك مرلين "قد يبدو هذا شيئًا أنانيًا، ولكن لو كان لدينا فقط هواتف وخدمة إنترنت".

كان يفترض أن تغادر وحدتهم العراق هذا الشهر ولكن الخدمة مددت حتى تشرين الثاني. هذا يعني ثلاثة شهور أخرى من استخدام الأكياس البلاستيك كمراحيض وإحراق فضلاتهم وانتظار طرود من أهاليهم.

يقول ميرلن: إن درجة المعنويات هي ٤ أو ٥ من ١٠ "أعتقد أن تمديد الخدمة يشكل ٩٩٪ من هبوط المعنويات".

يقول خبير مكافحة التمرد ستيفن بيدل من مجلس العلاقات الخارجية: إن موضوع (الحربين) شائع في مناطق النزاعات حين يشعر الجنود في الخطوط الأمامية بالحسد تجاه جنود القواعد وحيث يعتقدون أن قوادهم بعيدون عن حقائق الميدان.

ويضيف بيدل الذي كان من الذين قدموا الخبرة والاستشارة لديفد بترايوس: "ولكن هذا النوع من الحرب يضخم من ذلك الإحساس" حيث إن قلة راحة الجنود بالترافق مع مهمة إقامة علاقات مع العراقيين الذين لا يثقون بهم والذين لا يخفون كرههم للوجود الأمريكي.

"كل حرب سياسية بالدرجة الأولى ولكن عادة الجنود لا يفكرون كثيرًا حول هذه المسألة. ولكنهم يفعلون ذلك في هذه الحرب إلى درجة كبيرة حيث يطلب منهم أنشطة اجتماعية تتضمن التفاوض مع زعماء عشائر كانوا يدعمون المتمردين إلى وقت قريب، وعقد صفقات مع متمردين سابقين للانضمام إلى القوات الأمنية العراقية والاستماع إلى شكاوي المواطنين حول نقص الخدمات".

يقول بيدل: "عليك أن تساعد الناس الذين تشك شكًا قويًا بأنهم لا يريدون لك الخير. إننا نطلب من هؤلاء الشباب ما فوق طاقتهم".

وتزداد الصعوبة مع جيش درب على قتال جيش تقليدي يرتدي زيًا خاصًا ولكن في العراق هم يواجهون مختلف أنواع القوى غير التقليدية. معظمهم كان يظن أن واجبه انتهى عند الإطاحة بصدام حسين ولكنهم وجدوا أنفسهم بعد ذلك ينظمون المرور في شوارع بغداد. بعد أربع سنوات مازالوا يزاولون السياسة ويقومون بأعمال اجتماعية لم يتوقعوها.

يقول السارجنت كيفن ليتريل الذي ضاع أمله في مغادرة الجيش في شهر مايو/ آيار حين مددت خدمته: "أضف إلى ذلك، تفجيرك وإطلاق الرصاص عليك مما يجعل من الصعب عليك تقديم خدمة مع ابتسامة".

ضابط أمريكي:
لماذا لا نستطيع الانتصار في هذه الحرب؟

آل لورينتز(*)

٢٢ سبتمبر ٢٠٠٤

المصدر: Lewrockwell.com

قبل أن أبدأ دعوني أبين أني عسكري أخدم في العراق الآن، لا أقضي خدمتي جالسًا على كرسي وثير في مكتب ما في الخطوط الخلفية كما أني لست بصاحب مثالية سياسية أو جندي صغير غرير، بل إني ضابط محنك لي خدمة ٢٠ سنة تقريبًا.

إضافة إلى ذلك فأنا لست بعسكري لا يرى من الحرب غير معاركها، فأنا في الشؤون المدنية وبهذه الصفة فإن عملي هو أن أكون واعيًا لكل الأحداث التي تحصل في هذه البلاد وخاصة في منطقتي.

لقد توصلت إلى استنتاج أننا لن نربح هذه الحرب لعدة أسباب فالأيديولوجية والمثالية لن تستطيع أن تمحو التاريخ والواقع.

عندما كنا نستعد للذهاب إلى العراق قلت لجنودي الشباب أن يحذروا من (الحل السياسي). ففي الوقت الذي تعتقد فيه أن الوضع على الأرض تحت سيطرتك يأتي أحد ما بتوجيه سياسي ويرميك

(*) آل لورينتز رئيس سابق لحزب الدستور في تكساس وهو حاليًا احتياطي يخدم في العراق.

خارج طريقك.

وأعتقد أننا كنا سنستطيع أن نربح هذا الغزو غير الدستوري للعراق وربما كان الاحتلال غير الدستوري سينجح وكذلك إخضاع هذه الدولة ذات السيادة، وكان حتى من الممكن فرض الديمقراطية على هذا الشعب الذي يبدو أنه لا يملك رغبة أو فهمًا أو احترامًا لمثل هذه الخطوة. حقًا إن النجاح في كل هذا كان سيستغرق وقتًا طويلا ويتطلب بضع مئات من بلايين الدولارات وحتى المزيد من الضحايا أكثر مما رأينا حتى الآن ولكن مرة أخرى أكرر أن ذلك كان ممكنًا، ليس واقعيًا أو ضروريًا ولكن ممكنًا.

هذه هي الأسباب المحددة لاستحالة الانتصار في هذه الحرب:

أولا: نحن نرفض أن نتعامل مع الواقع. أننا نخوض حرب عصابات ولكن بسبب السياسة لا يسمح لنا أن نعلن ذلك بل يجب علينا أن نسمي قوات الحرب الشعبية المصطفة ضدنا (إرهابيين ومجرمين وانتحاريين).

وهذا يوحي بأن هناك عددًا محددًا في العملية. أعني نستطيع ببساطة أن نقتل عددًا (س) من العدو ثم تنتهي المعركة وتكتمل المهمة وينتصر الجميع. لسوء الحظ هذه ليست القضية. إننا لا نملك إلا القليل من الأدوات في معيتنا وهذه أثبتت عجزها عن التعامل مع حرب العصابات.

إن فكرة قتال رجال العصابات هو ليس قتل كل رجل منهم (وهذا شيء مستحيل إذ يستطيع أن يخفي نفسه نهارًا بين أفراد الشعب) بل إن فكرة حرب العصابات هو القضاء على قاعدة مساندته.

فما دام هناك دعم لرجال العصابات فمقابل كل واحد تقتله هناك اثنان سيحلان محله. وفوق ذلك فإن أدواتك لقتله هي ذخيرة دقيقة التصويب وغارات وأفعال أخرى من شأنها أن تتسبب في

وقوع ضحايا مدنيين مما يزيد من التأييد الشعبي للمقاومين ويقلل من التأييد لك (أن قنبلة بوزن ٥٠٠ رطل تتسبب في وقوع ضحايا في محيط ٤٠٠ متر على الأقل، وعليك أن تقوم بعملية حسابية).

ثانيًا: أن تقديرنا لما يحرك العراقي العادي يعتمد مرة أخرى على (الخبراء) ذوي الدوافع السياسية والذين أخطأوا التقدير. وهكذا جئنا إلى هنا ونحن نحمل الفكرة الخيالية من أن السكان جميعًا أميون ويسكنون في بيوت من الطين ويركبون الجمال وسوف يصطفون على جانبي الشوارع التي يفرشونها بسعف النخيل ويرموننا بالزهور وهم يشعرون بامتنان أبدي لنا. وفي حين كان هناك لبعض الوقت بعض الترحيب بنا من بعض السكان ولكن أشهر الاحتلال الطويلة وأفعال قواتنا النظامية حولت الصديق السابق إلى عدو جديد.

إن محاولات تغيير التفكير في هذا الاتجاه بلا جدوى. وليس صحيحًا سياسيًّا الإشارة إلى حقيقة أن السكان لا يزدادون كرهًا لنا فقط وإنما يزدادون اضطرابًا وعداء واضحًا. وبدلا من معالجة أسباب غضب السكان منا، نسمح للسياسيين في واشنطن أن يقدموا لنا أسبابًا مريحة ولكنها خالية من أي لمحة من الحقيقة.

يقال لنا إن السكان غاضبون ليس لأن جيشنا العدواني يحتل بلادهم ولا هم غاضبون من الدولة البوليسية التي خلقناها أو بسبب أسلوب تعيين ممثليهم بأنفسنا. وإنما يقال لنا إنهم غاضبون بسبب حفنة من الإرهابيين الأشرار الذين يتسببون في هذا الغضب، إلى جانب السبب التقليدي المناسب دائمًا وهو (تحيز الصحافة اليسارية ضد الإدارة الأمريكية).

ثالثًا: أن المقاومين يعوضون خساراتهم بأسرع مما نستطيع خلقها. وهذا هو حال حرب العصابات دائمًا خاصة عندما يكون التكتيك الذي تنتهجه في قتال العصابات هو استهدافهم وليس

القضاء على المساندة التي تدعمهم. مقابل كل مقاوم نقتله بقنبلة ذكية نقتل عددًا كبيرًا من المدنيين الأبرياء ونخلق حالة من الغضب العاصف في المجتمع العراقي. هذا الغضب يترجم إلى مزيد من تجنيد العناصر للمقاومة وانعدام التأييد لنا.

لقد وقعنا ضحايا إلى عقلية تعداد القتلى. لقد أبدينا رغبتنا في التسبب في سقوط ضحايا مدنيين كضرورة حربية بدون أن ندرك أن هذه الإصابات تخلق موجات من الحقد ضدنا. ويترجم هؤلاء العراقيون الغاضبون مشاعرهم إلى التحاق المزيد من المتطوعين في جيش العصابات وإلى تعاون المزيد من الناس معهم.

رابعًا: أن خطوط إمداداتهم وتموينهم أقصر من خطوطنا بكثير وأقل عرضة للاستهداف. نحن يجب أن نستورد كل شيء نحتاجه في هذه البلاد وهذا يكلف أموالا إلى جانب أنه يشكل خطورة فالمواد المستوردة سواء كانت تنقل بطيارة أو شاحنة عرضة للهجمات خاصة الشاحنات. وهذا لا يتسبب فقط في إمكانية قطع الطرق على الإمدادات وإنما تصبح كل حبة نأكلها وكل رصاصة وكل ضمادة في النهاية أغلى ثمنًا.

وعلى العكس من ذلك، يعيش رجال العصابات على جبل تموينهم ولديهم كل الوقت لتطوير شبكة معقدة لإيصال الإمدادات. إضافة إلى أن لديهم ميزة تعاون الأقرباء والأصدقاء والشبكات الدينية التقليدية.

خامسًا: نحن باستمرار نقلل من شأن العدو ومن قدراته. في حين أن استعداداتنا لم تكن لهذه الحرب، إنها الحرب الخطأ بالنسبة لنا فتكتيكاتنا لم تكيف لتناسب هذا الميدان ونحن نتأخر باستمرار. في حين أن العدو يستمر في ابتكار وتحديث تكتيكاته وقد أظهر مهارة ملحوظة وتكيفًا سريعًا.

ولأن الإدارة الأمريكية الحالية مهتمة بصورتها أكثر من

اهتمامها بالحقيقة فهي تفضل الرمز على الواقع: الجنود يموتون ويعوقون ويشلون مدى الحياة. إنه شيء مأساوي وبالتأكيد إجرامي ما يفعله موظفونا المنتخبون الذين هم على استعداد للتضحية بكبرياء وشرف الشعب إضافة إلى إراقة الدم والمال من أجل السعي وراء أجندة غير واقعية وغير دستورية.

ومما يثير السخرية أن هذه الحملة غير الدستورية ينفذها جنود مثلي أقسموا على احترام وحماية دستور الولايات المتحدة، وهو نفس القسم الذي أداه قائد القوات المسلحة نفسه (بوش).

لماذا ذهبنا إذن؟

الجندي مايك هوفمان

حاوره: توم بارتون

المصدر: traveling soldier

قال الضابط لجنوده: "لا نذهب إلى هناك بسبب أسلحة الدمار الشامل، ولا نذهب إلى هناك للتخلص من صدام حسين أو من أجل الديمقراطية".

الجندي مايك هوفمان شارك في مرحلة غزو العراق وهو الآن عضو في جماعة (محاربون من أجل السلام) في فيلادلفيا. وقد حاوره توم بارتون من موقع (الجندي الجوال traveling soldier) أثناء التظاهرة يوم ٢٠ مارس أمام قاعدة براج، مقر الفرقة ٨٢ المحمولة جوًّا.

بارتون: كنت في القوات المسلحة، القوات البحرية. هل هذا صحيح؟

هوفمان: نعم.

بارتون: ماذا كان اختصاصك ووحدتك؟

هوفمان: كنت جندي مدفعية من سرية روميو، الكتيبة البحرية الخامسة الملحقة بالفوج بحري ١١ الذي شارك في الحرب على العراق.

بارتون: متى كنت في العراق؟

هوفمان: عبرت إلى العراق في ٢٠ مارس مع بقية القوة الغازية وتركت العراق حوالي ١ آيار / مايو.

بارتون: لقد فهمت أنه من أجل تهيئتك للحرب كان هناك سارجنت يقول لكم سبب الحرب.

هوفمان: عندما كنا ما نزال في معسكر ليجون جاء السارجنت أول الذي يعتبر أعلى عضو في وحدتنا، ووقف أمام السرية وكنا كلنا مستجدين وقد غادرنا جميع الضباط. وقال لنا رأيه في الحرب، قال: "إننا لسنا ذاهبين إلى هناك بسبب أسلحة الدمار الشامل، ولسنا ذاهبين إلى هناك للتخلص من صدام حسين أو من أجل الديمقراطية. نحن ذاهبون هناك لسبب وحيد وهو النفط".

ثم بعد ذلك استمر قائلا بأننا ذاهبون ليس لأننا أُمرنا بذلك ولكن لأن أصدقاءنا ذاهبون إلى هناك ومن واجبنا والتزاماتنا تجاههم أن نضمن إعادة كل منهم إلى الوطن قطعة واحدة.

بارتون: أعرف مما أخبرتني به سابقًا أنك حتى قبل أن تذهب كان لديك أسئلة بخصوص الحرب. وما أتساءل عنه هنا هو: كيف أثر تواجدك الفعلي هناك على رأيك؟

هوفمان: لقد أضاف فعلا قدرًا كبيرًا من التصميم إلى أفكاري لأني بعد أن ذهبت هناك رأيت ما كانت تعنيه هذه الحرب. رأيت القرى المهدمة ورأيت القتلى من الجانبين، ورأيت حياة الكثيرين تتحطم مما حدث هناك ومما فعلته قواتنا هناك.

بارتون: أفهم مما أراه في الصحف أنهم يخططون لإعادة إرسال بعض الوحدات إلى العراق وقد عادوا لتوهم من هناك ويضمنهم المارينز في الساحل الغربي.

هوفمان: الساحل الغربي عاد فعلا إلى العراق. كانت الفرقة الأولى البحرية هي الفرقة التي حاربت في بداية الغزو ثم بعد ذلك بقليل. وقد عاد معظمهم في آب/ أغسطس. وقد عادوا إلى هناك الآن ويقومون بحراسة المنطقة الغربية من العراق.

بارتون: هل لديك أية فكرة عما يشعرون به الآن؟

هوفمان: إنهم منزعجون وغاضبون كأي واحد في مكانهم. إنك تؤدي مهمتك هناك ثم بدون أن تدري تجد نفسك عائدًا مرة أخرى إلى الجحيم.

بارتون: لقد نشرت وسائل الإعلام أنه منذ أن أثارت الفرقة الثالثة مشاة المشاكل حول استمرار بقائها هناك، حظر على الجنود التعبير عن آرائهم ضد الحرب. هل هذا يشمل المارينز أيضًا؟

هوفمان: إنه يشمل كل واحد. ولكن كان الحظر موجودًا من قبل، فقد أبلغونا بما يجب أن نقوله أو لا نقوله لوسائل الإعلام وأبلغوا وسائل الإعلام أيضًا بالمسموح بنشره. وفوق كل ذلك، كان هناك ضغط غير معلن على كل واحد لئلا يتفوه بالشيء الخطأ. وكلنا كنا نعرف ما هو الشيء (الخطأ): كل ما ينتقد قرار الحرب وما يجري هناك. ورغم أني خارج الجيش الآن فعندما عدت إلى فيتفيل الليلة الماضية، ورغم أني لم أكن مجندًا في هذا المدينة وما عدت في الجيش على أية حال ولكن شعرت بالضغط موجودًا لمجرد وجودي هنا.

بارتون: هل يمكن أن تقول من تجربتك الخاصة ومن تجارب الآخرين الذين تحدثت معهم أن انتقاد الحرب يزداد أم يتناقص؟

هوفمان: بالتأكيد يتزايد كلما طال الاحتلال لأنهم لا يرون طريقًا للخلاص. إنهم يفعلون أشياء تقريبًا مثل ما سمعوه عن فيتنام حين كان الجنود يؤمرون بالقيام بدورية وبدلا من تنفيذ الأوامر كانوا يجلسون خارج القاعدة ويرسلون إلى آمريهم تقارير كاذبة. هنا يرسل الجنود في دورية وبدلا من القيام بدورية حقيقية يقفزون في مركبة همفي وينطلقون بها في شوارع المدينة بسرعة فائقة من أجل تفادي أية مواجهات. وليس هذا هو المقصود بالدورية. فكرة الدورية أن تجمع معلومات.. أن تحدث فرقًا هناك. هؤلاء

الشباب يريدون فقط أن ينتهوا من مهماتهم بدون أن يفقدوا حياتهم.

بارتون: هناك رأيان مختلفان حول ما على الجنود الذين يرفضون الحرب فعله. الرأي القائل إن على الجندي أن يقف في وجه ضابطه ليقول له: "يا سيدي إن ضميري يمنعني من أن أطلق النار على عدوي"، والرأي القائل والمؤيد لنموذج فيتنام أن على المعارضين أن يتجمعوا وينشئوا شبكات منظمة قبل إعلان معارضتهم. أي أنهم لا يقومون بأعمال انتحارية. ما رأيك؟

هوفمان: أعتقد أن الأمر سوف يشمل كلا الرأيين. مثل ما حدث في حركة الحقوق المدنية كان هناك مارتن لوثر كنج الذي كان ينظم ويتبع الأساليب السلمية وكان هناك أشخاص مثل مالكولم إكس الذي كان متطرفًا ويهدد بأعمال عنف. الآن نحتاج إلى النوعين: الأشخاص الذين يقفون في وجه ضباطهم ليعلنوا "أرفض أن أفعل ذلك" وسنحتاج إلى النوع الآخر الذي ينظم سرًا.

بارتون: والآن منذ عودتك ما هي الأنشطة التي قمت بها من أجل الحصول على تأييد الجنود والمدنيين؟

هوفمان: أكثرهم مدنيون بسبب موقعي الآن في فيلادلفيا ولا يوجد فيها تجمع عسكري. ولكن في أي فرصة تصادفني أخرج في التظاهرات والمسيرات وأخطب، وقد ذهبت إلى جامعات عديدة. وهذه أماكن عظيمة يمكن التحدث فيها لأن معظم الجنود الاحتياط العائدين من العراق يؤمون الكليات لاستئناف دراساتهم وكذلك يفعل الجنود النظاميون. يمكن القول أني أنتهز أية فرصة.. سواء في مسيرة أو الجلوس إلى جانب شخص ما في البار لأوصل الرسالة.

بارتون: كانت جماعة (محاربون من أجل السلام) فرع مدينة نيويورك تتحدث عن خطتها للذهاب إلى اجتماعات الجنود الاحتياط الذين على وشك إرسالهم إلى العراق من أجل إبلاغهم بالجنود

والمحاربين القدماء المناهضين للحرب. هل تعتقد أن ذلك سيفيد؟

هوفمان: أعتقد أن ذلك شيء جيد جداً. ففي القواعد العسكرية كنا نسمع فقط عن محاربين الحروب الأجنبية والفرقة الأمريكية ولكننا لم نسمع عن محاربي من أجل السلام، أو محاربي فيتنام ضد الحرب ومثل هذه المنظمات. ويجب أن تعلن هذه المنظمات عن وجودها بقوة. فأنا لم أسمع عن (محاربون من أجل السلام) إلا بشكل عرضي وكانت شيئا رائعا بالنسبة لي. يجب أن نفعل كل ما من شأنه إعلان وجودنا داخل الجيش.

جرب أن تضع قدمك خارج المعسكر!

العريف دان وايات

wvgazettemail.com

العريف دان وايات شارك في الغزو ٢٠٠٣ منذ اليوم الأول ثم عاد وأرسل إلى العراق في مدة خدمة ثانية في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٤ وكانت مهمته حراسة المعسكر في الكرابلة.

يقول: إن كلمة (موت بطيء) مخطوطة على كل جدران المدينة ولا يعرف من المقصود بالموت البطيء.

وقد غادر وايات العراق في عيد ميلاده الثامن والعشرين بعد خدمة سنتين. ويتحدث اليوم وهو في منزل عائلته حول شكل الحياة هناك. الفيديو الذي سجله هناك يحكي جزءًا من القصة. صفوف من المارينز يقفون بصمت وعيونهم تحدق في مشهد يتكرر كثيرًا: بندقيتان موضوعتان في بسطالين عسكريين وفي أعلى البندقيتين خوذتا مشاة البحرية اللذين قتلا. الفيديو يصور وجوه المارينز وهي تلتوي في محاولة لمنع الدموع. آخرون يضعون أيديهم على خدودهم.

يقول وايات: "الناس الذين يقولون إن الأمور في تحسن، أود أن ينضموا إلى الجيش ويروا بأنفسهم ماذا يحدث".

ويروي الفرق بين خدمته الأولى أثناء الغزو وخدمته الثانية فيقول:

في أول ذهابنا كنا نرى بعض الناس يحيوننا ويدعوننا إلى

منازلهم لتناول الشاي والكباب. في خدمتي الثاني كان المشهد كالآتي: نحن نسير راكبين مركباتنا الهمفي وبنادقنا مشرعة والعراقيون يقفون في الظل يحدقون بنا. كان هذا هو المشهد حتى في المناطق التي كنا نجد فيها بعض الترحيب. وفي هذه الأثناء كانت فرقته تعاني الموت يومًا بعد يوم.

"في أول أيام الغزو فقدنا اثنين وأصيب ٥٠ وكان عدد الفرقة ١٢٠٠. كان ذلك هو الغزو. أما الآن فقدنا في خلال شهر ٢٧ قتيلا و٢٠١ جريح. كانت الفرقة على وشك الإبادة وليس هناك استبدال. من هذا تدرك أن الأمور ليست آخذة في التحسن أبدًا".

في القائم كانت مهمة وايات الحراسة وهذا ما أنقذه. كان يعمل من أربع إلى ست ساعات. يقف على البرج مراقبًا الصحراء الممتدة أمامه تحت الشمس الحارقة وليس معه غير علبة ماء ساخن بسبب الجو. وفي الليل يراقب من خلال نظارة معظمة حرارية.

ويقول: لأن الفضاء كان مفتوحًا فلم يجرؤ أحد من المتمردين على مهاجمة المعسكر ولكنهم كانوا يطلقون قذائف المورتر والصواريخ التي تسقط بين خيام المارينز.

ولكن ضع قدمك خارج المعسكر ولن تنجو. يقول: "فقدنا ٣ مارينز في ٥ تموز حينما داسوا على لغم أرضي موضوع على بعد ١٠٠ ياردة من باب المعسكر".

ويقول: "المتمردون يزدادون ابتكارًا في هجماتهم وهم يستخدمون أي شيء لتفجير القنابل.. فتاحات أبواب الجراجات والهواتف الخلوية والألعاب التي تعمل بالريموت. ويفخخون الحيوانات الميتة مثل الكلاب والجمال. يضعون القنابل في قفصها الصدري. أو يخفون القنابل تحت أكوام القش والمخلفات على جانبي الطريق وهذه منها كثير مما لا يمكن أن تفتش كل أكوام المخلفات.

والدوريات التي تنطلق من المعسكر إما تقع في هذه الأفخاخ أو أن المتمردين يختفون في الظلال يرقبون الدوريات حتى تختفي ليمارسوا أنشطتهم".

وعن علاقة المارينز بالشرطة المحلية قال إنه لا يمكن الاعتماد عليهم: "في أحد الأيام اعتقلنا كل ضابط شرطة عراقي في المنطقة ووضعناهم في السجن. كان هناك كمين قرب مركز الشرطة واتضح فيما بعد أن الضباط قد غادروا المكان بدون إطلاق رصاصة".

ما أسهل أن تقتل عراقيًا!

أنيجو جلمور وتيريسا سميث

الجارديان اللندنية

أواخر مارس ٢٠٠٦

الجنود العائدون من العراق والذين يتحولون إلى مناهضة الحرب وفضح جرائمها هم كابوس دائم للإدارة الأمريكية.

مايكل بليك ٢٢ سنة من ولاية نيويورك يقول إنه سجل في الجيش بحثًا عن المغامرة ولا يدري كيف وجد نفسه في العراق من أبريل /نيسان ٢٠٠٣ إلى مارس / آذار ٢٠٠٤ وقضى بعض الوقت سائقًا لمركبة همفي. وبسبب معارضته للحرب من خلال تجربته قدم طلبًا لإعفائه من الجيش على أساس معارضة الضمير. ومنذ ذلك الحين وهو يقوم بنشاطات ضد الحرب.

يقول إن الجنود الأمريكيين مثله لم يكونوا يعرفون الكثير عن العراق أو عن الإسلام قبل إرسالهم هناك، بل كل ما فعله الجيش أن سلمهم كراسًا فيه تعبيرات عربية للاستخدام اليومي، إن الرسالة التي أوصلوها لنا دائمًا كانت "الإسلام شر" و"إنهم يكرهوننا" ومعظم رفاقي الجنود الذين كنت معهم يصدقون ذلك. وقد كانت نقطة التحول في حياته حين تُرك مع زملاء له يومًا لحراسة نساء وأطفال بعد أن اعتقل رجالهم وكانت النساء تبكين والأطفال يصرخون.

ويقول إن النشاط ضد الحرب الآن بمثابة تطهير للشعور بالذنب الذي

يحسه دائمًا. ويقول إنه شاهد عراقيين مدنيين يقتلون عشوائيًّا.

"حين تنفجر عبوة ناسفة على جانب الطريق كانت تعليماتنا وممارساتنا: أطلق النار على كل شيء يتحرك حولك. وكان ذلك يحدث كثيرًا ولهذا يقتل الناس الأبرياء".

وقد أصبح بليك عضوا في (المحاربون القدماء في العراق ضد الحرب) منذ ١٢ شهرًا وهو غاضب لأن الشعب الأمريكي يبدو غير مهتم بالحرب وبالانتهاكات الخطيرة التي يرتكبها الجنود الأمريكان: "وسائل الإعلام الأمريكية لا تغطي ذلك وهم لا يهتمون. إن الشعب الأمريكي لا يرى الحرب الحقيقية وحقيقة ما يحدث هناك".

جندي آخر هو: الان شاكلستون ٢٤ سنة يقول إنه دهس طفلا عراقيًا عمدًا بمركبته وهو يعاني من أرق شديد ويرى الطبيب النفساني كل ستة أسابيع ويتناول حبوبًا منومة.

وفي التظاهرات يحمل لافتة تقول "لا تقتل" ويقول للشعب العراقي: "نحن في غاية الأسف.. في غاية الأسف لما فعلناه بالشعب العراقي".

جو هاتشر يقول: "لقد كنست أشلاء مقتولين من الرصيف ورميتها في سلة المهملات وتركتها هناك على قارعة الطريق".

جودي كيسي ٢٩ سنة، يجيب على سؤال ما الذي يقلقه في حرب العراق؟ بقوله "الإغفال الكامل للحياة الإنسانية. أقصد أننا نفعل ما نفعله لأننا نشعر أننا نحتاج ذلك ولكن حين نشاهد وسائل الإعلام تغطي على ذلك وترمي بالحقيقة تحت السجادة ليقولوا: "إن ذلك لم يحدث".

"لقد رأيت أبرياء يموتون. حين تنفجر العبوة الناسفة فأنت تقتل أي مزارع تراه أمامك. وأنت تعرف أن هؤلاء المزارعين يخرجون لكسب عيشهم ولكن من الناحية الأخرى حين تنفجر فيك أربع أو

خمس عبوات ناسفة تصبح مرهقًا من كل شيء".

ويقول إنهم يسمون كل عراقي (حجي) وهي (تسمية يستخدمها الأمريكان على سبيل إهانة العراقي تعادل كلمة (gook) للجنس الأصفر وهي تعلق في رأسك)هذا حجي! هذا حجي فيتجرد العراقي من إنسانيته ويصبحون بالنسبة لك مثل لعبة فيديو. أقصد إذا بدأت في النظر إليهم على أنهم بشر فكيف تتمكن بعد ذلك من قتلهم؟

وقال إن الجنود الذين خدموا في منطقته قبل وصول وحدته نصحوهم بأن يأخذوا معهم في مركباتهم مساح (مفردها مسحاة) فإذا حدث وقتلوا عراقيين أبرياء ترمى مسحاة إلى جانب جثثهم لتصويرهم وكأنهم كانوا يحفرون لزرع عبوة.

ويقول إن الجو العام الذي يعيشه الجنود الأمريكان هو أنك تستطيع أن تقتل من تريد - كان الأمر بغاية السهولة. حتى أنك لن تضطر إلى النزول وحفر حفر لدفنهم. كل ما عليك أن تلتقط لهم صورة. أنت تقود مركبتك في الطريق الساعة ٣ صباحًا، هناك عراقي على الجانب الآخر من الطريق، اقتله وارم إلى جانبه مسحاة.

موت الجنرال

أُسر الشهيد اللواء في القوة الجوية عبد الحميد مهاوش في ٥ أكتوبر/تشرين أول ٢٠٠٣ قرب الحدود السورية وعذب وقتل في القاعدة الأمريكية في القائم في أواخر أكتوبر ٢٠٠٣.

وكان الجيش الأمريكي قد أصدر بيانًا بعد اغتياله مباشرة جاء فيه أن الضابط في الجيش العراقي عبدالحميد مهاوش توفي بينما كانت القوات الأمريكية تستجوبه، موضحًا أن وفاته نجمت عن أسباب طبيعية على ما يبدو. وأكد البيان الذي وزع في مدينة القائم قرب الحدود السورية غرب العراق أن "مهاوش قال إنه يشعر بوعكة وفقد وعيه. وتبين للجندي الذي كان يستجوبه أن ضربات قلبه توقفت فحاول معالجته بتدليك منطقة القلب ثم طلب السلطات الطبية، وأن جراحًا وصل بعد خمس دقائق وحاول عبثًا أن يعيده إلى وعيه"، مشيرًا إلى أن هذا "الطبيب قال إن مهاوش توفي نتيجة أسباب طبيعية".

ولكن الحقيقة كانت شيئًا آخر. هذه هي اعترافات القاتل:

استضافت قناة سي بي إس في ٩ أبريل/ نيسان ٢٠٠٦ الضابط القاتل ويلشوفر في برنامج ٦٠ دقيقة، وهذا تحقيق كامل عن البرنامج الذي كان بعنوان (موت جنرال).

فـي زمـن الحـرب هـذا ، إلى أي مـدى يمكـن للجنـدي أن يـذهـب فـي اسـتجواب أسير؟ هـل التعـذيب مقبول؟ ومـاذا لـو كـان الأسـير يعرف مكـان اختبـاء صـدام حسـين؟ ومـاذا إذا كـان الأسـير يعـرف كيف يوقف الهجمات على قواتنا؟

هذه هي المعضلة التي واجهت الضابط لويس ويلشوفر حين كان يستجوب الجنرال العراقي من بين أسـرى مهمـين. خـلال الاسـتجواب مات الجنرال. كان ذلك فـي تشرين ثان ٢٠٠٣. هل تمـادى ويلشـوفر في حماية رفاقه الجنود؟ الجيش يظن ذلك وقد اتهمه بالقتل.

ويلشوفر يروي الحكاية من وجهة نظره:

في خريف عام ٢٠٠٣ كـان قـد مضـى عدة شـهور علـى احـتلال العراق ولكن الجيش الأمريكـي كـان مـا يـزال يفقـد جنـوده علـى أيـدي مقاومـة ممولـة جيـدًا. وكـان الضـابط لـويس ويلشـوفر تحـت ضغط مستمر لإيقاف قتل وتشويه الأمريكان الذي يراه كل يوم.

"تـأتي سـيارة الإسـعاف وهـي تحمـل رجـلا قـد تعرفـه أو لا تعرفـه وهو يصرخ وقد فقد طرفًا من أطرافه والدم فـي كـل مكـان وأنـت تقول لنفسك. يجب أن يتوقف كل هذا يجب حماية هؤلاء الرجال".

طريقة حمايتهم حسب تقديرات الجيش هي إيجاد صـدام حسـين - الذي مازال طليقًا - وكسـر شـوكة التمـرد. أحـد الأيـام جـاء الحل إلى أعتاب ويلشوفر بصورة لواء عراقي كان قريبًا من صـدام وكان اسمه عبد الحميد مهاوش.

يقـول ويلشـوفر إنـه ظـن أن مهـاوش قـد يعـرف مكـان صـدام ويمكن أن يساعده في معرفة تنظيمات التمرد ومصادر تمويله.

وقد استجويه بدون أن يضع يدًا عليه ولكنه لم يحصل علـى أي جواب منه وهنا زاد من ضغطه عليه.

"أجبرته على الركوع على ركبتيه وصفعته على وجهه".

سؤال: كيف كان رد فعل الجنرال؟

"أرسلت له إشارة واضحة وقد تغير سلوكه منذ تلك اللحظة. فهم أن المسألة ليست ثرثرة ودية وأننا نعني ما نقول".

ولكن الجنرال أصر على أنه لا يعرف شيئًا عن صدام أو التمرد. وهكذا بعد ٣ أيام من استجواب عقيم وحرمان من النوم، بدأ ويلشوفر بالابتكار.

يتذكر من سنوات سابقة في تمرين على الاستجواب أنه ساعد على حشر جنود أمريكان في براميل نفط من أجل خلق شعور بالفزع والخوف من ضيق المكان. كانت الفكرة هي تعليم هؤلاء الجنود عما يمكن أن يحدث لهم إذا اعتقلوا. في العراق فعل ويلشوفر نفس الشيء ولكن بكيس نوم.

وحين سئل كيف استخدم كيس النوم على مهاوش قال:

"أخذت كيس النوم وكان واقفًا ووضعته عليه مقلوبًا حيث يوضع الرأس موضع القدمين من الكيس".

وأوضح أن الكيس أُلبس على رأس الجنرال وكان مفتوحًا عند الأسفل (مكان الرأس الأصلي) ومن الظهر.

كان مهاوش يزن أكثر من ٢٥٠ باوند وكان عمره ٥٦ سنة وليس في لياقة بدنية جيدة. وأخذ ويلشوفر سلكًا كهربائيًّا وربطه حول وسط مهاوش ليمسك الكيس في مكانه (في الواقع لمنع الهواء من الوصول إليه) ووضع مهاوش على بطنه. ثم باعد بين ساقيه.

"الفكرة هي أن تضعه في مكان معزول مغلق وتضخم الفكرة له بعدم تمكينه من الحركة".

ولكن حين لم يعط مهاوش الأجوبة التي يريدها يقول ويلشوفر إنه وضع يده على فمه في حين كان الجنرال في كيس النوم.

يسأله المذيع: "على فمه أم أنفه؟".

كلا على فمه. واستمر يتحدث تحت يدي. استمر يقول "والله والله لست من تظنه" وأشياء من هذا القبيل".

بعد حوالي ٣٠ دقيقة قرر ويلشوفر أن يستسلم ونزع الكيس من الجنرال.

"كان على وجه الجنرال ابتسامة. تكشيرة على وجهه، وظننت أنه يسخر مني وهكذا أخذت قليلا من الماء ورششته على وجهه لأنه لم يكن يستجيب لأسئلتي ولا أي نوع من الحديث. ورأيت أن الماء تجمع في فمه وعند تلك اللحظة أدركت أن هناك مشكلة. كان الجنرال ميتًا".

يسأله المذيع: "أتصور أنه حين أخذ الأطباء الجنرال من غرفة الاستجواب قلت لنفسك: لقد قتلت ذلك الرجل".

"كلا. لم أفكر بأني قتلته!".

المذيع: "لقد مات. وقد وضعته في كيس نوم وربطته بحبل كهرباء وركعت فوقه وأنت تغلق فمه والآن هو ميت".

وضح ويلشوفر "في كل مرة كنت أضع يدي على فمه لمدة من ثلاث إلى خمس ثوان وبعد أن أرفع يدي يستمر في الكلام. كان مستجيبًا حتى آخر لحظة".

وقال بيان الجيش إن الجنرال مات (لظروف طبيعية) ولكن التشريح وجده مات من (اسفكسيا كتم النفس والضغط على الصدر).

وقد وجه توبيخ لويلشوفر وأعتقد أن هذه هي نهاية الأمر وعاد للعمل بل إنه اختير للترقية. ولكن بعد ثلاثة شهور حين ظهرت صور "أبو غريب" تغير كل شيء. بعد شهر حين نظر الجيش في قضية ويلشوفر مرة أخرى وجهت له تهمة القتل.

يقول فرانك سبنر محامي ويلشوفر: "لقد أعادوا النظر في كل هذه القضايا التي كانت معروفة قبل (أبو غريب) بسبب الضجة التي حدثت

بعد (أبو غريب) وأرادوا أن يظهروا للعالم أنهم ينظفون الدار. أعتقد أنه قرار سياسي أكثر منه ما أسميه قرار عدالة عسكرية كلاسيكية".

وسئل المحامي إذا كان يظن أن ويلشوفر كان مثل كبش فداء أجاب سبنر "أعتقد أنك يمكن أن تقول ذلك".

وتتفهم النائبة الديمقراطية لوريتا سانشيز وجهة النظر هذه وهي عضوة في لجنة القوات المسلحة في الكونغرس والتي ضغطت على البنتاغون للإجابة على (ما يسمى تعذيب وموت مهاوش) (هذا التعبير من قناة الأخبار (وهي تعتقد أن الضباط الكبار في البنتاغون كانوا مراوغين وتعتقد أن مسئولية الموت تقع على قادة وزارة الدفاع).

وتشير إلى رسالة بالبريد الإلكتروني استلمها ويلشوفر ومستجوبون آخرون من المقر في بغداد تنص على ما يلي: "فيما يخص هؤلاء المحتجزين أيها السادة فإنه قد حان الوقت لنزع الكفوف (يعني التعامل بخشونة) الكولونيل بولتز أوضح أننا نريد كسر هؤلاء الأفراد. إن إصاباتنا تتضاعف ويجب أن نبدأ جمع المعلومات لحماية جنودنا من أي هجمات أخرى".

يقول ويلشوفر "نزع الكفوف.. لا يعني شيئًا محددًا لك من وجهة نظرنا رغم أن القصد خلفها واضح. نحتاج إلى أن ننتصر في الحرب. ماذا تفعل من أجل أن ننتصر؟".

ماذا نحتاج من أجل أن ننتصر؟

"حسنًا. التكنيك الذي تعلمناه لم يكن كافيًا ونحتاج إلى تصعيد الأمر قليلا".

من أجل (تصعيد الأمر قليلا) أقر القائد الأعلى في العراق ريكاردو سانشيز قواعد جديدة للاستجواب سمحت بمعاملة أكثر خشونة. ولكن البنتاغون لم يستطع أن يقرر ما هو القانوني ولهذا كانت القواعد تصدر ثم تتغير وتصدر مرة أخرى ثلاث مرات في ٣٠

يومًا وقد وافق الجنرال سانشيز على (أوضاع الضغط) التي قد تكون انتهاكًا لميثاق جنيف وقواعد الحرب للجيش الأمريكي نفسه.

"وفي مذكرة الجنرال سانشيز تلك الأوضاع هي: ضغط الجلوس والوقوف والركوع إلخ".

ماذا يعني "إلخ"؟ يسأل المذيع:

ويلشوفر: "إنك الآن تدرك الارتباك الذي كنا فيه. أشياء مثل (إلخ) لم توضح أبدًا".

لهذا قبل أن يضع مهاوش في حقيبة النوم ذهب ويلشوفر إلى مسؤولته الضابطة الميجور جيسيكا فوس للسماح له وقد سمحت له.

وتقول فوس بتصريح: "لقد قدرت أن استخدام هذا التكنيك هو أسلوب مناسب للحصول على المعلومات من المتحجزين ولم أقصد في أي وقت انتهاك السياسة الرسمية أو قوانين الحرب".

ويقول المحامي: "ويلشوفر لم يفعل ذلك في غرفة منعزلة ولم يفعلها في منتصف الليل حيث لا أحد يرى بل إنه فعلها أمام الجميع. ولذلك إذا كان فعلا يعتقد أنه يفعل شيئًا ينتهك توجيهات الجنرال سانشيز أو معاهدة جنيف أو قواعد الاشتباك كان يمكن لأي شخص أن يراه ويبلغ عنه".

وإذا كان ويلشوفر يفعل ذلك في العلن، فقد كان هناك استجواب خفي آخر قام به مجموعة من المستجوبين.

قبل يومين من موته زار مهاوش فريق من القوات الخاصة ورجال السي آي إيه مسلحين بخراطيم مطاطية. وحين استمر الجنرال في الإصرار أنه لا يعرف شيئًا راقب ويلشوفر الجلسة تتحول إلى العنف.

ويقول: "كان هناك حوالي خمسة أو ستة رجال يضربون الجنرال وكان يتدحرج على الأرض محاولا تفادي مجموعة ليضرب من قبل الآخرين" ويتذكر ويلشوفر أنهم كانوا يصفعونه أيضًا

ويركلونه واستمرت الجلسة لمدة خمس دقائق.

وماذا كان حال الجنرال بعد أن انتهى كل شيء؟

"كان مايزال ممددًا على الأرض يتدحرج ويصرخ قليلا".

وتبين صور التشريح آثار الضرب ومنها "ضلوع مكسرة وكدمات عديدة".

في يناير/ كانون الثاني واجه ويلشوفر محكمة عسكرية بتهمة القتل وبعد أسبوع من الشهادة تعاطف معه المحلفون الضباط وأدانوه بتهمة أقل (القتل بالإهمال) وحكموا عليه بالإقامة الجبرية في منزله ومكتبه وكنيسته (يعني لا يذهب إلى غير هذه الأماكن) لمدة ٦٠ يومًا. في رأي محاميه أن الحكم قاس.

يقول محاميه: "في رأيي أن أمثال لويس ويلشوفر يجب أن يكونوا موضع احترام العالم لأنهم يبذلون أقصى ما في وسعهم لخدمة مصالح أمريكا ولحماية الجنود. حتى لو تجاوزوا الخط قليلا دعونا نتفهم ظروفهم".

وحين سئل ويلشوفر إذا كان يمكن أن يفعل نفس الشيء مرة أخرى، قال: "لقد ساعدت في إنقاذ الجنود وأنا مقتنع مائة بالمائة أني لو كنت أهملت في واجبي أو لو مات جندي واحد بسببي، سيكون ذلك أدعى لإدانتي".

الحياة في المنطقة الخضراء

-١-

يوميات الرائد توم كنتون

المصدر: **keepmedia.com**

في ١٦ مارس/آذار ٢٠٠٣، هبط توم كنتون، وهو ضابط احتياط من ميريلاند يبلغ من العمر تسعة وثلاثين سنة، في مدينة الكويت. كان قد أكمل للتو برنامجاً مكثفاً لمدة شهر لتعلم اللغة العربية في معسكر ديكس. وبعد سبعة أشهر، بعد أن ترأس فريق المترجمين في الكويت وجنوب العراق أثناء الحرب، وجد كنتون نفسه في بغداد، يدير برنامج النفط مقابل الغذاء التابع للأمم المتحدة السابق، الآن بدعم من سلطة الاحتلال. مهمّة البرنامج الجديدة كانت أن تضخ بلايين دولارات الإيراد النفطي العراقي إلى المقاولين (الشركات الأمريكية غالبًا) مقابل السلع والخدمات للمساعدة على تصليح البلاد.

كنتون الذي كان يعمل قبل التحاقه بالجيش في وظيفة مستشار مدني ومدير مبيعات لمدة ١٢ عامًا في أمريكا اللاتينية، يدير الآن البرنامج منذ أكتوبر/تشرين الأول من مكتب في سرداب مع ستّة وخمسين مستخدمًا في مركز المؤتمرات في بغداد، في وسط المنطقة الخضراء التي يسيطر عليها الجيش الأمريكي وعمله مراقبة تنفيذ العقود التي ستساعد على إعادة بناء العراق. وفي أثناء ذلك داوم على كتابة يومياته وهنا مقتطفات منها تغطي الشهرين الأخيرين.

٢٩ تشرين الثّاني / نوفمبر ٢٠٠٣

في الطّريق إلى العمل سألني شخص ما إذا كنت أعرف الرجال الإسبان، قلت: بالتأكيد إنهم يعملون هنا وفي البلدة الأخرى. قال، لا ، ألم تسمع عن الكمين؟ سبعة أو ثمانية رجال إسبان وقعوا في كمين وهم يتجهون إلى جنوب بغداد. إستدرت وركضت تقريبًا إلى حيث يعمل الرجال الإسبان. لم أجد أحدًا هناك، لذا جلست في مكتب صديقي وكتبت رسالة تعاطف باللغة الإسبانية. وفيما كنت أكتب، إخترعت كلّ أنواع الطرق لهم للخروج من موقع الكمين والنجاة بأرواحهم. استمررت بالكتابة على أية حال. تركت الرسالة على مكتب صديقي وخرجت من بناية مقر سلطة الائتلاف المؤقّتة، مررت بالجوركا ، وجنود البحرية ، والأسلاك الشائكة الحلزونية ، وشققت طريقي إلى الخارج إلى موقف سيارتي الهمفي.

مررت بالسيارة على مقهى المنطقة الخضراء باتجاه مكتبي في مركز المؤتمرات. السيّد توم، السيّد توم، السيّد توم — خمسة عشر عراقيًا يسألونني أسئلة حول التفاصيل الصغيرة في العمل الذي نعمله. جاءت مترجمتي إلى المكتب مع عراقيين آخرين أحدهما كان سائق شاحنة سرق زيّه الأسبوع الماضي. هل يمكن أن أساعده؟ استمعت إلى القصّة وأعدته إلى الهمفي معي، قدنا المركبة خلال المنطقة الخضراء، إلى مقر سلطة التحالف المؤقتة، في قصر صدام(*). مررنا أمام المكان الذي ضربه الصاروخ قبل أسبوعين ودمر حفنة مركبات، ومرورًا بالأسلاك الشائكة الثلاثية وجنود البحرية الذين يسألون (عندك هوية؟) والجوركا إلى داخل القصر، وإلى المكتب الصحيح. فهمنا بما فيه الكفاية رجل (الاستخبارات الحربية) لتحديد موعد مستقبلي. وفي الطريق إلى خارج القصر، أوقفني السائق العراقي وقال بإنجليزية مكسرة (الله – أنت – يشكرك – ألف مرة)

(*) قصر صدام: المقصود به القصر الجمهوري مقر الحكومة في العهد الوطني قبل الاحتلال.

قلت له (العفو) لا شيء يستحق الشكر. استغرق الوقت عشرين دقيقة للعودة مشيًا مرورًا بجنود البحرية، والجوركا، وخلال الموانع بيننا وبينهم، وصولا إلى المكتب. كانت الساعة تتجاوز الحادية عشرة صباحًا ولم أكن قد بدأت العمل. ومازال الرجال الإسبان موتى. دعاني اثنان من زملائي العراقيين للغداء عبر الشّارع في فندق الرشيد. خرجنا سوية في ضوء الشمس وبرودة نوفمبر/تشرين الثّاني وبعيدًا عن الفوضى إلى الإحساس بالألفة مع سندويتشات الهامبورجر بالجبنة. كان الوقت بالكاد عصرًا.

١٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٣

تركناهم جميعًا يذهبون إلى بيوتهم. بعد الغداء سمعنا من بعض الحرّاس بأنّ صدام قد أسر قرب تكريت؛ لم يصدق أحد الخبر. كان معي اثنان من مترجميي العراقيين وقد استفسروا باللغة العربية لاكتشاف ما حدث. مشينا خلال الأبواب الزجاجية الدوارة لمركز المؤتمرات واستدرنا لليمين، نمشي بسرعة على السجاد البرتقالي، باتجاه سرداب مركز المؤتمرات، وقابلنا زميلا سألنا إذا كنا قد سمعنا (في وقت سابق من اليوم، أكّدت البي بي سي أسر صدام في مكان ما قرب تكريت).

أثّر عليّ ذلك أكثر بكثير، على الأقل ظاهريًا، من البنات. كانت مشاعري كالآتي: لمدة طويلة جدًّا كنت الضابط، المدير، رئيس المكتب وقد اعتدت على أن أتصرف بحدة وآلية. عندما سمعت الخبر شعرت بأن كل المصاعب التي بذلناها : التغرب عن الأصدقاء والأهل والمهمات والحرارة والصراخ والتوتر والأخطار.. كل ذلك يمكن احتماله الآن.

اقترحت بأنّ نصرف الموظّفين العراقيين اليوم إلى بيوتهم، باعتباره إجراء سلامة في حالة حدوث أشياء مؤسفة في الشوارع وأيضًا لإعطائهم وقتًا للاحتفال. انصرف الجميع.

ذهبت إلى خارج المكتب واستمعت إلى الطلقات النارية وأذان المساجد في غير أوقاتها وأصوات آلات التنبيه في السيارات تنطلق من كل مكان. طلب مني الحرّاس في الفندق الرجوع إلى المظلة الكونكريتية لأن الرصاص كان يهبط في كل أرجاء المكان مما يسميه التحالف "نارًا احتفالية." قالوا بأنّ شخصًا أصيب بطلق ناري في رأسه عبر الشّارع لذا رجعت.

الساعة الآن الرابعة وخمسة عشر دقيقة مساء وأعتقد أني سأعود إلى مقطورتي مبكرًا اللّيلة وأحلم بالشرب حتى الثمالة. يوم الغدّ سنأتي للعمل ونرى كم من العراقيين سوف يأتون. يوم الغدّ سيكون يومًا جيّدًا.

١٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣

الشيء الذي ظل في ذاكرتي هذا اليوم هو الرجل الذي يعقد رباط حذائه. ذلك كان نهاية اليوم. بدأ اليوم عندما كان لدى امرأة مقاولة تعمل معنا موعد مع وزارة عراقية لمعالجة بعض التفاصيل حول شيء كان يبدو في ذلك الوقت مهمًّا. هاتفتني الساعة العاشرة صباحًا وسألتني إذا كنت قد سمعت عن محاولة اغتيال الشخص المهم جدًّا (الذي كان من المقرر أن تلتقي به). كان صوتها هامسًا وهي تروي لي التفاصيل:

قتيل واحد (مترجم في الخامسة والعشرين من عمره) واثنان جرحى وربما أكثر. إن كل الموظفين لدينا مترجمون. سألتها إذا كانت ترتدي سترتها الواقية من الرصاص وإذا كانت تشعر بالأمان وهل تريد أن نأتي ونأخذها؟

نسيت الحصول على رقم الهاتف، لذا بقيت بقرب هاتف المكتب لأربع ساعات، إلى أن عادت واتصلت وقالت بأنّها أخذت سويّة مع الناس الآخرين وهم في طريقهم إلى مقر سلطة التحالف. كان اليوم عيد ميلادها، وفي ذلك المساء كانت شركتها تخطط لإقامة حفلة

لها. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، بعد قضاء النهار في الرقص في عرس كردي قد دعيت إليه - المرة الأولى التي أرقص فيها منذ أن جئت هنا - والأكراد تغيير مبهج من العقلية الإسلامية التي تسود هنا وتحرم المرح واللمس والنظر - أخذني جاري وصديقي الكردي إلى فندق الهيات، وقد أخرجت هويتي بسرعة ليلمحها الحراس البيشمركة. واجتزنا الحراس وصعدنا سلالم إلى المطعم حيث جلست بجانب صديقتي وتمنّيت لها عيد ميلاد سعيدًا. كانت حيّة؛ وكانت راحلة في الصباح التالي لتمضية إجازة الكريسماس. فتحت هداياها، وعندما وصلت إلى الهدية الأخيرة، بدأت الكلام، ولكن كان مثل مشاهدة فلم مدبلج؛ فمها تحرّك، لكن كلّ ما سمعناه هو أصوات طلقات نارية.

مسكتها وسحبتها للأسفل بجانبي على كرسي، تمدّدت على حضني، وأنا أنحني من وسطي لأغطيها بقدر الإمكان. كانت ترتعش. كنت أفهم ما مرت به من أحداث هذا اليوم وللترويح عنها بدأت بالكلام معها حول هدايا عيد الميلاد. الطلقات النارية شيء اعتيادي في بغداد، وكانت تلك الطلقات صادرة عن رشاشات آلية. وقد حظيت بإجابة من حرّاسنا، ومرة أخرى، حتى تحول حوار الطلقات إلى محادثة ساخنة!! واختبأنا كلنا تحت المنضدة. كانت المرأة المقاولة ترتعش وتتشبث بي وكأني قضيب السلامة في لعبة القاطرة القلابة في مدينة الملاهي.

أطفأ النوادل الأضوية، وقمت أنا وتيم (مقاول، وعسكري بريطاني سابق) بسحب الناس الآخرين إلى الحمّام. كنا اثني عشر وقوفًا في حمام الرجال. حول هذا الوقت، اشترك في المعركة — مدفعا الدوشكا التي كان ينصبها البيشمركة فوق السطح (الدوشكا مدافع رشّاشة ثقيلة سوفيتية الصنع). نظرت إلى تيم، وقلت سوف أستطلع لمدة خمس دقائق، وتلوّيت خارج باب الحمّام

على معدتي، إنزلق عبر بلاط غرفة الطعام بدون سلاح أو مصباح كاشف، بحثا عن معلومات، أو بندقية، أو أصدقاء مصابين.

وصلت أولا إلى قاعة الحفلة بجانب الحانة. كان هناك مهندس روسي ضخم، سكران جداً، يصرخ طالبًا سلاحًا. كان الناس الآخرون في الغرفة قلقين منه أكثر مما يحدث في الخارج. ذهبت إليه وقلت باللغة الروسية: مرحبًا، كيف حالك، ما اسمك؟ وقبلته على الوجنتين. كانت رائحته مثل القيء وقد تفاجأ جداً لحديثي باللغة الروسية حتى أنه بدأ بالكلام معي حول شيء مهم جداً. أخبرته أني سأعود مع "العديد من بنادق الكلاشينكوف، " فهدأ.

انتقلت إلى أسفل السلالم نحو الطابق الرئيسي (إطلاق نار قريب كثيف جداً)، رأيت رجلا (قوّة أمن خاص) يركع على السلم. كان صامتًا ومركزًا على شيء فوق الأرض، تقرفصت بجانبه، سألته إذا كان قد أصيب هو أو أي شيء آخر. كان الرجل يربط رباط حذائه بكل هدوء. سألته إذا كان عنده سلاح إضافي. قال، لا، ارجع إلى الطابق العلوي وابق ساكنًا. رجعت إلى فوق. إطلاق النار مستمر؛ المحادثة الساخنة تحوّلت إلى مشادّة مفتوحة.

انطلقت الدوشكا ثانية. قفزت خلف البار، وأمسكت قنينة جديدة من ماركة (ديوار) وركضت جاثمًا إلى حمّام الرجال. كان البعض في الحمّام خائفًا، والبعض مهذارًا، وقد قرر كل شخص أنه يحب ويسكي سكوتش. كان عندنا مسدس واحد ٩ مليمتر، مصوبًا نحو باب الحمّام بينما انتظرنا الدقائق العشرين أو ما يقاربها حتى دق الباب (رجل الأمن الخاص) وأخبرنا بأنّ الهدوء قد عاد. وعدنا إلى الغرفة، بدت النكات الغبية مضحكة جداً. صديقتي المرأة المقاولة تمددت على السرير وغابت عن الوعي. لم تكن ثملة لكن بعد ما لاقته في يومها العصيب كانت أقرب إلى الموت إرهاقًا.

٢٥ ديسمبر/كانون الأول٢٠٠٣

الإجازات صعبة. أحيانًا تحاول أن تبعدها عن تفكيرك. في أحد أيام الشهر الماضي، دق الهاتف في جيبي. كان تومي ابني ذو السبع سنوات،. بدا مختلفًا جدًا. نسيت بأنّه كان عيد الشكر، وكان يتّصل لأنه كان حزينًا إذ لم أكن موجودًا معه. كان يمكنني أن أدركِ أن الولد الصغير الشجاع يجاهد لئلا يبكي. كان عليّ أن أختار أن أكون حازمًا أو ناعمًا واخترت الأول فقلت له: كن قويًا يا تومي، ساعد أمّك في تهيئة السيارة للسفر إلى منزل العمّة لوري لتناول عشاء عيد الشكر. كنت أنا الذي أبكي لكن دون أن أشعره بذلك. كان الولد أشجع مني. لم تفترق أمي وأبي إلا قبل أربع سنوات مضت حين مات أبي وقد أثر ذلك فيّ كثيرا. وأتساءل دائمًا كيف سيكون شعور تومي عندما أموت. يتحدّث عنّي في المدرسة ويتباهى بقوله ("يحمل أبي سلاحًا كبيرًا") ويلبس قبّعة الصحراء التي عليها اسمه والتي أرسلتها إليه. سألني إذا كنت سأرجع للبيت في عيد ميلاده في مارس/ آذار. قلت له إني أحبه، فأجاب بالكلمات السحرية: "أحبّك، أيضًا يا بابا.". لا أستطيع أن أتحمل مثل هذه المكالمات الهاتفية بعد الآن.

١ يناير / كانون الثاني ٢٠٠٤

إحدى المهام التي أقوم بها هي البحث عن أموال مكتبنا. هناك استمارات تملأ واجتماع تدافع فيه عِن طلباتك. طلبنا ٤٦ ألف دولار لدعم برنامج نديره يكلف ٨ بلايين دولار. نسبة جيّدة، كما أعتقد.

من الممتع دائمًا أن تتابع عملا سيئًا وقد استمتعنا بمتابعة طلب ٢٥ مليون دولار. بعد أن استتكر أعضاء اللجنة - بعضهم من وزارة الخارجية، وبعض آخر من الوكالة الأمريكية للتنمية - الأموال الطائلة سألونا بضعة أسئلة سهلة ثم قالوا: حسنًا ارجعوا يوم السبت لاستلام النقود. آخر مرّة حدث ذلك معي، كان عليّ أن

أهبط إليهم في السرداب، وقد عدّوا ٢٠ ألف دولار بعملات من فئة المائة، باستخدام إحدى تلك المكائن الخاصة بذلك.

لذا توجّهت إلى المركز. دق الهاتف وكانت سكرتيرتي رنا لتقول لي بأنّ نسيبها زياد (زوج أختها) يريد معرفة إذا كان من الممكن أن يأتي ليأخذني من المكتب في بضعة دقائق لاصطحابي إلى منزلهم لأنهم لا يعتقدون أن مقر سلطة التحالف سيكون آمنًا ليلة رأس السنة. وقد جاءوا وأخذوني بعيدًا عن المكان.

في منزل زياد سهرنا حتى منتصف الليل نضحك ونلعب مع الأطفال ونشاهد أفلام الفيديو. أحضرت زوجة زياد زجاجتين من الشمبانيا وكان كل شيء رائعًا حتى بدأ زياد يرج الزجاجتين. تراجعت إلى الخلف وهو يفض السدادة ويزيحها بإبهامه، سقطت السدادة على الأرض وبقيت الشمبانيا في الزجاجة، وبدون أن يطرف له جفن صب زياد قدحًا لكل واحد منا. وقد أدركت حينها أن الشمبانيا كانت مخزنة من وقت طويل وأن الحرارة قد ضربتها حتى أن العراقيين يعتقدون أن فتحها بدون فرقعة أو فوران شيء طبيعي. يطلق العراقيون النار في أي وقت يقام فيه عرس أو حفلة. إطلاق النار طبيعي في بغداد. والأطفال أيضًا يعتقدون أنّه شيء طبيعي، وهم يطلقون أي شيء عندهم. لذلك قال زياد شيئًا لزوجته وأخواتها، وقلن جميعًا "نعم"، فجلب من غرفة نومه مسدسًا من أفضل أنواع المسدسات في العالم وحشاه وعبر المطبخ وخرج من الباب الخلفي. ونحن نتبعه. ذهب إلى نهاية ممر جراج المنزل وابتسم لنا، وبدأ في إطلاق الرصاص.

١٣ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٤

مؤخرًا رأينا تدفقًا من طالبي الوظائف. هديل كانت أحدهم. وقد طلبت مني الكلام مع ربّ عملها الحالي، وهو مقاول يزود التحالف بالمترجمين. ومثل كلّ شيء آخر هنا، يتم ذلك داخل المنطقة الخضراء.

أوقفنا السيارة في الشارع أمام شركة المقاولات (تيتان). كلّ ما كان عليّ فعله هو أن أدخل وأخبر مدير الموقع بأنّ هديل وجدت شغلا جديدًا معنا، وأغادر. كان عملها الحالي في الخارج، في محطة قطار، وهذا خطر جدًا. وعملها معنا سيكون أكثر أمانًا لها، لذا مشينا خلال حشد من المترجمين الذين يبحثون عن العمل، مرورًا بالرجل الذي يجلس إلى منضدة كرتونية على اليمين يفرش عليها سجائر مارلبورو مزيفة إلى جانب سجائر عراقية محلية وقطع شوكولاته محليّة وقطع سنكرز حقيقية، وإلى داخل المبنى، قدمتني هديل إلى المدير. أخبرته من أنا وذكرت بأنّ أحد أفضل أصدقائي واسمه جوردن يعمل مديرًا في فرع شركة تيتان في الحلة.

حدق الرجل في عيني وقال: تعرف أننا فقدنا جوردن الشهر الماضي. قلت مذهولا: لا، لم أعرف ذلك!. قال الرجل: نعم، خدمت مع جوردن لوقت طويل في الجيش. كان مثل أخي. سألته عما حدث وكأن ذلك سيغير شيئًا من الأمر، قال إن جوردن كان في سيارة ذاهبة إلى دهوك في الشمال وحاول السائق أن يتجاوز سيارة وهو يصعد التل وهناك فوجئ بظهور شاحنة وقود. أخبرته بأنّ جوردن كان بمثابة أبٍ لي لمدّة خمسة أشهر وكنت حقًا آسفًا على كلّ ذلك. ثمّ تصافحنا.

خرجت هديل وأنا من بناية تيتان ورجعت بخيالي بضعة أشهر إلى الحلة: جوردن كان يقول لي كيف كان عليه أن يقود السيارة إلى الكويت ويأتي بالرواتب نقدًا في حقيبة تسوّق بلاستيكية وكيف كان يقود السيارة عائدًا عبر الجحيم ليدفع الرواتب لموظفيه. كنا نجلس في خيمته المكيّفة نتحدّث عن كلّ المشاكل التي تصادفنا مع المترجمين وجنود البحرية والجيش. يمد يده داخل حقيبة ظهره ويسحب اثنين من ورق القمار بصور صدام، من النوع الجيد الذي طبعته السفارة الأمريكية في الكويت. وهي تباع مثل الذهب هنا.

ما زال الورق عندي. أتساءل إذا كنت سأتذكّر بعد سنوات طويلة هذه المواضيع كلما نظرت إلى الورق في صندوق في العلية، وأنا أتساءل إذا كان يجب أن أخبر صديقًا ما عن جوردن والمحادثات التي جرت بيننا في خيمته والأفضال التي قدمها لوحدتي عندما كنا نفتقر لكل شيء، وإذا كان يجب أن أخبر شخصًا ما عن شاحنة الوقود وعن سائق سيارة جوردن الذي كان يجب أن يكون المطلوب رقم الثالث والخمسين على ورق القمار.. ربّما لا يهم. لا أريد وضع جوردن في ذلك المكان في رأسي حيث الناس الموتى، لذا سأبقى الآن في داخل خيمة جوردن وأستمع إلى قصصه حول العراق وحول الوقت الذي قضاه في إيران أثناء قضية الرهائن.

١٥ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٤

من بريد إلكتروني إلى زوجتي:

أنهض في ٦:٣٠، ربما مثلك تمامًا، وأستعدّ للعمل. أتأكّد بأن مسدّسي ومدفع رشاش محشوان، وأرتدي معطفي فوقهم. عندما اصل إلى المكتب أكون مسئولا عن الموظّفين الستّة والخمسين، وكلهم يأتون لي كل يوم بالأسئلة. لذا في ٨:١٥، أطلع الموظّفين في مكتبي على المهام المطلوبة ثمّ في الساعة التاسعة يجيء العراقيون وتبدأ الأسئلة من جديد.

هذا الصباح في الساعة الحادية عشرة، رن الهاتف. كانت السفارة التركية تطلب مني المساعدة على التعرف على جثث سواق ثلاث شاحنات قتلوا أمس في تكريت. كانوا يقودون شاحناتنا، وبالطبع رجل السفارة افترض بأنّني أعرف السائقين. وأنا لا أعرفهم.

نحن نشرف على أربعة آلاف عقد وألفين وثلاثمائة مجهّز، وليس عندي أية فكرة عن كل واحد منهم، لكنّ من واجبي أن أساعده لأن التلفزيون التركي كان يعرض جثث القتلى على الشاشة، ولذا طلبت الرب العظيم جيش الولايات المتّحدة، فاتضح أنهم لا يعرفون

شيئًا بل إنهم اتصلوا بمكتبي وسألوا إذا كان أي واحد من العاملين لدي يعرف أي شيء حول طلب معلومات عن بعض سائقي الشاحنات.

لذا اتصل رجل السفارة ثانية بي وقال: توم، هل بالإمكان أن تساعدني؟ أنا لا أعرف ما أقول للناس هنا. وكلّ ما أمكنني أن أخبره هو أن الجيش الأمريكي لا يتدخل في حوادث مثل هذه إلا إذا كان ضحاياها جنودًا أمريكيين.

١٨ يناير / كانون ثاني ٢٠٠٤

في حوالي الساعة الثامنة من هذا الصباح، اهتزّت البناية، مما يعني شيئًا لأننا كنا في سرداب بناية مبنية بشكل صلب جدًّا. وفي القاعة القريبة من مكتبنا أحد ملاجئ الحماية من القنابل والتي بنيت منذ عهد صدام. أخذنا المسألة بشكل طبيعي وحاولنا أن نتظاهر بالهدوء، ولكن بعد أن انتهينا من بعض العمل، لاحظت بأنّه كان هناك عراقي واحد فقط في الغرفة، وهو شيء غير طبيعي لأنهم يأتون هنا عادة قبل الساعة التاسعة.

علمنا الآن فقط أن الصوت كان صادرًا من انفجار سيارة مفخّخة في بوّابة الاغتيال - وهو اسم المدخل الرئيسي إلى المنطقة الخضراء - دخلنا الإنترنت ورأينا الزاوية تبعد عن هنا بثلاث كتل فقط؛ سيارات تحترق وجثث متناثرة وأجساد محتضرة حولنا في كل مكان، وبعد أن فحصنا بريدنا الإلكتروني، رأينا بأنّ المسئولين كانوا يذكرون ثلاثة جرحى فقط. أيّ مهزلة!

لم تظهر رنا. ولا أختها وكذلك حوالي أربعين عراقيًّا آخرين، رن الهاتف وكانت شقيقة رنا تقول لي بأنّهما كانتا في السيارة في الجهة الأخرى من الشارع حين انفجرت القنبلة.

بعد ساعة تقريبًا، بينما أنا كنت في منتصف بحثي عن بقيّة الموظفين كلمتني رنا على هاتفي المحمول. كانت ما تزال تبكي، لكنّها كانت بخير، وأبوها كان في الطابق السفلي يصرخ في

التلفزيون أن بناته لن يذهبن للعمل مع الأمريكان بعد الآن.

كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا، ولم يظهر اثنان من موظّفيي الدائمين. وليس لدي طريقة لإيجادهما. خرجت إلى نقطة التفتيش للبحث عن وجوه مألوفة في الطابور، الذي تفرق في مجموعة أوسع من الناس الذين لم يقرروا بعد إذا كان يجب أن يستمروا في العمل أو في الفرجة أو الذهاب إلى البيت. تجاوزنا الحرّاس ورأينا دخانًا في كل مكان، مغطيًا كل شيء مثل الضباب، وكان الطابور الذي يصل إلى نقطة التفتيش أطول من المعتاد، لأنه عندما وقع التفجير، أقفلت المنطقة الخضراء كلّ نقاط الدخول ولم يستطع أحد أن يصل للعمل.

مشيت من المخفر الأمريكي الأخير من خلال القمامة والسلك الفولاذي الحادّ، إلى الشارع أبحث مثل الناس الذين يبحثون عن الأقرباء بين الموتى والأحياء. بحثت عن أي من الأشخاص الذين أعرفهم لكي أتمكن من أن أنام الليلة - وجدت سيدتين في الطابور ممن يعملون معنا، عليّ أن أبحث عن ثلاثين آخرين..

ومرورًا بنقطة التفتيش الأخيرة مشيت في الخارج في فضلات الطعام والدخان. بغداد تمتلئ بالقمامة. حتى الأسلاك الشائكة الثلاثية على كلّ جانب بدت وكأنها ماكينة من نوع ما صمّمت لاجتذاب أكياس القمامة البلاستيكية، وأعقاب السجائر.

لكن هناك بعض الأشياء الجيّدة في العراق. في العراق، كلّ شيء رخيص بالدولار. في العراق، الوجبات الساخنة تظل ساخنة. في العراق، الوجبات الباردة تصبح ساخنة. في العراق، نحن الزبون المهم. بعد يوم من انتهاء الحرب رسميًّا، كان يمكنك أن تشتري رشاشة آلية بالدبّوسين والذخيرة بدولار واحد. أحسب أن المواد المتفجّرة رخيصة، أيضًا، لأننا علمنا أن شخصًا ما استخدم في تفجير هذا اليوم ألف رطل من هذه المادة.

-٢-

Libert post.org

كانت مهمة منذر فتفت المستشار الأول للشباب والرياضة في سلطة الاحتلال برئاسة بول بريمر، هي الضرب على الطبلة في حانات المنطقة الخضراء ليرقص جنود الاحتلال المخمورون! مهمة شاقة لإعلاء شأن الرياضة والتخطيط لمستقبل الشباب العراقي!!

جيم كرين◆

احتلال العراق يعني مشقّة وساعات طويلة وأحيانًا لعبة المخاطرة (رسك) مع نرجيلة وبضعة أقداح من البيرة.

في مدينة حيث قلّة من الناس يشربون، تحتوي منطقة بغداد الخضراء المغلقة على الأقل سبع حانات، بضمن ذلك ديسكو ليلة الخميس، بار رياضي، حانة بريطانية، حانة فوق السطح تديرها جنرال إلكتريك، وحانة مقطورة تديرها شركة بكتيل.

لا يدخل هذه الحانات معظم الوقت سوى العاملين مع الاحتلال. وقبل أشهر قليلة طردت القوات الأمريكية مراسلا من حانة الرياضة، حسب طلب مستخدمي سلطة الائتلاف المؤقّتة الذين كانوا يشربون في الداخل.

إنّ الحانة الأفخر والمؤثثة بالخيزران هي حانة وكالة المخابرات المركزية المعروفة بـ"حانة أو جي أي". "أو جي أي" ترمز لـ"جهاز

حكومي آخر"، وهو الاسم الكودي لوكالة المخابرات المركزية.

في حانة أو جي أي ساحة رقص بها كرة ديسكو دوارة مغطاة بالمرايا وغرفة ألعاب وهي مفتوحة إلى الغرباء بالدعوة فقط. ويشتكي موظفو سلطة الائتلاف المؤقتة من أن وكالة المخابرات المركزية تفضّل دعوة الضيفات النساء..

قال عامل حكومي أمريكي إن البريطانيين المقيمين في المنطقة الخضراء متحمّسون خصوصًا للشرب. وهناك نكتة تنتشر داخل المنطقة الخضراء تقول إن المسئولين البريطانيين الذين يشرفون على بناء سفارتهم الجديدة يعطون أولوية لفتح حانة السفارة.

إحدى أماكن الاستراحة الأكثر إثارة مقهى المنطقة الخضراء، خيمة نصبت في موقف سيارات محطّة بنزين سابقة. يجمع المقهى مزيجًا عشوائيًّا من شخصيات الاحتلال وآخرين مثل المراسلين الذين لا يحملون هويات حكومية.

وفي الأماسي الاعتيادية، يستطيع المرء رؤية الجنود الأمريكيين يدخّنون من النرجيلات بطول ٤ أقدام ومقاولي الأمن يقهقهون وهم يشربون البيرة، ومدافعهم الرشّاشة بجانبهم. أما أولئك الذين سيصبحون خبراء الاستراتيجية لدى سلطة التحالف فيمكن رؤيتهم أحيانًا في أحذية الصحراء العسكرية والقمصان والسراويل، وهم يلعبون لعبة المخاطر (رسك)، وهي لعبة طاولة الهيمنة على العالم.

في إحدى الليالي جلس المستشار الأول لشؤون الشباب والرياضة في سلطة التحالف منذر فتفت على رأس منضدة مأدبة في قميص أبيض ورباط عنق وهو يضرب إيقاعًا على الطبلة العربية. وكان رواد الحانة يرقصون ويصفقون على الإيقاع.

غرفة خلفية صغيرة جدًّا في المقهى تضم مخزن المشروبات

الكحولية للمنطقة الخضراء الرئيسي أيضًا، حيث قناني الويسكي والفودكا والنبيذ تباع تقريبًا بضعف أسعارها خارج المنطقة.

وعادة يتوقف جميع الذاهبين إلى حفلات المقطورة التي تقام في المقرات المؤقتة عند مخزن المشروبات الخلفي هذا لشراء الخمرة.

ولكن السكان الأوفر حظًا يفضلون حفلات الشواء التي تقيمها شركات مثل كرول وأوليف والدعوات إليها محدودة بسبب قلة النساء المناسبات في المنطقة الخضراء.

أما الأسوأ حظًا فهم آلاف الجنود الذين يعيشون على مرأى من الشرب ولكن قرار وزارة الدفاع الأمريكية رقم واحد يمنع القوات الأمريكية من شرب الكحوليات، ولو أن الجنود يقولون إن الحصول على مشروب كحولي في المنطقة الخضراء ليس أمرًا صعبًا.

تفتخر المنطقة بمحل بيتزا أيضًا واثنين من المطاعم الصينية التنافسية جدًا. هناك مسبح القصر و"كازينو" وهي غرفة لعب فارهة. وفي المنطقة العديد من صالات الجمنازيوم، ويبدو أن الاحتلال حوّل الكثير من القادمين الجدد من زيادة الوزن إلى الرشاقة.

وقد حول شارع واحد في المنطقة إلى سوق تجاري، حيث يبيع العراقيون أقراص الدي في دي والبسط والحلي رخيصة. وفي زيارة لي للمنطقة مؤخرًا توقف قربي صبي على دراجة بخارية وقال بصوت خافت: "هل تريد شريط بورنو؟".

وكما قال أحد مسئولي سلطة الائتلاف المؤقتة مازحًا: "لا أعرف إذا كانوا هم الذين يفسدوننا أو نحن الذين نفسدهم".

- ٣ -

حسنًا، هذه هي الحياة في المنطقة الخضراء في بغداد. حيث عبورك الثكنة إلى المرحاض يتطلّب سترة واقية من الرصاص!

بنجامين داميزر(*)

يدير المكان بالكامل الجيش الأمريكي والكل - ماعدا بضعة مدنيين بريطانيين - يحمل على الأقل بندقية واحدة. هناك حوالي عشرة آلاف جندي يعملون بالزيّ الرسمي في وظائف مدنية، في بنايتين (القصر ومركز المؤتمرات).

كلّ شيء يعمل بنظام الترخيصات. وترخيصي من المستوى صفر - درجة "محظوظ أن يكون هنا" - تحيطه حدود حمراء. وهذا يعني أني لا أستطيع أن أصطحب أي شخص معي حتى لو كانت المملكة المتحدة جزءًا من التحالف.

يحمل ترخيصي صورتي وتوقيعي وطبعة إبهامي، لكن للوصول لأيّ شيء يحتاج المرء إلى هوية ثانية "هوية فوتوغرافية".

الحياة في القصر

القصر هو مجمع العمل الرئيسي، حيث قسمت الصالة الكبرى الآن بحواجز خشبية عادية إلى مقصورات للمكاتب. وكان يمكن لحوض السباحة في القصر أن يضاهي في فخامته فنادق الخمسة

(*) البي بي سي، ٢٠٠٤/٦/١٨.

نجوم، لو كان حوله جرسونات يرتدون سترات بيضاء لتقديم المشروبات.

إنّ مقرات القوات الأمريكية الرئيسية تقع في أرجاء المدينة. لكن أولئك الذين يعملون في القصر يعيشون في القصر أو الخيام المنصوبة خصيصًا في الخلف، لا يخرجون من المنطقة الخضراء أبدًا.

والمكان كما يبدو بالنسبة للموظّفين لا يعدو أن يكون قاعدة عسكرية ولكنها هذه المرة بقطع رخام ملونة على الأسقف والجدران والأرضيات.

ليس لي مكتب ولن يكون لي على أكثر احتمال، لازدياد عدد الأشخاص الذين يحتاجون مكاتب في مكان بدأ يضيق علينا. هناك مكاتب لرجال الدين في الجيش الأمريكي: قسس وأئمة ورجل دين يهودي إضافة إلى مكاتب الجريدة العسكرية الأمريكية وأستوديو صوت أمريكا ومكاتب المستشارين والعيادة المتنقلة ومقهى إنترنت وما إلى ذلك.

ويخلاف ما وعدوا به فإن أغلب الوافدين الجدد يذهبون إلى ما يسمى (الكنيسة الصغيرة) وهو ردهة كبيرة يقيم فيها أكثر من ٢٠٠ من الرجال والنساء في أسرة مخيمات. ثم قد ينقل المرء إما إلى خيمة في حدائق القصر – إذا كان أمريكيًّا – أو إلى مخيم مود وهو ثكنة فوج المظلات الثانية. وهنا كان مكاني منذ البداية مشاركًا في غرفة واحدة لثلاثة أشخاص في كابينة مع ضابط جمارك بريطاني منتدبًا هنا.

الحمام ودورة المياه مشتركة مع الجنود (وليس الضباط) وتقعان عبر المخيم.

ويبدأ طابور الحمام منذ الساعة ٦,٤٥ صباحًا. ويبدو الأمر وكأنه شبيه بمخيم كشافة للأولاد في ستينيات القرن الماضي.

القوافل العسكرية

الطبيخ عهدة وحدات التموين في الجيش البريطاني بالنسبة للثكنات ولكنها عهدة الأمريكان في القصر ومركز المؤتمرات.

ويكون الفطور كاملا حسب التقليد الإنجليزي، ماعدا أيام الجمعة حيث يقدم بديل أوروبي. ويبدو أن كلّ شيء مستورد من الولايات المتّحدة. فكلّ هذه الوجبات اللذيذة تقدم في صحون بلاستيكية ولوازم المائدة البلاستيكية. وليس معنى ذلك أنهم لا يأمنون جانبنا مع السكاكين (فمعظم الموجودين لديهم رشاشة نصف آلية ومسدس) ولكنها ثقافة (الاستخدام مرة واحدة) التي تسود.

التجوال في أرجاء المنطقة الخضراء - وهي أكبر من أربعة أميال مربّعة - واضح ومحدد. تمشّى أو خذ حافلة أو استعمل سيارة إذا كنت تستطيع استعارة واحدة. وحتى ضمن المنطقة عليك أن تتجنّب القوافل العسكرية الأمريكية التي لا تقلل سرعتها لأي كان والتي تظن أن كلّ عربة غير عسكرية هي قنبلة محتملة.

هناك عدد كبير من نقاط التفتيش ضمن المنطقة، وليس فقط في البوّابات.

لكن هناك حدائق جميلة، وهناك شارع على جانبيه أكشاك السوق التي تبيع الخردوات السياحية التي يحبها الأمريكان، كما أن هناك العديد من المقاهي والمطاعم.

ويعتبر العراقيون الذين يعملون في المنطقة متميزين عن غيرهم ولكنهم أيضًا موضع ارتياب واضح من قبل القوات الأمريكية.

حياة الليل في بغداد

خارج المنطقة حكاية أخرى بالطبع. التجول يكون في قافلتين أو أكثر من السيارات المدرعة التي لها أبواب ثقيلة جدًّا ولا يمكن فتحها بسهولة.

فرق حرّاس الأمن لا تفارقنا أيضًا، وكلّ أعضائها من جنود البحرية السابقين، وما شابه. وهم الذين يخطّطون كلّ طريق، ويرسلون مجموعة استطلاع، ثمّ يحوموا حولنا بينما نعقد إجتماعاتنا.

إن هؤلاء الرجال مسلّحون ولكن بدون جلبة، فهم على خلاف الأمريكان، لا يلوّحون برشاشاتهم الآلية ولكنه يحملون مسدسًا من نوع ما. وعندما نخرج من المنطقة يجب أن نأخذ معنا درعًا وخوذة وهما يجب أن يلبسا في جميع الأوقات عند الخروج من أيّ بناية بعد الظلام - حتى ضمن المنطقة والثكنات - إن عبورك الثكنة إلى المرحاض يتطلّب سترة واقية من الرصاص!

إذا أهملت في ارتداء السترة الواقية يتم التبليغ عنك وإذا كررتها ترسل إلى الوطن.

على الرغم من هذا، فإن الحياة الاجتماعية أفضل مما قد تتوقّع. تقدم المقاهي في المنطقة طعامًا جاهزًا صالحًا للأكل وكحولا بضمنه زجاجات نبيذ بسعر ١٢ دولار للواحدة.

قد كنت في حفلة وداع في أحد المقاهي، تلاها ديسكو في الثكنات حيث كان أحدهم يحتفل بانتهاء خدمته بعد ستة أشهر من العمل.. هناك دعوة شواء في منزل في المدينة ويدير الحفلة إحدى فرق الأمن الليلة.

وتصبح الحانة في الثكنات بؤرة جذب مركزية حيث تظل ساهرة إلى أن يشرب آخر جندي كل ما يمكن أن يتحمله من الخمور.

- ٤ -

إيفان اوزنز(*)

في مطاعم ومقاهي المنطقة الخضراء، تتدفق البيرة بحرية في هذا الليل الحارق.

محطة البنزين التي تحولت إلى كافتريا صاخبة ومزدحمة: مستشارو الأمن الأقوياء مع أسلحتهم، سلالات القوّات الخاصّة؛ موظفو سفارة الولايات المتحدة الوافدون حديثًا وقد حمرت وجوههم الشمس، يزعقون في الهواتف الخلوية وخليط الآخرين الذين يكملون الحياة في المنطقة الخضراء، الشريحة الأمريكية الغريبة التي تزدهر في قلب العراق ذي السيادة (رسميًّا).

لكن بعد ١٤ شهرًا من قيام التحالف بقيادة الولايات المتحدة بتسوير أكثر من ٣ أميال مربّعة من العاصمة العراقية لخلق واحة صارت تعرف اليوم بالمدينة الزمرّدية - التي تحتوي على طرق لممارسة رياضة الجري، والحانات الإنجليزية وإقامة الليالي الغربية كلّ أسبوع — لقد ترك نقل السلطة إلى حكومة عراقية انتقالية الشهر الماضي مستقبل المنطقة الخضراء في حالة من عدم اليقين.

إنّ منطقة القوات الأمريكية والمتحالفة، التي تتمركز في أحد قصور صدام حسين السابقة، محصورة هذه الأيام بين الحاجة السياسية لتسليم الأرض الغالية إلى العراقيين والحاجة العملية لمأوى آمن في عاصمة مازالت تعاني من اضطرابات عنيفة. فما زالت

(*) تريبيون ٢٠٠٤/٧/١٢.

الصواريخ والهاونات تضرب المنطقة عدّة مرات في الأسبوع، في أغلب الأحيان حول وقت الفطور. وفي مواقف الحافلات، ونقاط تفتيش وأي مكان آخر يتجمع فيه السكان، وهناك ملاجئ خرسانية قريبة يمكن أن تتحول إلى مأوى أثناء اشتداد القصف. ويرى القادة العسكريون أن تقليص حجم المنطقة التي يحتلها التحالف يعني تقليص أهداف تلك الهجمات.

ورغم عدم تحديد تاريخ ولكن الجيش الأمريكي يدرس خطّة تسليم بحدود ٦٠ بالمائة من المنطقة الخضراء إلى السيطرة العراقية. ذلك يترك العديد من أولئك الذين يعملون أو يعيشون داخل حيطان الانفجار والسلك الشائكة الحلزونية يتساءلون كم ستبقى أو يجب أن تبقى من النكهة الأمريكية والأوروبية للمكان.

يقول دبلوماسي غربي طلب عدم ذكر اسمه: "نحن متحمّسون جدًّا لنعمل ما نستطيعه لإرسال رسالة تقول إن هناك تغييرًا حقيقيًّا".

إنّ تفاصيل المنطقة اليوم أو في المستقبل مسألة حساسة للمسئولين العراقيين والأجانب وهم مصمّمون على التأكيد بأنّ الاحتلال السياسي انتهى، حتّى في ظل حقيقة أن آلاف الموظفين الأمريكيين والمتحالفين موجودون لمساعدة الحكومة العراقية الجديدة.

إنّ المنطقة الخضراء عالم في حد ذات نفسه. وبالنسبة للرجال والنساء الذين يعيشون بالداخل، هي قلعة وسجن في نفس الوقت - تحميهم من أمّة تخالف بشكل مؤلم ما تصوره مخططو الحرب، وفي نفس الوقت تبعدهم عن السكان الذين جاءوا بادعاء مساعدتهم.

تقطع المساحة الواسعة للمنطقة الخضراء وسط مدينة بغداد وتمتدّ غربًا عبر المدينة من ضفاف نهر دجلة، وتضم أحياء سكنية، وبنايات حكومية وسلسلة من المباني التي تشكل المعادل العراقي لمركز التسوق الوطني National Mall.

في ذروة العملية، احتوت المنطقة الخضراء حوالي ٣٠٠٠ موظّف مدني وأعداد غير معروفة من الجنود. كذلك هناك من ١٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ عراقي يعيشون ضمن الحدود.

جدران من الأسلاك الشائكة

المنطقة محاطة بكتل خرسانية ارتفاعها ١٤ قدمًا ودوامات من السلك الشائك. تدير القوّات الأمريكية والعراقية ستّ نقاط تفتيش حول حدود المنطقة، لتفتيش السيارات بحثًا عن القنابل، وفحص الهويات واستجواب المشاة.

طوال السنة السابقة، هيمن الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة على العراق وعلى القصر الجمهوري ذي القبة الزرقاء رمز الهيمنة التي لا منافس لها كما يدركها العراقيون والأمريكان. لكن في يونيو/حزيران ٢٨، أعلن انتهاء نظام الاحتلال رسميًا وتحولت الدول الحليفة التي شكلت سلطة الائتلاف المؤقتة - على الورق على الأقل - إلى سفارات.

لكن إيجاد الفضاء المادي لاحتواء السفارات الجديدة الرئيسية مسألة ليست بسيطة كجرة القلم التي خلقتها. تكبدت بريطانيا العناء لتأكيد نهاية دورها في سلطة الائتلاف المؤقتة المنتهية بتعجيل الجهد لنقل الموظفين البريطانيين البالغ عددهم ١٠٠ إلى سفارة جديدة حتى قبل انتهاء ترميمات تلك البناية. وعلى صوت موسيقى القرب، رفع السفير البريطاني الجديد إدوارد تشابلن العلم البريطاني الأسبوع الماضي على موقع مدرسة قديمة سابقًا كان يديرها حزب البعث اختيرت بعد ستّة أشهر من عمليات البحث والبناء.

ورفع السفير الأمريكي جون نيغروبونتي العلم على موقع مؤقت (في الواقع هو القصر الجمهوري رمز سيادة العراق – المترجمة) ضمن المنطقة للعمل كأول سفارة للولايات المتحدة الأولى هنا منذ ١٣ سنة. وبما أن الأمن أساسي كما في كثير من مناطق العراق

هذه الأيام، فإن فرانسيز ريكياردون، الدبلوماسي الأمريكي الذي يشرف على عملية الانتقال إلى السفارة الجديدة، يخمن أن تكاليف إدارة البعثة الأمريكية ستكلف بليون دولار في السنة المالية القادمة، حيث تذهب الحصّة الأكبر من هذا المبلغ إلى الأمور اللوجستية والأمنية.

وللسفارة الجديدة ٥١ سيارة مسلحة وتم طلب ٩٠ أخرى، وسيعمل في السفارة المؤقتة حاليًا ٤٠ إلى ٥٠ موظف بدرجة رفيعة وحوالي ١٧٠٠ موظف آخر سيبقون في القصر الرئاسي رغم مطالب العراقيين بإعادة القصر.

نقطة تفتيش مشدّدة الحراسة

الآن، الحياة في المنطقة الخضراء تستمرّ في التأرجح بين الأمن ومحاولة التظاهر بأن كل شيء طبيعي. إن الطريق الأشدّ زحمة في المنطقة الخضراء هو بوّابة بجانب قصر المؤتمرات ببغداد، حيث يذهب العراقيون لتقديم طلبات للحصول على عمل أو معلومات حول ذويهم المحتجزين في السجون الأمريكية في العراق. والمدخل عبارة عن سلسلة من نقاط التفتيش، يربط بينها طريق متلوّ من الكتل الخرسانية، وأبراج القنّاصين وحواجز أكياس الرمل.

عندما يمل الرواد من مطاعم المنطقة التي يديرها المقاولون العسكريون الأمريكيون يذهبون إلى مجموعة من مطاعم الوجبات الجاهزة، مثل بيتزا أن ومقهى النجم الوحيد أو أحد المطعمين المجاورين المعروفين بالمطعم الصيني الأمامي والمطعم الصيني الخلفي.

حافلات نقل مكيّفة تديرها شركة كي بي آر (التابعة لهاليبرتون) تتجول في الشوارع. والحراس النيباليون المدربون تدريبًا بريطانيًا ويرتدون زي سفاري خاكي يقفون على أبواب المباني يدققون في الهويات مرة أخرى.

معظـم المقـيمين الأجانـب فـي المنطقـة الخضـراء يعيشـون فـي مقطـورات بيضـاء بسـيطة. ولـدى شـركات بكـتـل وكـي بـي آر والشركات الأمريكية الأخرى الـتي تعاقـدت علـى إعـادة الإعمار، ثكناتهم السكنية الخاصة المسورة داخل المنطقة.

ولا يعرف الكثير من الناس ما هو مستقبل المنطقة الخضراء ومن سيكون داخلها ومن خارجها. ويسـاور القلق الكثير من الأشخاص مثـل (إسـحق هـو) مـدير المطعـم الصـيني الأمـامي الـذي هـاجر مـن مقاطعة غواندونغ في الصين ليأتي هنا ويبني مطعمه الصغير.

حلم صاحب المطعم

يقـول هـو: "كـل شـيء يـتغير بسـرعة. لم يقـل لنـا أحـد مـاذا سيحدث. لقد أنفقنا ٦٠٠ ألف دولار حتى الآن. إذا سمحوا لنا بالبقاء فسوف نحول المطعم إلى أجمل قطعة فنية صينية حديثة".

ولا يعـرف (هـو) كيـف ينتهـي حلمـه: فـي أيـدي الأمريكـان أو العـراقيين. وحسـب الخطـة الأمريكيـة الـتي وافـق عليهـا عـدة قـادة كبار، فإن الولايات المتحدة وحلفاءهـا سيرسمون خـط جـدار عـازل داخل المنطقة الخضراء وينقلون السيادة على ما وراء هـذا الجدار إلى العـراقيين. ويسـتطيع العراقيـون بعـد ذلـك تقريـر مـاذا سـيفعلونه بحيطـان المنطقـة الخضـراء كمـا يقـول الكولونيـل مايـك مـوري المهندس المعماري العسكري الذي وضع الخطة وقائد الفرقة مشـاة الأولى التي تسيطر على المنطقة.

وحسـب الخطـة يكـون للعـراقيين السـيطرة علـى مواقـع ذات أهميـة رمزية مثل نصب الجندي المجهول والساحة التي ينتصب بها القـوس الـذي يمثل ذراعي صدام حسين يمسكان بسيفين يشكلان قوس نصر.

رسائل الجنود

رسالة من جندي: "نحن" يجلس في بيته!

إدوار إسبينال Edwar A Uceta Espinal

المصدر: www.post-standard.com

في مارس ٢٠٠٣ أمرت بالذهاب إلى العراق (لأفعل ما عليّ فعله وأحارب من أجل بلادي مثل الجنود الآخرين في الجيش الأمريكي). وإضافة إلى الاستمرار في العراق لمدة سنة بدون أي مبرر، هناك أشياء أخرى تزعجني وزملائي الجنود، وهي طريقة استعمال الرئيس بوش لكلمة (نحن) عندما يتحدث عن تضحيات الجنود وهو يمد بقاءنا في زمن الحرب، ويغير السبب الذي ذهبنا من أجله.

إن تضحيات الجنود في العراق تُلطخ بالعار كلما تحدث بوش مستخدمًا الضمير (نحن). فليس الرئيس هو الذي يفقد زوجته وأطفاله وكلبه لرجل آخر في بلده اسمه (جودي)، وهو ليس الرجل الذي يفوته الإحساس بأول شهقة لوليده ولا آخر شهقة لجندي يموت في العراق قد يكون أمًّا أو أبًا.

عندما كنت في العراق كنت أعمل في ورديات لمدة ١٦ ساعة بسبب نقص الجنود ومستوى الجنود غير المدربين الذين استدعوا إلى العراق معي، كان حوالي ٧٥٪ من الجنود يملكون طاقمين فقط من الزي خلال الستة أشهر الأولى. تصور محاولة أن تغسل جسدك بثلاث زجاجات مياه وأن تغسل زيك كل يوم، على الأقل كان من السهولة تجفيفه في درجة حرارة ١١٥ فهرنهايت.

ونسبة كبيرة من الجنود لم يكن لديهم سترات واقية من الرصاص ولهذا كنا نحاول أن نعثر على قطع معدنية تناسب ستراتنا من أجل وقايتنا. أيضًا كان علينا أن نبحث عن أكياس رمل لمركباتنا. هذه بعض الأشياء التي تحدث للجنود وقت الحرب في حين يجلس الرئيس في بيته قائلا: (نحن) فعلنا هذا وذاك.

وأسوأ ما يمكن أن يحدث للروح المعنوية للجندي هو أن تمد فترة بقائه في الخدمة لأننا نحن الذين ننام في أكياس الرمل في حين يتبختر بوش لأربع سنوات أخرى في البيت الأبيض. لقد حشرت في العراق لمدة سنة واحدة فقط في حين كان هناك جنود يقضون مدة أطول: سنة ونصف، سنتين أو أكثر هو إن الاحتياطيين والحرس الوطني يعاملون معاملة سيئة هناك. فتدريبهم ضعيف ورواتبهم قليلة وهم في حالة انتظار دائم لإجازة يومين في الأسبوع أو أسبوعين في السنة.

قبل أسبوع من مغادرتي العراق جاء أمر بقائي في العراق لمدة ثلاثة أشهر أخرى، كان ذلك واحدًا من أسوأ أيام حياتي، لم أشعر في حياتي برغبتي في إيذاء الناس بدون سبب كما فعلت يومها. ولهذا أستطيع أن أفهم لماذا يبدأ الجنود في فقدان أعصابهم هناك. في حين أن هناك واحدًا على بعد 4000 ميل يعبث بحياتك ويتركك بدون أية حيلة. إذن كيف يتكلم بوش حول عائلتي ووحدتي عندما يصر على بقاء الجندي في ميدان المعركة حتى بعد أن ينهي خدمته؟

يجب أن يسأل الرئيس نفسه: لماذا يتواجد الجنود الأمريكيون في العراق؟ لأننا نحن، الجنود، من عليه أن يعيش كل يوم جحيمًا أبديًا. الجنود والناس يموتون وهناك ثروة هائلة من النفط ولكننا لم نعثر على أسلحة دمار شامل. وعندما تسأل جنديًا أمام الكاميرات عن سبب تواجده في العراق يقول لك: ذلك لتحرير

شعب العراق. ولكنه بعيداً عن الأضواء يتفجر غضبه وألمه وكراهيته كما يحدث كل يوم في العراق.

إن طريقة بوش في الكلام عن تضحيات الجنود وافتراق العائلات وعن سبب وجودنا في العراق يهبط بمعنويات جنودنا إلى الحضيض.

إن الرئيس بوش ليس من يؤدي واجب الحراسة في حين ينشغل تفكيره بعائلته بعيداً في الوطن. والآن نعرف أن معنى (نحن) بالنسبة للرئيس هو: جندي أو جندي آخر أو جنود ولكن الكلمة في كل الأحوال لا تشمله. (نحن) الجنود الذين نحارب في هذه الحرب في حين يظل بوش يردد (نحن) وهو جالس في البيت.

رسالة من ضابط أمريكي: اتصلوا بي حين تجدونها!

كابتن جيف بيروزي Geff Perozzi

معسكر التقدم /الأنبار - العراق

٢٠٠٥/١٢/١٢

www.estripes.com

أسلحة دمار شامل؟ مازلت أبحث عنها وإذا وجدتم أي شيء منها أرجو الاتصال بي حتى نستطيع أن نبرر وجودنا في العراق.

لقد بدأنا الحرب اعتمادًا على كذبة وسوف ننهيها اعتمادا على كذبة. أقول هذا لأني حاليًا أخدم في مقر لوجستي في محافظة الأنبار بين مدينتي الفلوجة والرمادي، ولا تخدعني أكاذيب "الديمقراطية" و"الحرية" التي تطلقها قيادتنا في الوطن وخارجه.

إن هذا الخداع يطوره اعتقاد قواتنا المسلحة بأننا نستطيع ببساطة دخول أرض ما بين النهرين التاريخية ونشرح لأبنائها فوائد الجمعية التشريعية. بينما كان أسلافنا الأوروبيون يتدلون من الأشجار كان هؤلاء الناس هنا يكتبون الجبر ويحلون المعادلات التربيعية. والآن نشعر بأننا مضطرون بأن نجرهم من أياديهم بالقوة لقبول نفايات "الرأسمالية" ومجتمع "الرفاهية". لا تفهموني خطأ. أنا أتمتع بمشاهدة بريتني سبيرس على شاشة إم تي في والذهاب إلى ماكدونالد ولكن هل تعتقدون بصدق أن السنة والشيعة والأكراد يرحبون بفرض أفكارنا الغربية عن الترفيه والحرية عليهم؟ فكروا مرة أخرى.

أنا لا أتكلم بشكل سلبي وإنما واقعي. حقيقة العراق هو أن الولايات المتحدة خلقت وضعًا كابوسيًّا لم يكن موجودًا. وكان صدام مبررًا للحرب من أجل إشعار الأمريكيين (بالارتياح) حول (الحرب على الإرهاب). الخدعة هي أن هدفنا النهائي في ٢٠٠٣ كان ضمان أمن إسرائيل وحقول النفط في شمال وجنوب العراق.

أسلحة دمار شامل؟ اتصلوا بي حين تجدونها ، وفي الوقت الراهن دعونا ننهي مهمتنا ونخرج من هذا الوحل.

رسالة إلى شعب العراق

محارب قديم: ستان جوف(*)

http://www.uruknet.info

إلى شعب العراق الذي يعاني من الاحتلال الأمريكي: نحن الذين عارضنا هذه الحرب لا نستطيع أن نعتذر لكم عما فعلته حكومتنا، ولكننا نستطيع أن نقدم لكم تعازينا وتضامننا. وبصفتي عضوًا سابقًا في الجيش الأمريكي، أنضم إلى ألوف المحاربين القدماء الذين يمقتون هذه الإدارة واحتلالها اللاإنساني واللاشرعي واللاأخلاقي لبلدكم ومجتمعكم.

وفي حالة أنكم لا تفهمون كيف تجري الأمور في مجتمعنا الآن، سوف أشير إلى تعقيد ما يسمى أجهزة أخبارنا الرئيسية في تسهيل الغزو ومساندة الاحتلال. إن الشعب الأمريكي ليس كتلة متجانسة أكثر من الشعب العراقي ولكن يمكنني التعميم لأقول إننا أكثر الشعوب تشربًا بمبادئ معينة في هذا العالم. وهذه المبدئية قوية لأن جزءًا من تراثنا الوطني هو أننا أحرار في الاختيار.. أحرار في اختيار الكوكاكولا أو البيبسي، أحرار في اختيار فورد أو شيفروليت، أحرار في اختيار شبكة إن بي سي أو سي إن إن، أحرار في اختيار الجمهوريين أو الديمقراطيين.

(*) ستان جوف: أمريكي ولد في ١٩٥١. كاتب وناشط وصاحب موقع على الإنترنت. ألف مقالات وكتبًا في مواضيع ذروة النفط والعسكرية والإمبرالية والعنصرية والطبقية وهو من دعاة تحرير المرأة. كان ماستر سارجانت في القوات الخاصة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٦. ولكنه الآن ينشط ضد الحرب.

إننا أحرار في الاختيار بين المنتجات الاقتصادية والثقافية والسياسية التي تقدمها لنا الطبقة المهيمنة علينا. وطالما أننا أيضًا نتمتع برفاهيات يقدمها لنا النفط الرخيص من منطقتكم والبضائع الرخيصة التي تصنع في مصانع الكادحين البعيدة، بعيدة عن أنظارنا، فإن تلك الرفاهية تترجم إلى مقدار كبير من الرضا الذاتي.

ما يعرض هنا للاستيعاب الجماهيري يصنعه الأغنياء جدًّا ويعرض كبضاعة استهلاكية. وأحد تلك البضائع هو نوع من ميلودراما الخير ضد الشر والإعلام يساهم في هذا لأنه سهل التسويق ولأنها تسوق البضائع التي تعلن بين "تقارير" العشرين ثانية التي يفترض أن تكون بديلا عن الفهم. لا يمكن تسويق الازدواجية الأخلاقية، كما لا يمكن تسويق النقد الذاتي، وكذلك واقع الحرب كما خبرتموه في العراق بالتأكيد لا يمكن تسويقه.. إلا إذا تحول إلى فضيحة.

ولهذا، لدي اقتراح لكم، رغم قسوته ولكن يمكنه أن يخترق حجاب الغموض الذي نشرته الحكومة وإعلام الأغنياء بين شعبي وشعبكم. استغلوا إحدى الفضائح.

كان هناك فيديو صنعه أحد المارينز في العراق يسمى (البنت الحجية) وهو عبارة عن أغنية لا إنسانية وعنصرية ضد المرأة غناها أحد المارينز لرفاقه في حفلة ما هناك، وكان الجمهور يضحك من كلمات الأغنية التي تحتفي بقتل أطفال العراق. كانت الأغنية نتاجًا ورمزًا للعقلية التي خططت للاحتلال الوحشي والعنصري للعراق، وكان التصفيق والتهليل الذي تقدمه كامل الوحدة العسكرية خلال أداء الأغنية يبين كذب الأعذار التي قدمت عن هذا الفيديو بأنه ليس نمطيًّا وإنما خطأ فردي.

أقترح أن يبدأ العراقيون حملة تخطيطات في أنحاء العراق يكتبون

بها كلمة hadji girl في كل مكان ويضعون رابط إنترنت إضافة إلى توزيع منشورات تترجم كلمات الأغنية. اكتبوا هذا المصطلح بشكل واضح ومنتشر حتى لا تخطئه عيون كاميرات الصحفيين. ضعوا العلامات في كل تظاهرة وعلى كل دكان وكل سيارة حتى إذا وجه الصحفيون كاميراتهم على أي مكان لا بد أن تلتقط الكاميرا هذه الكتابات والعلامات التي تقول hadji girl.

أقيموا حركة احتجاجية حول الأغنية وعنوانها العنصري وإهانتها للعراق.

سبب اقتراحي هو أنه ما أن تبدأ حملة مثل هذه وتتنامى لن يمكن للإعلام تجاهلها، وهذه الأغنية تضم كل شيء يرمز للاحتلال - الجشع الإمبريالي والهدف الحقيقي من الهيمنة وعنصريته وعدائه للإسلام، وعسكريته وتجريده للمستعمَر والمستعمِر من الإنسانية على حد سواء ووحشيته الفظيعة.

إن من شأن ذلك أن يساعد على إنهاء الحرب ويسمح للعراقيين بتقرير مصيرهم، إضافة إلى أن مثل هذه الحركة قد تعيد جنودنا إلى الوطن قبل أن يصابوا بالمزيد من الكراهية. ابني في الجيش وهو معرض لخطر أن يفقد آدميته.

يجب إنهاء هذا الاحتلال. أحثّ على ترجمة وتوزيع هذه الرسالة بين العراقيين.

رسالة من محارب قديم:
من مذبحة ماي لاي إلى مذابح العراق

أنطوني سويندل

المصدر: counterpunch

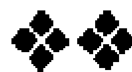
منذ عدة أسابيع استلمنا رسالة من أنطوني سويندل رئيس تحرير صحيفة في شيرمان بتكساس يقول فيها: "ابدأوا في الانتباه إلى الأخبار التي تأتي من العراق مثل خبر قتل المارينز الأمريكان مجموعة من المدنيين العراقيين قرب بغداد. هذه هي الخطوة التالية في حرب العراق بسبب تصاعد الغضب بين الجنود خاصة أولئك الذين قضوا وقتًا طويلا".

"لقد خدمت مع لواء المشاة الخفيف الحادي عشر وماي لاي (ماي لاي اسم القرية الفيتنامية التي دخلها الأمريكان وقتلوا كل من فيها وكل من حاول الهرب منها من النساء والأطفال) لم تكن واقعة وحيدة. وقد أطلق علينا لقب (لواء الجزار) وكنا مهد ولادة برنامج فينكس. وقد أدين قائد اللواء وقائد الكتيبة بقتل مدنيين (وتسجل بعض الصور عندي قصفهم من المروحيات) ورغم ذلك فكلاهما تفادى العقوبة. وإذا تتذكرون من كتابه الذي يروي فيه سيرة حياته فإن كولن باول خدم مع اللواء وقتًا قصيرًا في دوك فو قبل ذهابه إلى مقر الفرقة في تشو لاي".

"إن مذابح العراقيين المدنيين تنزلق من تحت شاشة رادار الإعلام ولكنها سوف تنفجر في وجه أمريكا قبل وقت طويل وسوف

تتضاءل إلى جانبها فضيحة أبو غريب. ستكون أبو غريب بالمقارنة مثل فرقعة بيرة بين الأصدقاء. إن واقعة معسكر سيل في أوكلاهوما (جندي أصيب في التدريب وبقي مدة طويلة تحت العلاج دون أن يشفى أو يفرج عنه الجيش وكأنه سجين حتى مات) هي واحدة من نفس غيوم العاصفة التي تتجمع في الأفق. وبصدق أخشى على هذه البلاد".

طلبنا من سويندل أن يكتب لنا باستفاضة عن أفكاره هذه. وهذا ما كتبه.



في العراق، ابتدأت لحظة هبوطنا إلى الجحيم. أولا كان هناك غوينتانامو ثم برنامج تسفير المعتقلين هنا وهناك ثم أبو غريب ثم تدمير الفلوجة والآن المداهمات التي تملأ قبور الرمال بالرجال والنساء والأطفال. هل أصبحت حملة بابل هي "اقتلهم جميعًا ودع تصنيفهم لله"؟ هل يمكن لأحد أن يتذكر فيتنام حيث تركنا خلفنا أكثر من مليون مدني قتيل؟ في العراق تجاوزنا النصف مليون وربما المليون إذا حسبنا ضحايا الحصار. (في الواقع إن ضحايا الاحتلال من المدنيين العراقيين فاقت المليون حتى الآن – المترجمة). هل الشعب الأمريكي أعمى وأبكم كما يبدو؟ ألا نرى أنفسنا نمشي من خلال بوابة الجحيم، وألا نسمع اصطفاق الأبواب على بلادنا؟

قد تتساءلون: من هذا الذي يقول لنا هذه الأشياء؟ وأجيب إن هذا من حقكم، إذن دعوني أروي لكم قصة عن الجرائم الفظيعة والكوارث التي ارتكبها جيلنا والتي على وشك أن تعاد في العراق أمام أنظار العالم كله. أولا افهموا أن جنديًا واحدًا لا يستطيع أن يستوعب كل إجرام الحرب لأن عالمه مكان صغير جدًا أمام أنفه. وهكذا ينجو. أما لو عرف كل ما يجري لانكسر قلبه وإذا عرف

سبب ما يجري قد يصاب بالجنون.

وضيق الرؤية هو بالضبط الذي يحول أفضل وأكثر جنودنا إنسانية إلى وحوش بدون إرادتهم والناس الذين يخلقونهم يعرفون ذلك. بسبب الحزن والغضب ورائحة جسد رفيقه المتعفنة تملأ أنفه يتوقف الجندي عن طرح الأسئلة ويبدأ في صنع قواعده الخاصة بسلاحه. لقد لمس قلب الظلام حيث لا عودة بعد ذلك.

احتضان الداعرة التي اسمها (الحرب) يحطم أخلاقه ومما يزيد في انهياره أنه يفعل كل ذلك بسبب قضية غير شريفة.

لهذا من واجبنا نحن الذين خضنا الحرب أن نتكلم بقوة. إذا تطلب الأمر لكمة شديدة على أفواه بعض أصحاب العقول المحافظية الجديدة، ليكن ذلك. إن البقاء صامتين في هذا الوقت يعرضنا لخسارة كل شيء تمثله بلادنا.

القصة التي أريد أن أرويها لكم تبدأ في يوم ساخن بائس في شباط ١٩٦٩ حين شاهدت كولونيل الجيش جون دونالدسون يرفع قدحًا من نبيذ الرز مخلوطًا بالدماء إلى فمه ويرتشف منه رشفة كبيرة. ولا يهم أن يكون المزيج مليئًا بالديدان، لأن دونالدسون لم يكن يهزه ذلك. في ذلك الوقت كنت أخدم كمراسل عسكري تابع للجيش ومرافق للواء المشاة الخفيف الحادي عشر وكانت مهمتي ذلك اليوم أن أتابع دونالدسون في مهامه ألتقط صورة بعد أخرى مما يجري أمام عيني.

كان هو قائد اللواء في موقع اسمه إل زد برونكو مجاور لقرية دوك فو. وكان معسكر قاعدة اللواء جزءًا من الفرقة ومقرها شمال تشو لاي.

وكان الكولونيل ومجموعة من ضباط الفرقة ضيوف شرف في احتفال تيت في قرية باتو في الأراضي المرتفعة جنوب غرب

تشو لاي. وقربها كان هناك معسكر للقوات الخاصة وهي قلعة مثلثة الشكل في كل زاوية مدافع عيار ١٠٥ ملم وتقصف بشكل مستمر. حتى أفعى لم تكن لتزحف خلال متاهة سياج الأسلاك الشائكة التي تحيط بالمجمع وعشرات من الألغام مزروعة في الجدران. وانفجار لغم قد يحولك إلى ذرات هواء.

وكانت القرية ومعسكر القوات الخاصة قد قصفت مرارًا بنيران القوات الفيتنامية الشمالية المكثفة وحضور دونالدسون كان مثل شوكة في عين قادة العدو الذين كانوا يلعقون جراحهم في غابة قريبة. إن طبيعة المنطقة تثير فيّ القشعريرة لأن التلال الجميلة المغطاة بالخضرة والتي تحيط القرية كانت محفرة بآثار القصف والقنابل. وعند مشاهدتها لم أكن أستطيع أن أمسح من ذهني صورة العملاق الأخضر المرح الذي تغطي وجهه بثور حب الشباب. وفي حين أن نساء القرية كن قد فرشن المنطقة بالطواطم والرايات الملونة البراقة لتغطية أضرار الهجوم. كان هناك عجل جاموس ينزف حتى الموت بعد أن غرز فيه رئيس القرية رمحًا، واستغرق انهيار العجل نصف ساعة وهو في غاية الوهن وعند ذاك ذبحه رئيس القرية فوق وعاء فخاري يتساقط فيه الدم النافر والساخن في حين جاء قروي آخر بنبيذ الرز وخلطه معه.

ولم يكن الضيوف يعلمون أن أهل القرية عذبوا في وقت سابق ذلك اليوم ثلاثة من الأسرى الفيتناميين الشماليين حتى الموت وأخذوا دماءهم بصحبة القوات الخاصة، وذلك بغرز قضبان من البامبو في مؤخراتهم حتى الموت ثم ذبحوهم كما فعلوا مع عجل الجاموس ووضعوا جثثهم على طريق العدو كتحذير لهم.

كانت تلك لحظة هبوطي إلى الجحيم.

وقبل ذلك بوقت قصير كنا قد سمعنا بأن جنودًا من الكتيبة الأولى لواء المشاة العشرين قد أقاموا مجزرة في قرية ماي لاي حين

جاء البوليس العسكري وفتش أغراضنا باحثًا عن قرائن ثم اعتقلوا راستي كولي. في تلك الأثناء كانت فرق النمر (tiger teams) تنفذ أعمالا وحشية عبر شبه جزيرة باتانجان ضد العدو المشتبه به. وكانت الوحشية ضد المدنيين إجراء يوميًا. وبسبب برنامج تدمير القرى وإعادة توطين الناس فقد أصبحت أجزاء كبيرة من الريف تشبه مقاطعة ميسوري المحروقة خلال الحرب الأهلية الأمريكية.

وكان برنامج فينكس في أوجه وكان هو الرعب الذي يجب أن ينهي كل الرعب. وسوف أجنبكم التفاصيل. صدقوني إنكم لا تريدون أن تعرفوا ماذا كان يجري بموجب هذا البرنامج.

إذن كان وقوفي هناك أرقب دونالدسون يشرب من ذلك القدح، الرمز العميق لكل خطايانا هناك، مثل صفعة على وجهي. وللمفارقة فإن صحيفة مناهضة للحرب اسمها أوفيرسيز ويكلي أو أوفرسيز نشرت إحدى صوري وعليها تعليق يقول (ضابط بالجيش يشرب الدماء في طقوس وثنية).

في شباط ١٩٦٩ كانت معنويات اللواء قد وصلت إلى الحضيض بسبب الإصابات الرهيبة التي كانت تحدث لنا بشكل رئيسي من الأفخاخ والألغام حتى أن كتيبة كاملة اعتبرت خارج الخدمة. وكان الفيتناميون الشماليون يقصفون قواعدنا باستمرار بصواريخ مدفعية حتى إنه في هجوم واحد قصفت قاعدة برونكو ٢٠٠ مرة وقد سمي الهجوم فيما بعد (حريق دوك فو) وأصبح التمرد على الضباط في القاعدة شيئًا عاديًا. وقد انهار الجنود وبعضهم انتحر. وقام احد هؤلاء الجنود الذي فقد اتزانه بفتح النار على مجمع الاسرى وقتل عددا منهم.

أدين دونالدسون وقائد من قواد الكتيبة بقتل المدنيين من المروحيات كل ذلك والتحقيق في مذبحة ماي لاي كان ما يزال مستمرًا. وقد كتب ميجور شاب اسمه كولن باول عين في اللواء

الحادي عشر وكان يعرف دونالدسون في مذكراته بصدمته عما شاهده يجري في اللواء الحادي عشر. ربما مر هو أيضًا بتجربة الهبوط على الجحيم.

أشعر بالخدر في أحشائي وأنا أرى نفس الكوابيس تصبح حقائق في العراق. وأتساءل: ما الذي حدث لروح أمريكا. هل هذا ما نريده؟ جيل آخر يرضع من سم قيادة أخرى مختلة؟ لقد كان كل متمرد فيتنامي يستحق التعذيب وكل بيت عراقي بما فيه من نساء ورجال وأطفال هو ميدان تدريب على النيران! حتى أماكن العبادة سويت مع الأرض.

صحفيون وجنود

(هــذه تقــارير صــحفية كتــب معظمهــا صــحفيون مرافقــون للجيش الأمريكـي، وهـم - بهـذه الصـفة - يصبحون توأمًا للجندي يتقمصون حياته وافكاره).

أخطر مكان في العراق

تود بتمان - أسوشيتد برس

تود بتمان مراسل ومصور للاسوشيتد برس مرافق لمارينز الرمادي من الكتيبة الثالثة الفوج الثامن.
الزمن: الثلاثاء ٦ نيسان الساعة العاشرة مساء.
المكان: الرمادي – العراق.

كنت جالسًا خارج قصر محصن بأكياس الرمل، كان قصرًا رئاسيًّا وأصبح الآن قاعدة للمارينز، أنصب اللابتوب وهاتف الستلايت وأفحص بريدي الإلكتروني. قبل عدة ساعات كانت هناك عاصفة رملية ولكن الجو صاف الآن. إنها رفاهية أن تكون قادرًا على تصفح البريد الإلكتروني. كانت هناك أيام في الأسبوع الماضي قطع فيه قادة المارينز الإنترنت مؤقتًا عن الجنود، هذا يحدث حين يقتل مارينز. وحسب قواعد الجيش من المهم أن يبلغ أهل المتوفين رسميًّا من قبل الجيش قبل أن يسرب إليهم زملاؤهم الأخبار عن طريق الإنترنت.

أرى مترجمًا كان قد تجول معي عدة مرات في المدينة وهو الآن يجثو بقربي ويقول: "ليست الحياة إلا بخار ماء يظهر لوقت قصير ويتبخر. الحياة قصيرة جدًّا وهي ثمينة جدًّا. هذا ما نتعلمه هنا".

هذا المترجم وهو أمريكي من أصل عراقي ومولود في العراق كان معي حين جئت هنا في رتل لأول مرة وكان معه إم ١٦ ولم أر

من قبل مترجمًا يحمل سلاحًا مثل إم ١٦ ولكنه قال "حياتي ثمينة أيضًا" وأوضح أنه لن يستعمل السلاح إلا للدفاع عن نفسه. والمترجمون خاصة المولودون في العراق مثل هذا الرجل يخفون هوياتهم اتقاء الانتقام.

وحتى نضع مستوى الخطر هنا في المنظور المناسب، أقول لكم إن المارينز سألوني في أربع مرات منفصلة ما إذا كنت أريد أن أحمل سلاحًا على الأقل مسدسًا أو بندقية آلية. لقد رافقت القوات الأمريكية في العراق وفي أفغانستان ولم يسألني أحد مثل هذا السؤال حتى على سبيل المزاح.

الرمادي ربما هي أخطر مكان في العراق. لا أدري إن كانت الإحصائيات تدعم هذا القول ولكن بالتأكيد هذا انطباع كل المارينز الذين تحدثت معهم هنا وانطباعي أيضًا. في كل يوم هناك انفجارات عبوات ناسفة وهجمات بالأسلحة الصغيرة ورصاص القناصة. ويبدو مستوى الخطر هنا أكبر من بقية البلاد. في كل مرة أخرج إلى الخارج لأنصب معداتي في هذا الموقع أسمع أصوات طلقات بنادق آلية وعلى الجسر البحري الذي يمتد على حافة هذه القاعدة والذي يحتله المارينز الآن كان هناك في الليلة الماضية ومضات مصفرة لتحذير من يقترب.

في كل مرة نركب الهمفيات إلى خارج القاعدة يقدم لي المدفعجي النصائح في حال ضربتنا قنبلة يدوية أو عبوة ناسفة أو رشقة هاون أو أسلحة خفيفة. وكل إجراء نتخذه يختلف باختلاف الضربة.

ورغم العنف يبدو معظم مدينة الرمادي طبيعيًا. الناس يبيعون ويشترون والأطفال في الشوارع والأعمال سارية والحياة مستمرة.

مركز مدينة الرمادي رغم ذلك يبدو ميدان قتال. مبان مضروبة ومدمرة أو مرشوقة بثقوب الرصاص أو منهارة بالقنابل الضخمة الأمريكية. في هذه المنطقة يقع مركز الحكومة وهو مجمع يضم

مبنى المحافظ. ويبدو مثل قاعدة عسكرية حيث يقف المارينز على سطحه وسط أكياس رمل وشبكة مموهة تغطيهم وهم هنا لحراسة المحافظ. وفي الداخل أسلاك عبر الأرض والمارينز يستريحون في أسرة خفيفة في الممرات المظلمة وتسمع صرير الراديوات بأصوات العمليات في الخارج. وهذا المبنى يهاجم يوميًا من قبل مسلحين يختبئون في المباني المحيطة به. وهم يفعلون ذلك بدون هوادة. وقد أحدثت رشقة هاون ثقبًا كبيرًا في أحد أجنحة المبنى حين كنت هناك وقد أصيب أحد رجال الشرطة وأخذ إلى المستشفى.

ولكن ليس كل المهام سهلة. (المتمردون) يحرقون أو يفجرون أبراج الهواتف النقالة ومعها الهواتف الأرضية. المدينة ليس فيها خدمات هاتف. وقد أرسل فريق من الخبراء الأجانب إلى الرمادي هذا الأسبوع لمحاولة إصلاح شبكة الهواتف وكان قائد المعسكر الكولونيل نيري يحاول أن يرسل معهم قوة جوية ووحدة مارينز إذ كان من الغباء ارسالهم وحدهم ولكن مركبة في الرتل تفجرت بعبوة ناسفة مع بعض تفجيرات الهاون جعلت الفريق يهرب خارج المدينة. اليوم أرسل المارينز أحد مهندسيهم وهو مارينز احتياط إلى الموقع.

خرجت في عدة مرات مع دوريات المارينز ومداهماتهم خارج مركز الحكومة، تقريبًا كل المباني حوله مهجورة. إنه مكان مخيف. هناك سيارات محروقة في كل مكان وهناك الكثير من المخلفات. كل كوم قمامة وكل كيس زبالة وكل كوم تراب قد يخفي عبوة ناسفة. إن ذلك يجعلك في غاية التوتر. اليوم رأينا جثة بقرة منفوخة. قد تكون تحتوي على عبوة ناسفة. وعلى كثير من الجدران هناك كتابات باللون الأسود. أصورها وأسأل المترجم أن يترجمها لي. في صورة هناك مارينز يقف على زاوية الشارع وعينه على منظار رشاشته وهو يغطي رفاقه وهم يعبرون الشارع ركضًا. وخلفه على الحائط مكتوب باللغة العربية (يعيش المجاهدون) وحائط آخر مررنا به قبل عدة أيام مكتوب عليه (اقتل العملاء قبل الأمريكان).

المقاتلون الأشباح

باتريك جي ماكدونيل

لوس أنجليس تايمز

٢٠٠٤/٧/٢٥

يقول العريف هامبي "إنهم مثل المقاتلين الأشباح قد تدخل معهم في معركة بأسلحة نارية، وبعدئذ عندما تذهب إلى البقعة التي كنت تطلق النّار باتجاهها، لا تجد أيّة خراطيش، أو أجسام، لا شيء. يحملون كل شيء ويختفون". ويُعتقد أن المقاتلين العراقيين استخدموا ضد جنود المارينز معدّات عسكرية أمريكية استولوا عليها، بضمن ذلك مركبة همفي وحيدة شوهدت مرارًا وهي تتجول مثل سفينة شبحية.

جلس في مركز الشريعة الإسلامية ذي القبة الفيروزية بضعة من جنود المارينز في انتظار العدو ليقوم بحركته المنتظرة. مسلحون ببنادق قنص سوفيتية الصنع يرصدون المبنى مهاجمون يحملون رشاشات أي كي ٤٧ وقاذفات رمّانات يختلسون النظر بانتظام من الحارات والسطوح القريبة. الهجمات قد تأتي من أيّ اتّجاه.

الانتظار يثير الأعصاب، لكنّه أفضل من أن تكون في شوارع هذه المدينة الغربية العاصفة. قافلة مارينز هوجمت الأربعاء هنا بقنبلة على الطريق وحوالي ١٠٠ مسلح أطلقوا عنان وابل نيران الأسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية التي تعمل بالدفع الصاروخي في معارك بالأسلحة النارية استمرت طوال اليوم. أصيب ثلاثة عشر جندي

مارينز وجنديًا واحدًا والجيش الأمريكي أبلغ عن قتل ٢٥ مقاتلا.

"عندما تتمشّى في الشوارع، يستطيعون هم الاختفاء في كلّ جزء من المكان ولا تستطيع أنت إيجادهم أبدًا حتى يبدءوا بضرب النار". يقول العريف البحري جلين هامبي ٢٦ عامًا، الذي يترأّس الفرقة ٣ من سرية الغولف: "هنا لا بد أن يأتوا إلينا".

هذا ما آلت إليه الحرب في قلب المنطقة السنية في العراق، حيث يرجع أسلوب توفير الأمن الهش إلى حروب الهنود الحمر في أمريكا بالقرن التاسع عشر - الوقت الذي كان فيه سلاح الفرسان يتخذ المخافر الأمامية والحصون في أرض العدو. الرمادي مثل بلاد هندية - فهو "الغرب المتوحش جدًّا" كما تسمى المنطقة..

حوالي ستّة مواقع مراقبة تابعة للمارينز تقبع في شارع الرمادي الرئيسي، وتربط قواعد محصّنة تحصينًا شديدًا وتساعد على منع تحويل المدينة المعادية إلى ملاذ للمسلحين مثل الفلوجة.

لقد ابتعدت القوات الأمريكية كثيرًا عن الفلوجة ٣٠ ميلا إلى الشرق ولكن هنا في عاصمة محافظة الأنبار الاستراتيجية، يستمرّ القتال يومًا بعد يوم.

لقد واجهت الدوريات العدوانية التي ميزت وصول المارينز في هذا الربيع وصول هجمات مقاومة حادة ودامية تسببت في أشد الخسائر الأمريكية في حرب العراق. ولكن منذ أن أفسحت الدوريات المجال لاستراتيجية "المخافر الأمامية " هبطت نسبة الوفيّات الأمريكية بشكل كبير.

يقول جنود البحرية إن هذا المخطط كان مفيدًا بشكل آخر: فعلى خلاف الفلوجة، مازال في الرمادي الوجود العسكري الأمريكي المصمم على إبقاء شريان المدينة الرئيسي مفتوحًا ويدعم الشرطة العراقية التي تحمي مركز الحكومة العراقية المحصّن تحصينًا شديدًا

ويمنعه من السقوط في ظلام الفوضى وسيطرة المقاتلين.

يتزامن الاختفاء الأمريكي داخل القلاع هنا أيضًا بعودة السيادة إلى العراق ودفع وطني لإبقاء القوّات الأمريكية في الخلفية قدر المستطاع. ولكن لا أحد يشك بأنّه لولا الوجود العسكري الأمريكي هنا لهزمت قوى الأمن العراقية.

"حققنا بعض النجاح - الطريق السريع ١٠ مفتوح، ونحن نرى العراقيين يستلمون أكثر فأكثر مسئولية أمنهم الخاص" هذا ما يقوله النّقيب كريستوفر، الذي يترأّس سرية الفولف من القاعدة البحرية التي تتعرض كثيرًا للهجوم والمعروفة بالموقع القتالي المتقدم، وهو مرفق قديم للجيش العراقي السابق. " أن أهل الرمادي جاهزون لاستلام المسئولية منا ".

حتى ما بعد الاستراتيجية الجديدة فإن قصّة الرمادي تختلف اختلافًا واضحًا عن قصة الفلوجة.

ولو أنّها اكتسبت صفة رمز المقاومة المسلّحة، لكن الفلوجة أساسًا مثل الماء الراكد بدون أهمية استراتيجية. أما الرمادي، بسكانها البالغين ٤٥٠,٠٠٠ نسمة، فهي المحور الاقتصادي والسياسي للوسط المسلم السني.

الرمادي أيضًا هي البوّابة إلى سوريا والأردن، وتمتلئ بالمجنّدين المحتملين للجهاد ضدّ المحتلين "الكفرة". ولم يكن لدى جنود المارينز في الرمادي ترف ترك الأمور والانصراف.

منذ الوصول في مارس/آذار، فقدت الكتيبة الثانية للفوج البحري الرابع ومقرّها في الرمادي ٣١ جنديًا وتكبدت تقريبًا ٢٠٠ إصابة، أكثرها كان أثناء سلسلة من القتال العنيف ولكن غير المعلن عنه في بداية نيسان / أبريل.

قبل وصول جنود البحرية، أعلن قائد فرقة الجيش الثاني

والثمانين المحمول جوًا، اللواء تشارلز إتش - سواناك الإبن - بأنّ الأنبار كانت "على مدرج هبوط نحو النجاح" وقال إن المتمردين هنا "غير منظمين" - وهو وضع بعيد تمامًا عما يواجهه اليوم المارينز الذين استلموا المهمة من جنود سواناك..

كانت استراتيجية جنود البحرية الأولية للدوريات الفائقة أكثر عدوانية من جهود القتال المحدودة لدى الجيش. وقد أظهر ردّ الفعل العنيف بأنّ المقاتلين في الرمادي لم ينتهوا أبدًا وهذا ما يقوله المارينز، وأنهم من المحتمل كانوا يعملون على توحيد قواهم خلال احتلال الجيش.

وقد علّم القتال العنيف من بيت لبيت في أبريل/ نيسان جنود البحرية درسًا صعبًا: أن حملة "القلوب والعقول" التي تصورها الكثير وهم يستعدّون للحرب في معسكر بيندلتون لم تصل إلى صميم المثلث السني، حيث ينتشر على نطاق واسع الاستياء ضدّ الوجود الأمريكي ومن غير المحتمل أن يضعف، كما يؤكد العديد من جنود البحرية.

لقد استبدلت مركبات الهمفي رقيقة الجدران والتي شكلت معظم أسطول المركبات لقوات المارينز أثناء الربيع بنسخة جديدة من المركبات المدرعة "الشبيهة بالدبابة" ولكن بعد أن تكبد المارينز خسائر فادحة وكما قال أحد الضباط: "نسأل أنفسنا طول الوقت لماذا لم تأت السيارات قبل ذلك بوقت طويل؟".

مع ذلك ليس ثمة شيء هنا آمن بشكل كامل مهما استخدمت من دروع. إن المجازفة بالخروج من الرمادي تستنزف شجاعتك، بالرغم من أن المخافر الأمامية المحصّنة ساعدت على تخفيض انتشار القنابل على الطريق، والتي يسميها الجيش عبوات متفجرات مرتجلة.

"سمعنا عن عبوات المتفجرات المرتجلة قبل وصولنا هنا، لكن لا أحد أدرك بأنّ الرمادي كانت مشبعة بهذه العبوات " كما يقول

النّقيب روب وايلر، الذي يترأس سرية الهجوم النقال.

إحدى المهام الرئيسية لمواقع المراقبة هو أن تكتشف وتقتل فرق زرع القنابل، في نفس الوقت يجب الانتباه لمقاتلي الهاون والسيارات المفخخة، وفرق الكمائن، والمهاجمين الآخرين.

إن المقاتلين العراقيين يعرفون بالضبط أماكن تواجد جنود البحرية ويعتبرون المخافر أهدافًا أساسية: أربعة جنود مارينز قتلوا الشهر الماضي في الرمادي عندما اجتيح مخفرهم في عتمة الصباح الباكر؛ وقد تم تصوير أجساد القناصة القتلى والدماء تغطيها وهم ممددون على سطح مبنى بكاميرات فيديو وأذيعت في وسائل الإعلام في أنحاء العالم. ويرفض قادة المارينز إعطاء التفاصيل حول كيف أمكن الاستيلاء على المخفر – بالمفاجأة كما هو واضح وقبل أن تصل أية نجدة.

إنّ شراسة القتال في الرمادي وإصرار المجاهدين - كما يوصف المتمرّدون هنا - ولو أن أحد القواد يفضّل تسميتهم "جهاد جوني" - أنتجت رأيًا محددًا جدًّا حول ماهية العدو هنا: أنهم مزيج محلي في الغالب من الوطنيين المعادين للأمريكان، وموالين لنظام صدام حسين السابق ومدد لا ينتهي على ما يبدو من المقاتلين نصف الوقت - وهم من الجيش العراقي السابق - الذين يتشوقون لالتقاط بندقية أو قاذفة رمّانات لإطلاق النّار على القوات الأمريكية وحلفائهم العراقيين.

ويقول جنود المارينز إن أكثر المتمرّدين هنا هم من مواطني منطقة الرمادي، حيث ولدت الثقافة العشائرية المعزولة وامتهان التهريب الحدودي تيّارًا تحتيًّا من العنف والريبة من الغرباء. حتى نظام صدام حسين كان يلاقي صعوبة في بسط سيطرة كاملة عليهم.

لا يقف وراء المقاومة هنا مقاتلون أجانب أو متطرفون دينيًّا كما يقول القادة العسكريون، ويقول الرائد مايكل بي وايلي ضابط

الكتيبة: "هو خليط كبير واحد متداخل غير متجانس".

شبكات الخلية منيعة عمليًا، وتتجدّد بسرعة بعد إلقاء القبض على زعمائها أثناء مداهمات المارينز.

" لا يوجد لدينا عمل استخباراتي دقيق - نحن نتعامل مع لغة مختلفة، وثقافة مختلفة " كما يقول النّقيب كيلي روير من سرية إيكو، الذي فقد ١٨ جندي مارينز وهذا العدد يفوق ما فقدته أية سرية أخرى.

يتكلّم جنود البحرية عن حرب عصابات تقليدية - عدو مراوغ عابر يذوب داخل السكان بسرعة، مخفيًا معه كلّ دليل وجوده.

يقول العريف هامبي "إنهم مثل المقاتلين الأشباح، قد تدخل معهم في معركة بأسلحة نارية، وبعدئذ عندما تذهب إلى البقعة ذاتها التي كنت تطلق النّار باتجاهها، لا تجد أيّة خراطيش، أو أجسام، لا شيء. يحملون كل شيء ويختفون".

ويعتقد أن المقاتلين العراقيين استعملوا ضد جنود المارينز معدّات وتجهيزات عسكرية أمريكية استولوا عليها، بضمن ذلك مركبة همفي وحيدة شوهدت مرارًا وهي تتجول مثل سفينة شبحية - ولو أن هذه القصة تبدو مثل أسطورة أكثر منها حقيقة.

تعترف القوات الأمريكية هنا أن لا أحد يحبهم في مدينة تعج بالرسومات والكتابات التي تمجد مآثر المجاهدين "الشجعان" وتنادي "تسقط أمريكا".

يقول أحد قادة المارينز "إنهم يكرهوننا هنا" وهو يناور بمركبته الهمفي في الشوارع الفرعية الخطرة لجانب الرمادي الجنوبي المتفجّر، حيث كان القتال على أشده في أبريل/ نيسان. في صباح أحد الأيام اقترب بعض الشبان من المركبات الأمريكية والابتسامات تغطي وجوههم - ثم انهالوا عليها بوابل من الحجارة.

إن الوصول إلى مركز الشريعة الإسلامية، حيث كان جنود البحرية فرقة ٣ في ذلك اليوم يقومون بتغيير وردية ١٢ ساعات كان بمثابة تمرين حرب صريح: عدّة مركبات همفي تسد كل المرور على الطريق السريع ١٠ وتشكّل كردون أمن بالمدافع الرشّاشة الجاهزة بينما كان جنود بحرية آخرون يترجّلون ويدرّبون أسلحتهم على البنايات وعابري سبيل والسيارات. وفي هذه الأثناء تهرول القوّات المكلفة بالوردية الجديدة الياردات العشرة النهائية إلى الباب الأمامي المعدني، الذي يفتح بسرعة ويغلق.

ويوفر هيكل الطوابق الأربعة من الطابوق والخرسانة مكانًا استراتيجيًا قرب وسط المدينة. وتوضع الألغام المضادة للأفراد داخل حيطان المركز الذي تضرر بشدّة، حيث ما تزال الحاسبات القديمة في فصول الدراسة وتمتلئ الأرفف بكتب القانون باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.

يقول جنود البحرية إن مهمّتهم هنا في الغالب هي انتظار، وترقّب المتمرّدين الذين يزرعون القنابل أو ينصبون الكمائن، وبعد ذلك صدّ الهجمات.

ذلك الصباح، شوهد رجال مع أي كي -٤٧ يختلطون بين المدنيين في موقف سيارة أجرة عبر الشّارع إلى الشمال. قذفت شاحنة صغيرة مقاتلين آخرين من الشرق. وقد قتل على الأقل ثلاثة مهاجمين في المعركة الضارية التي حدثت واستمرت عشر دقائق ويقول جنود البحرية إنه لم تقع بينهم إصابات. أطلق جنود البحرية ستّة صواريخ، ودمّر الكشك الذي تقف عنده سيارات الأجرة.

وبعد أشهر من القتال صار واضحًا لدى هؤلاء الجنود بأنّهم غير مرغوبين في مكان يتمنى معظم سكانه أن يروهم خارجه، والكثير يريدونهم موتى. ويقول الجنود إنه من غير المحتمل حدوث نصر عسكري حاسم هنا.

لقد لقي تسليم السيادة إلى حكومة عراقية انتقالية ترحيبًا باعتباره خطوة أولى في استراتيجية الخروج التي سوف تزيل في نهاية المطاف الوجود الثقيل للقوات الأمريكية وتضع العراقيين في الخطوط الأمامية لحريهم الخاصة.

يقول نائب العريف ديفد جاوارد ٢٦ عامًا: "شخصيًّا، أرى أن هذا مأزق: نحن يمكن أن نستمرّ بالقتال في نفس الأسلوب إلى الأبد"، وهو يحمل نسخة من رواية "جاتسبي العظيم" للقراءة في لحظات فراغه. "لا نقص في الأسلحة لديهم، وكذلك نحن. وطالما ظل الأمريكان هنا، فسوف يستمرون في القتال".

العدو ما يزال هنا!

سكوت ولسن(*)

بعقوبة ٢٤ يونيو/حزيران ٢٠٠٤ - جنود الفرقة مشاة الأولى الذين تركوا أرض المعركة يوم الخميس مرهقين بسبب وقع المعركة السريع والجنوني وشمس الصيف الحارقة لم يروا شيئًا مثل هذا خلال الأشهر الثلاثة التي كانوا فيها هنا.

في المعركة التي استمرت من الفجر إلى المغرب قام أكثر من ١٠٠ مقاتل مسلح في الانتشار في المنطقة واحتلال مباني المدينة، واستخدموا تقنيات يقول عنها القادة الأمريكيون إنها تشبه ما كان يستخدمه الجيش العراقي. كان المقاومون مسلحين جيدًا وتحركاتهم منسقة وقد أظهروا مستوى جديدًا من القوة والمهارة التكتيكية أرعبت الجنود الذين كانوا يواجهونهم.

وفي نهاية اليوم استطاعت الدوريات المشاة والمدرعة من إخراج المقاومين من وسط المدينة رغم أن بعضهم ظل مسيطرًا على مركزين لشرطة في مناطق معروفة بالعداء الطويل للاحتلال الأمريكي. قتل جنديان أمريكيان بضمنهم قائد أصابته في مقتل قنبلة صاروخية.

ويقول اللفتنانت تي جي جرايدر (٢٥ عامًا) الذي قاتل فصيله أكثر من ١٢ ساعة: "كانوا بالتأكيد أفضل ممن كنا نواجه عادة ولكني أعتقد أن ما فعلناه هذا اليوم كان مهمًا".

(*) كتب التقرير الصحفي سكوت ولسن من واشنطن بوست ٢٠٠٤/٦/٢٥.

والهجوم الذي يأتي قبل أسبوع من النهاية الرسمية للاحتلال، يبين مدى الخطر الذي ستتعرض له الحكومة المؤقتة والتحديات التي سيكون على القوات الأمريكية الباقية هنا أن تواجهها. إن الشرطة العراقية التي دربتها الولايات المتحدة عجزت أو هربت في معظم الأحيان عن مواجهة عدو أكفأ منها. ويقول القادة العسكريون هنا إن المعركة في هذه المدينة التي تبعد ٣٥ ميلا إلى شمال شرق بغداد لم تنته بعد.

لقد حارب المقاتلون بجماعات منسقة كبيرة ووضعوا أفخاخًا معقدة ومتطورة واحتلوا مباني المدينة حيث كان يبدو أنهم يخططون منها لمعركة طويلة. وقد بدءوا أولا في الهجوم على شارعين مهمين في المدينة قاصدين عزل واكتساح مقر سلطة التحالف المحلي ومبان حكومية أخرى كما قال القادة العسكريون الأمريكان.

وقد كان عدة قادة عسكريين أمريكان قد أوحوا بأن المقاومين لابد وقد تعلموا تكتيكاتهم التي أظهروها في الأيام الأخيرة من قادة حرب العصابات الماهرين من خارج المدينة، ربما يقودهم مقاتلون أجانب قدموا إلى العراق لمقاتلة الاحتلال. لقد لاحظوا أن تجار المدينة لم يستلموا تحذيرًا بالهجمات كما فعلوا من قبل في انتفاضة نيسان. وكان العديد من الناس يحاولون الوصول إلى أعمالهم في خلال ساعات الذروة ولكن القتال أعادهم من حيث أتوا.

ويبدو أن التحضير للمعركة استمر منذ أسابيع وقد حدد للهجمات لتكون جزءًا من هجمات يوم الخميس التي اجتاحت العراق. وبعد أن استطاعت ضربات جوية أمريكية قوية أن توقف تصاعد المقاومة هنا قبل المغرب وجد الجنود مخزونًا كبيرًا من الأسلحة في أنقاض مبنى وأماكن لمدافع منصوبة في كلية تقنية قريبة.

قال اللفتنانت كولونيل ستيف بوليمور قائد القوة المسئولة عن بعقوبة وهو يشير إلى عدوه: "إنه ما يزال هنا في المدينة، يختبئ الآن ولكنه سوف يعود. إنني أعيد تجميع القوات وسننتظر المعركة القادمة، ولكني لا أعرف متى ستكون".

لقد تسببت بعقوبة التي تقع وسط بساتين النخيل في المشاكل للقوات الأمريكية طوال الاحتلال. كان يسيطر على حياتها السياسية لسنوات طويلة زعماء العشائر والضباط العسكريين السابقين الذين كانوا يعيشون برفاهية حين كان صدام حسين في السلطة. والآن الكثير منهم ضمن قوات وقادة المقاومة المحلية كما يقول القادة الأمريكيون هنا.

وعلى ما يعتقد الأمريكيون فقد وجهت قوات بوليمور ضربة شديدة للمقاومة بمقتل ما يعتقد أنه قائد المقاومة في بعقوبة حسين علي سبتي في معركة في بهرز الأسبوع الماضي. وكان قد قتل ١٣ مقاومًا وجندي أمريكي في تلك المعركة. ولكن الهجمات على الجنود لم تتوقف.

خلال الأسابيع العديدة الماضية كان بوليمور يرسل فرق قناصة إلى المدينة لقتل المقاومين الذين يزرعون ألغامًا مضادة للدبابات تحت جنح الظلام. وهذه الألغام المصنوعة من قذائف المدفعية وذخيرة الدبابات وتفجر بالريموت كونترول كانت قد قتلت الكثير من جنوده على طرق الإمدادات الرئيسية.

وفي وقت متأخر من ليلة الأربعاء عمل جرايدر قائد الفصيل مع فريق قناصة في منطقة (التحرير) جنوب مركز الحكومة الذي يطل على شارع القنال وهو شارع رئيسي في المدينة التي يقطنها ٢٥٠ ألف نسمة، وقد أطلق القناص في الفريق الرصاص على رجلين يزرعان قنابل وقال جرايدر إن الاثنين قتلا وهما رابع وخامس مقاوم يقتل ذلك الأسبوع.

بعد ذلك بقليل سمعت أصوات كلاشينكوف قريبة، واستمرت لعدة ساعات وهي تضيء سماء ساعات ما قبل الفجر بومضات الإطلاقات. ولكن جرايدر ورجاله رجعوا إلى معسكرهم في الساعة الرابعة والنصف فجرًا وخلدوا إلى النوم مباشرة.

بعد ساعتين عندما خرج رتل من مركبات البرادلي المقاتلة إلى الحافة الغربية للمدينة تبحث عن ألغام الطريق استيقظ الكابتن ترافيس فان هيك على صوت راديو زاعق في المكتب المجاور لغرفته.

كان الصوت يصرخ: "لقد أصبنا" كان فخًّا منصوبًا بصواريخ وقنابل قتلت جنديين بضمنهم قائد الفصيل.

ويقول فان هيك (٢٩ عامًا) من لوميرا في وسكنسون "إن المجموعة التي جاءت اليوم كانت أكثر دقة وأكثر تنظيمًا مما رأينا سابقًا. لقد انفجر القتال في هذا المكان اليوم".

وخلال الساعات القليلة التالية استولى المقاومون على مراكز الشرطة في بهرز في منطقة المفرق حيث قتلوا سبعة ضباط شرطة عراقيين.

وفي أثناء ذلك، هرع الجنود بالمصابين من مركبات البرادلي إلى مستشفى في المدينة. وقد تعرض رتل يحمل عدة جنود مصابين إلى إطلاقات المقاومين عدة مرات وكأنهم كانوا ينتظرونهم. وقد تم تدمير مركبات البرادلي وكان على الجنود الأمريكان أن يسحبوا هذه المركبات إلى المعسكر.

في الساعة ٩ صباحًا كان المقاومون قد استولوا على ثلاثة مبان في الجانب الشرقي من المدينة قرب ملعب كرة القدم. ويقول بوليمور إنه تابع المقاومين يدخلون المباني وهم يأخذون مواقعهم القتالية هناك. وهنا أمر بالضربات الجوية.

بعد دقائق ألقيت على المباني ثلاث قنابل زنة ٥٠٠ رطل مما

أحالها إلى أنقاض. وقد كلف فصيل فان هيك بتأمين المنطقة والتفتيش في الأنقاض. وجدوا عشرات من صواريخ ٥٠ ملم وصناديق ذخيرة كلاشينكوف ومدافع هاون.

ويقول بوليمور: "يبدو أن ذلك كان تخطيطًا لمعركة طويلة وليس مجرد اضرب واهرب".

وفي وقت سابق من ذلك اليوم أعلنت جماعة ترتبط بأبي مصعب الزرقاوي في خطاب باللغة العربية عبر القنوات الفضائية مسئوليتها عن الاستيلاء على مراكز الشرطة. ولكن بوليمور الذي قال إنه يعتقد أن أناسًا من خارج المدينة قد يكونون رتبوا للهجمات، يقول إن التكتيكات لا تتفق مع أسلوب الزرقاوي (السيارات المفخخة وذبح الرهائن).

قبل المغرب خف القتال في الشوارع وبعد ساعات وهم محاصرون في الدبابات ومركبات البرادلي في درجة حرارة تصل إلى ١١١ درجة بدأ عشرات الجنود بالإحساس بتأثير الإرهاق والجفاف الذي تسببه حرارة الجو. وكان يجب إمدادهم بالسوائل بشكل عاجل.

كان الدمار كبيرًا في مباني وسط المدينة. في الجامعة كان الزجاج المتطاير من النوافذ يملأ المكان وكان مجموعة من الناس قد بدءوا في نهب المباني حين ترك الجنود الأمريكان الموقع ولكنهم توقفوا حالما عادت القوات الأمريكية.

بعد الظهر كانت مروحيات الأباتشي تحوم حول أطراف المدينة وهي تطلق الصواريخ التي ترسل أعمدة من الدخان الأسود. وقال بوليمور فيما بعد إن المروحيات استهدفت سيارة سيدان سوداء كانت تحمل رجالا يرتدون أزياء المقاومة السوداء. وظلت الشوارع خالية حتى بعد انتهاء القتال لمدة طويلة.

قصة انفجار غامض

حوار مع المراسل الحربي سكوت تايلور

المصدر Balkanalysis.com

٢٠٠٤/٦/٢١

في أوائل هذا الشهر عاد أشهر مراسل حربي كندي وهو سكوت تايلور من العراق وجعبته مليئة بقصص (التحرير) في ظل الاحتلال. في هذه المقابلة التي أجراها موقع Balkanalysis.com يقدم تايلور دليلا جديدًا على كيفية محاولة الجيش الأمريكي تجنب مسئولية أفعاله وكيف يعمل بعض الجنود على التربح من الفوضى.

كريستوفر دليسو: سكوت، لقد عدت مؤخرًا من العراق (المحرر) الخطر. ماذا كان انطباعك العام للوضع هناك في هذه الأيام؟

سكوت تايلور: انطباعي الرئيسي هو الوحشية والاستهانة بالحياة التي تعكسها قوات الاحتلال تجاه العراقيين العاديين. منذ فضيحة أبو غريب، بدأ المزيد من القصص يظهر إلى الوجود. إحدى هذه القصص رواها لي تركماني كانت القوات الأمريكية قد قتلت بوحشية ابن أخيه قبل عدة أشهر. وقصة تعامل العائلة مع الحكومة الأمريكية بخصوص هذه المأساة يعكس استهانة التحالف بأرواح العراقيين.

كريستوفر دليسو: ما هي هذه القصة؟

سكوت تايلور: حدث انفجار غامض ذات مساء في كركوك بتاريخ ٢ شباط / فبراير٢٠٠٤ مما أثار رد الفعل الأمريكي ولكن

مع الأسف ضد مدني بريء. لم يكن هناك أحد تقريبًا في الشارع بعد الانفجار ولكن طالما أن دورية أمريكية لمحت سيارة (مريبة) قريبة من موقع الانفجار، فتعقبوها بنظاراتهم المعظمة ذات الرؤية الليلية وانتظروا حتى أصبحت السيارة في مرماهم وأمطروها بثلاث وخمسين رصاصة.

السائق كان سنان إبراهيم إسماعيل وعمره ٢١ سنة وقد أصيب ١٣ مرة. وقال شهود عيان إنه كان يتحرك حيًّا داخل سيارته لعدة دقائق بعد الهجوم ولكن القوات الأمريكية منعت الاقتراب ومساعدته.

كريستوفر دليسو: ألم يكن لدى الجنود بعض الأسباب أو بعض المعلومات لتبرير استهدافه؟

سكوت تايلر: من الواضح لم يكن لديهم شيء. وقد أخبرني الطبيب العراقي علي طرزي: "عندما سألتهم لماذا حدث ذلك قال لي أمريكي إنه هذا كان إرهابيًّا. ولكني عندما رأيت السيارة، قلت لهم إنهم مخطئون.. كان ذلك ابن عمي".

وبالتأكيد حين جاءت الشرطة العراقية إلى المكان أكدت أن سنان كان الشخص الخطأ. لقد كان في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ. كان الشاب في الواقع طالب تمريض في كلية محلية. ومن سخرية الأقدار أنه عمل فعلا لبعض الوقت خلال الستة الأشهر السابقة في القاعدة الجوية الأمريكية في كركوك.

كريستوفر دليسو: ثم ماذا حدث؟ هل اعترف الأمريكان بالخطأ أم أخفوه تحت السجادة؟

سكوت تايلر: لم يقم الجيش بمحاولة للاتصال بعائلة إسماعيل. وبما أن والد سنان كان قد توفي في ١٩٩٣ فإن المسئولية وقعت على عاتق عمه جليل أمين وهو الذي خاطب الأمريكان نيابة عن الأسرة.

وقد قال لي أمين " قيل لي أن المسألة رهن التحقيق وأني سوف أعلن

بالقرار الأخير. وبعد ثلاثة أشهر اتصلوا بي وطلبوا مني الذهاب إلى المقر" ومن هذه اللحظة تولت الأمور مكنة البيروقراطية.

عندها قدم قاض عسكري أمريكي للعم العراقي رسالة هذا نصها:

(.. بالنيابة عن قوات التحالف في كركوك – العراق، أود أن أعبر عن عميق تعاطفي لك وللعائلة لخسارة ابنك سنان. أعرف أن هذا وقت عصيب لك ولكن أرجو أن تعلموا أن ابنك رجل طيب وليس هناك أي دليل أنه كان يعمل مع القوى المناهضة للتحالف. مع خالص تمنياتي لك وللعائلة مستقبلا).

كريستوفر دليسو: إذن يبدو أنهم حتى أخطأوا في العلاقة – فأمين هو عم سنان وليس والده!

سكوت تايلر: بالتأكيد. وكان التوقيع على الرسالة هو: صامويل شويرت، ميجور وقاض في الجيش الأمريكي. ومن أجل توضيح الملاحظات الأخيرة يجب العلم أن الميجور شويرت يقيم في القاعدة الجوية الأمريكية على بعد خمسة كيلومترات من مقر الإدارة المدنية حيث سلمت الرسالة من قبل مرءوس له. ومع الرسالة التي كان على رأسها شعار وزارة الدفاع الأمريكية الرسمي، سلم إلى جليل أمين مبلغ ١٠٠٠ دولار نقدًا مع وصل لتوقيعه.

وهنا سألهم أمين لأي شيء هذه النقود؟ مذكرًا إياهم أن (سيارة البي إم دبليو وحدها كانت تساوي ٥٠٠٠ دولار" فقال الضابط بأدب بأن مبلغ ١٠٠٠ دولار لم يكن تعويضًا للأضرار وإنما هو (منحة) من صندوق الإغاثة الدولية.

كريستوفر دليسو: أوه! هل هذا هو الأسلوب المتبع لمعالجة (الأضرار الجانبية)؟ هل هناك حقًا جزءٌ من أموال (صندوق الإغاثة الدولية) لتعويض الضحايا المدنيين؟

سكوت تايلر: هذا ما يبدو رغم أن هذا لا يقال علنًا. ولكن ما يلفت الانتباه من هذه القصة الحزينة هو الفكر الذي يدير المسألة. لقد شهد أمين على أن الضابط "أرادني أن أعرف أن الولايات المتحدة ليست مسئولة قانونًا عن مثل هذه الأخطاء - وأن النقود التي كنت سأستلمها لم تأت من الجيش الأمريكي وإنما قدمت لي كبادرة على التعاطف".

كريستوفر دليسو: وهل أدرك العراقي تشعب هذه المسألة؟ وإذا كان الأمر كذلك فما كان رد فعله؟

سكوت تايلر: في الواقع أن جليل أمين هو تركماني وهو يتكلم إنجليزية مفهومة ولكنه لا يقرأ أي شيء غير اللغة التركية. وقد تعتقد أنه بعد سنة من (كسب العقول والقلوب) في العراق كان يجب على سلطات الاحتلال على الأقل أن تقوم ببعض المجهود من أجل التواصل مع المواطنين باللغة التي يفهمونها. ولكن لم يحدث ذلك. وبما أنه لم يكن هناك ترجمة تركية فإن السيد أمين لم يدرك أن (الوصل) الذي وقعه هو عقد تسوية – تخلى بموجبه عن أية حقوق تسمح له في المستقبل باتخاذ أية خطوات قانونية ضد الأمريكان.

كريستوفر دليسو: ما نتحدث عنه الآن هو دية قتل بنية خبيثة – مثل دفع تعويضات لأهالي ضحايا ٩/١١. هل خير بين أن يأخذ النقود أم لا؟

سكوت تايلر: قال لي أمين إنه حذر ".. إذا لم أوقع وآخذ النقود لن يعطونني الرسالة" وآخر شيء قاله الضابط لأمين وهو يستلم النقود "تذكر أننا الأمريكان لا نضع رقمًا بالدولار على حياة إنسان".

كريستوفر دليسو: في رحلات سابقة إلى العراق نجوت من الموت بأعجوبة من حرس صدام الجمهوري وحجارة الأطفال والمسلحين العراقيين والأمريكان على السواء. فماذا عن هذه الزيارة، هل جعلت فضيحة أبو غريب ومقتل نيك بيرغ الأمور أخطر

بالنسبة للصحفيين؟

سكوت تايلر: نعم. عندما وصلت إلى منزل مضيفي وسائقي لمدة طويلة في بغداد انمار السعدي حذرني من أن هناك جائزة لرأسي. قال:" لقد قدموا لي مبلغ ٢٠٠٠ دولار لأسلمك كرهينة إلى إحدى الجماعات. جاء إليّ رجلان في مطعم بعد زيارتك الأخيرة في نيسان وقالوا بأنهم كانوا يراقبون منزلي".

كريستوفر دليسو: وماذا حدث؟ هل قررت أن تستغني عن ضيافة السعدي؟

سكوت تايلر: لم يكن ما قاله مفاجأة لي باعتبار الارتفاع الشديد في حوادث الخطف منذ نيسان. ولكن من جهة أخرى كنت أجد الأمان في البقاء مع أسرته في الضواحي بدلا من البقاء في فندق - كما فعل نيك بيرغ. ولكن كلا، قررت أن أبقى معهم وقد فعلت بدون مشاكل. ولكن من الواضح حسب انمار أن الجماعة التي اتصلت به كانت تعتقد أنها تستطيع أن تجبر حكومتي (كندا) لدفع مليون دولار من أجل الإفراج عني - وهو عائد كبير مقابل استثمارهم مبلغ ٢٠٠٠ دولار. قلت له أن يقول للجماعة إنهم يضيعون وقتهم لأن حكومتي لن تفتقدني إلى هذا الحد".

كريستوفر دليسو: في موضوع قريب - نيك بيرغ - لقد سمعنا بعض نظريات المؤامرة التي تزعم أنه لم يقتل بالطريقة التي تم تصويره بها بسبب انعدام وجود الدم في لحظة الذبح. وقيل إنه لا بد وقد قتل سابقًا ثم افتعل الفيديو. لأنه في الجزء الأول يظهر مرتديًا زي الأسرى البرتقالي وكان يقول أسماء عائلته بهدوء وهو يجلس على كرسي. كما أن البعض شكك في هوية خاطفيه وقيل أن أحد الأصوات كان يتحدث الروسية. والفكرة هي أنه قد يكون قد قتل مسبقًا على يد قوات الاحتلال ثم افتعلت قضيته للتدليل على البشاعة ضد الأمريكان ولجلب الأنظار بعيدًا عن فضائح أبو غريب

والتي كانت حديث الساعة. وهذه النظريات قد تكون خيالية ولكنها محتملة. هل كان للعراقيين آراء في هذا الموضوع؟

سكوت تايلر: كما خمنت كان الموضوع مدار حديث العراقيين. وكل واحد كان له نظريته ولم يكن أحد يعتقد بفكرة أن القاعدة هي التي ذبحت بيرغ. وقد أشار سائقي انمار إلى أن الزرقاوي المزعوم في الفيديو كان يبدو موفور الصحة والحيوية بالنسبة لشخص عرف عنه أنه يمشي على ساق خشبية. كما أنه من المحير أن يحصل أي عراقي على الزي البرتقالي. ليست المسألة أن تدخل سوبر ماركت وتشتري هذا الزي. ومثل هذه الأزياء بالتأكيد غير موجودة في أسواق بغداد.

كريستوفر دليسو: كيف هو الحال مع القوات الأمريكية؟ كيف معنوياتهم هذه الأيام؟

سكوت تايلر: لقد تحدثت مع عدة جنود في القاعدة الجوية بالموصل. وأحدهم السارجنت جور سألني ما إذا كنت "أستثمر" بالدينار العراقي. ظننت أنه يمزح ولكنه استمر ".. ألا تريد أن تكون مليونيرًا؟ كلنا نشتري الآن كل دينار يمكن العثور عليه ونرسلها إلى الأهل".

كريستوفر دليسو: لماذا؟ ماذا يمكنك أن تفعله بالدينار العراقي في أمريكا؟

سكوت تايلر: تغييره. هذا هو الأمر. قبل الحرب مباشرة في الربيع الماضي هبطت العملة التي كانت تساوي سابقًا ١:٣ مقابل الدولار، إلى ٣٠٠٠ دينار في الدولار الأمريكي الواحد. ولكن منذ الاحتلال والعملة تزداد قوة. والآن هي ١٫٤٥٠ مقابل الدولار – أي زيادة ١٠٠ بالمائة في القيمة خلال ١٢ شهرًا فقط، ولذلك كان من السهل تتبع منطق السارجنت جور " إذا صعد الدينار إلى عشر قيمته السابقة (٣٠ سنتًا للدينار) فسوف نكون مليونيرات في خلال

خمس إلى عشر سنوات". وبما أنهم لا يستطيعون تغيير نقودهم داخل المدينة فإن الجنود يعرضون المقايضة على المدنيين العراقيين الذين يعملون في القاعدة كلما مروا من خلال المدخل الخارجي.

كريستوفر دليسو: في الماضي كتبت عن استغلال المقاولين العسكريين في العراق. هل قابلت أحدًا منهم هذه المرة أيضًا؟

سكوت تايلر: لم أقصد المقاولين أنفسهم وإنما قابلت بعض الطامحين ليدخلوا هذا المضمار. عندما وصلت إلى هناك كان الجنود الذين يحرسون القاعدة منهمكين في نقاش حاد حول الأجور الخيالية والتي تبلغ ١٥٠٠٠ دولار شهريًّا التي يتقاضاها الجنود السابقون الذين يعملون الآن مع شركات الأمن الخاصة. وقد قال لي أحد الجنود واسمه جونسون ويبلغ من العمر ٢١ سنة وهو من ولاية أيوا: "عندما أنهي أشهري الثلاثة هنا سوف أخرج من الاحتياط وأعود إلى العراق لأكسب نقودًا حقيقية". وعند سماعهم ذلك سخر بعض أعضاء الشرطة العسكرية النظاميين (غير الاحتياط) من جونسون وقالوا له:" ليس لديك المزايا الضرورية للمرتزقة" وهنا أجابهم جونسون قائلا:" اسخروا من أنفسكم لأني وقعت فعلا عقدًا هنا مع شركة جلوبال وهم يدفعون ٢٠٠٠٠ دولار شهريًّا إضافة إلى المصاريف".

ومن المفارقات، أني رأيت في نفس كشك الحراسة في القاعدة الجوية نسخًا من مجلة الجيش وهي الصحيفة العسكرية الأمريكية الرسمية. وكان أحد موضوعاتها الرئيسية مقالة تكيل المديح للجيش الأمريكي لحسن تصرفه في العراق حيث استطاع أن يوظف عمالا محليين بأجر يبلغ في أقصاه ٢ دولار باليوم (٦٠ دولار شهريًّا) ويقول كاتب المقالة "إن هذا المبلغ يعتبر كبيرًا حسب المعايير المحلية". وهذا يبين مرة أخرى المعايير المزدوجة التي يطبقها المحتلون في العراق.

قصف بالروك أند رول!!

جيسون كيسير

أسوشيتد برس ٢٠٠٤/٤/١٧

الفلوجة - في شوارع الفلوجة المظلمة والفارغة فجرت القوات الأمريكية موسيقى (أجراس الجحيم Hell"s Bells) وموسيقى روك أخرى بصوت عال جدًا من مكبرات صوت عملاقة من أجل التأثير على أعصاب المقاومين المسلحين من ناحية ومن ناحية إراحة أعصاب المارينز وذلك بخلق أجواء مرح وضحك بينهم.

وبسبب عدم تمكنهم من التقدم إلى داخل المدينة فقد كان فريق الحرب النفسية يأمل أنه بالموسيقى الغربية العالية والشتائم والإهانات باللغة العربية التي كانوا يذيعونها بين الموسيقى من نوع (إنكم تطلقون النار مثل راعي معيز) سوف تساعد على أن يفقد رجال المقاومة أعصابهم فيخرجوا من مكامنهم ليكونوا صيدًا سهلا. ولكن لم يحدث أي من ذلك يوم الخميس ٢٠٠٤/٤/١٥.

وهذا الاستخدام العالي للموسيقى يذكر بنفس الأسلوب الذي استخدم لدفع رئيس بنما مانويل نورييجا من مخبئه في الغزو الأمريكي لبلاده في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٩، وكذلك استخدام مكتب التحقيقات الفيدرالي ألحانًا مزعجة بمكبرات صوت لإنهاء الأزمة مع أعضاء الطائفة الداوودية الدينية في واكو بولاية تكساس عام ١٩٩٣.

واستخدام أسلوب الحرب النفسية هذا قد جاء لدعم المفاوضين

الأمريكان مع ممثلي الفلوجة من أجل تطبيق وقف إطلاق النار.

وبعد ستة أيام من إيقاف المفاوضات للعدوان الأمريكي ضد الفلوجة استمر المارينز في استعداداتهم في مواقعهم حول المدينة في انتظار اللحظة التي يستأنفون هجماتهم.

ويعبر عن لسان حالهم كابتن شانون جونسون الذي يقول " هؤلاء الرجال ليس لديهم قيادة موحدة. إنهم هنا ليقاتلونا. لا أرى فائدة من المفاوضات" وهو قائد الكتيبة الثالثة من الفوج الرابع بحري، وقد اضطرت الهدنة للمفاوضات كتيبته من الدخول إلى الجزء الشمالي من المدينة بعد وصولها لدعم المارينز الآخرين.

وفي نفس الوقت فإن الجميع يتفقون على أن أشرس عدو هو الملل، وأسوأ منه الذباب الذي يملأ هذه المدينة الفراتية غرب بغداد. ويقوم المارينز بحرقهم باستخدام الكبريت لتحويل علب رش البعوض إلى قنابل صغيرة سريعة الالتهاب. كما يرشون وقود الديزل على مستعمرات الذباب. وتدور بينهم نكتة حول إمكانية استدعاء المقاتلات للقيام بضربات جوية على الذباب.

وتظل الخطوط الأمامية في الفلوجة في غاية الخطورة.

يوم الجمعة أطلق المقاومون عدة قذائف هاون على القوات الأمريكية. بعد قليل جاءت طائرة إف ١٦ وألقت قنبلة زنة ٢٠٠٠ باوند على المدينة مدمرة مبنى اشتبه المارينز بأنه يضم مقاتلين.

ويقول الكابتن مايلز هيل (٢١ سنة) من أوكلوهوما وهو يلعب الشطرنج مع زميله في منزل استولوا عليه: "كلما انتظرنا مدة أطول يصبح الوضع أكثر خطورة، فالمقاومون ينتهزون الفرصة لتعبئة أسلحتهم".

وفوق السطح كان جيمس كاتكارت (١٨ سنة) يراقب من خلف أكياس رمل، وقد نقل إليهم آمرهم أن القوات عثرت على ترسانة أسلحة بضمنها بندقية قناصة سوفيتية فيها ناظور ليلي.

فسأله: "ناظور ليلي يا سيدي؟" وقد أخذته الدهشة من امتلاك المقاومة لهذه التكنولوجيا المتطورة. فرد عليه آمره بأن يبقي رأسه منخفضًا. ويقول كاتشكارت" "كل واحد منا هدف سهل لهم".

وتطلع جندي المارينز الشاب إلى المباني الغارقة في الظلام حوله. وقال إنه خلال تواجده في مهمته الحالية طوال ساعات اليوم الطويلة كان كل ما يفكر فيه هو ماذا يفعل المقاومون، وكم عددهم وهل يراقبونه الآن؟

ويقول إن ما يضاعف الشعور بالرعب هو هذه الموسيقى الصاخبة إضافة إلى الخطب الطويلة باللغة العربية التي تنبعث من مكبرات الصوت في الجوامع.

ويقول إنه يجلس ساعات طويلة واضعًا إصبعه على الزناد وعينيه في المنظار الليلي. وفي الشارع أمامه سيارة اخترقها رصاص المارينز ومازال فيها جثث ثلاثة رجال قتلوا ولم يستطع أحد أن ينقلهم من السيارة.

في الليل، يبدأ رجال الحرب النفسية يذيعون رسائل إلى أهل المدينة بمكبر صوت موضوع على مركبة همفي مدرعة. وفي ليلة الخميس كان الفريق والمترجمون الناطقون بالعربية يستفزون المقاتلين بمثل هذه الأقوال: "املأوا خزانات سيارات الإسعاف بالبنزين حتى تستطيع أن تحمل جثث من سنقتلهم من المجاهدين". وكان هذا قبل هجمة على المدينة بمدافع ١٣٠ أي سي على أهداف في الفلوجة.

وبعد ذلك فجر الفريق أغاني جيمي هندريكس وموسيقى الروك. وبعدها مؤثرات صوتية مثل أصوات أطفال تبكي ورجال يصرخون وسيمفونية مواء قطط ونباح كلاب وأصوات معدنية ثاقبة. ولكن رغم كل ذلك لم يستطيعوا أن يدفعوا أني مقاوم للخروج من مكمنه حتى أصابهم اليأس.

اللغة سببًا للموت

آنيا تشيزادلو

المصدر: مراسلة كريستيان ساينس مونيتور

٢٠٠٥/٣/٧

خلال عملي كصحفية أمريكية في العراق مررت خلال العديد من نقاط التفتيش وقد أوشكت أن أقتل في العديد من المرات. شكلي يشبه الشرق أوسطيين مما يجعل من تجربتي في نقاط التفتيش تقترب من تجربة العراقي الاعتيادي. وهذه هي:

تقود سيارتك فترى بعض الجنود واقفين على جانب الطريق ولكن هذا منظر صار اعتياديًّا في بغداد ولهذا لا يجلب انتباهك. ولكن فجأة تجد أن الجنود يصرخون بك، وهم يوجهون أسلحتهم إليك ويحركون مدفع الدبابة باتجاهك وأنت لا تعرف أن هذه نقطة تفتيش.

إذا كان ذلك مريعًا لي وأنا أمريكية فكيف بالعراقيين الذين لا يتحدثون الإنجليزية؟

في مثل هذه الأحوال كان السائق العراقي الذي يقود السيارة يدوس على البنزين لزيادة السرعة. إنه رد فعل طبيعي: والجنود الغاضبون يصرخون بك بلغة لا تفهمها وعلى الأكثر تظن أنهم يقولون لك: "ابتعد بسرعة من هنا" وأنت مرعوب من أعلى رأسك إلى أخمص قدمك وعادة تسرع في طريقك.

" قف وإلا نقتلك".

مشكلة أخرى هي أن القوات الأمريكية تميل إلى أن تقيم

نقاط تفتيش بمرحلتين، أولا هناك مجموعة من قوات الأمن العراقية تقف ومعها لافتة تقول بالعربية والإنجليزية "قف وإلا نقتلك " ومعظم الشرطة العراقيين يؤشرون لك بالمرور.

سائقك الذي أبطأ عند نقطة التفتيش هذه سوف يضغط على دواسة البنزين من أجل استعادة سرعته الطبيعية. ولكن ما لا يتوقعه أنه هناك نقطة تفتيش أخرى أمريكية هذه المرة بعد عدة أمتار من النقطة العراقية والسائق يسرع نحوها. وأحيانًا يظن لأن الجنود العراقيين قد سمحوا له بالمرور فهذا يعني أنه مسموح له أيضًا بالثانية (خاصة أنه غير متآلف مع نظام نقاط التفتيش الأمريكية).

أتذكر في يوم مرعب قام سائقي بذلك تمامًا. وصلنا إلى نقطة تفتيش فيها جنود عراقيون وهم يثرثرون ويدخنون وقد لوحوا لنا بالمرور حتى بدون أن ينظروا إلينا.

ومع شعور سائقي بالارتياح زاد من سرعة السيارة حتى وصل إلى حوالي ٥٠ ميلا بالساعة قبل أن نرى نقطة التفتيش الثانية أمامنا. صرخت به أن يتوقف وكذلك صرخ المترجم واستعد الجنود الأمريكان لإطلاق النار.

بعد أن أبطأ السائق واجتزنا نقطة التفتيش الثانية، طلبت من السائق أن يوقف السيارة. كان صوتي يرتعش من الخوف وأوضحت له أنه حالما يرى نقطة تفتيش سواء خلفه أو أمامه يجب عليه أن يقود بسرعة بطيئة بقدر الإمكان لمدة خمس دقائق على الأقل.

استدار إليّ وكانت تعابير وجهه تريد مني أن أفهم ما يقوله: "ولكن مسز آنيا. إذا أبطأت سيلاحظونني".

في ظل حكم صدامٍ كان إبطاء السيارة عند المراكز الأمنية والمهمة خطرًا وسلوكًا مريبًا. ولهذا كان أصحاب السيارات يسرعون من أمام هذه الأماكن. بعد ٣٥ سنة من هذا التدريب مازال العراقيون يسرعون في سياراتهم عند مرورهم أمام مثل هذه

الأماكن التي صارت منذ استيلاء الأمريكان عليها.. نقاط تفتيش يجب الإبطاء عندها.

ثم إن الخوف من الخطف سبب آخر للقيادة السريعة فهو إنقاذ لحياتك وكثير من العراقيين يروون قصصًا عن أشخاص يعرفونهم قتلوا في الشوارع وكثير من الناس استطاعوا النجاة بالإسراع بالسيارة.

ثم إن هذا الخوف يزداد عند نقاط التفتيش بسبب وجود القوات العراقية إلى جانب الأمريكية، وحدث أن الكثير من حوادث الاختطاف أو التفجير كان يقوم بها أناس يرتدون أزياء الشرطة العراقية. وبما أن الشرطة العراقية هم أول ما يصادفه السائق في المرحلة الأولى من نقاط التفتيش. وإذا كان شكلهم غاضبًا وعابسًا وتسمع صوت إطلاق نار فمن السهل أن تسيء الفهم وتسرع بسيارتك.

وقد أخبرني بعض الجنود في نقاط التفتيش أنهم أطلقوا النار على ناس أبرياء وهم يعترفون بذلك مع أنه لا يفترض بهم أن يعلنوا هذا. ولكن الجنود الأمريكان يعانون معاناة شديدة من هذه التجربة ايضًا.

كيف يعاني الجندي الأمريكي؟

هذا ليس ما أرادوه، ومسألة نقاط التفتيش مربكة ومرعبة بالنسبة لهم أيضًا كما هي للعراقيين. الكثير منهم رأوا قتلى وجرحى ومنهم أصدقاؤهم. تستطيع أن تتخيل كيف هي الحال بالنسبة لهم وهم يتساءلون مع كل سيارة قادمة: هل داخلها عائلة عراقية عادية أم انتحاري؟

المشكلة الرئيسية في نقاط التفتيش أن الأمريكان لا يعرفون إذا كان العراقيون القادمون (أصدقاء) أم (أعداء). والعراقيون لا يعرفون ماذا يريد الأمريكان منهم.

إنها تعمق التناقض والبؤس وسوء الفهم لكل من يتعامل مع نقاط التفتيش.

الطيران في سماء معادية

المؤرخ العسكري دوج سمث

المصدر: newsday.com

٢٠٠٦/٢/١٥

من أجل الخلاص من أرض العراق المعادية لهم، حولوا ١٠٠ مروحية إلى تاكسي تنقل جنودهم وموظفيهم على مدار الساعة في سماء العراق. ولكن مع ذلك رحلة ٥ ساعات تستغرق ٤ أيام!!

جاء مؤرخ الجيش الأمريكي شرمان فليك إلى العراق ليكتب تقريرًا رسميًّا حول إعادة إعمار ما بعد الحرب. كانت مهمته عاجلة. من بغداد قرر أن يكون خط سيره الأول شمالا ليشاهد العمل في أكاديمية الضباط العراقيين في الموصل. وأعطى لنفسه يومين ليصل هناك ويقوم بالبحث ويعود. وقد اعتبر أن ذلك كاف لرحلة طولها ذهابًا وإيابًا ٤٥٠ ميلا في مروحية بلاك هوك بسرعة ١٤٥ ميلا في الساعة.

ولكن فليك وهو لفتنانت كولونيل متقاعد يدرّس التاريخ العسكري كان على وشك أن يتعرف على تعقيد كبير في نظام تحريك الجنود في ميدان حرب بحجم ولاية كاليفورنيا. ولأن الطرق خطرة جدًّا للسفر الروتيني فإن حوالي ١٠٠ مروحية تعمل مثل تاكسيات للجنود والمدنيين الأمريكان وهي تحملهم من وإلى القواعد الأمريكية التي تحمل أسماء مثل: الشجاعة والخطر والحرية وحصان الحرب.

وليس هناك جدول لرحلات الطيران، لأسباب أمنية لا يريد الجيش أن يفصح عن تفاصيل وعدد الرحلات أو طريقها. والمكتب الصحفي العسكري في بغداد يقول إن الاتجاهات تنظم على أساس يومي حسب الحاجة. وأي رحلة يمكن إلغاؤها في لحظتها بسبب المعارك.

ونظام النقل هو مزيج من الأنظمة العسكرية والمدنية مع مئات من المقاولين الذين يعملون مع الجنود في المكاتب سريعة الإنشاء والمؤقتة لعمليات الطيران.

وتكتب أسماء الركاب على الكومبيوتر أما الرحلات فإنها تعلق على لوحات بيضاء.

إذا كان اسمك على اللائحة فيمكنك الحصول على مقعد ولكن أغلب المسافرين مثل فليك يطيرون حسب توفر المقعد وهو التعبير العسكري للاحتياط.

ولأن الناقل هو الجيش الأمريكي وليس شركة طيران خاصة فإن الرحلة البسيطة من نقطة ألف إلى باء يمكن أن تتحول إلى إجراءات معقدة وإزعاجات غير معقولة وضياع وقت وانتظارات طويلة.

السبت الساعة ١٤،٣٠ - بغداد

تبدأ مهمة فليك في مهبط واشنطن وهي ميدان كونكريتي في المنطقة الخضراء حين تهبط مروحيات البلاك هوك كل اثنين على حدة طوال اليوم مثل ليموزين المطار.

هدير بعيد يعلن وصول رحلة فليك. يظهر شبحان أسودان في سماء الشتاء ويحومان ثم ينزلان إلى الأرض بهبة ريح قوية ترفع الملابس وتطمس الكلام.

ملاحو الرحلة وهم اثنان في كل مروحية يفتحان أبواب الركاب ويؤشران لفليك ومدني آخر وأكثر من دستة جنود.

كانت هناك مجموعة منهم في بغداد لحضور مؤتمر وآخرون يتوجهون إلى معسكراتهم بعد إجازة. يصعدون واحدًا بعد آخر. وهم يطوحون بنادقهم الآلية وحقائبهم وحقائب معلقة على ظهورهم وصناديق أخرى مليئة بالأسلحة والأغراض الشخصية.

يستغرق الأمر حوالي ٢٠ دقيقة. يجلس الركاب كل أربعة على مقاعد مغطاة بالسجاد وتكوم الحقائب في الفراغ بين مدافع المروحية على الأرض بين الركاب وعلى حجورهم. وبما أنهم يثقلون أجسامهم بدروع ثقيلة وخوذ فلا شيء يستطيعون فعله سوى تحريك أياديهم. وصوت المكائن وأصوات مراوح البلاك هوك يغطي على الكلام.

كل واحد من الركاب يحدق أمامه في لاشيء وبعضهم بلاشك يفكر الأخطار القادمة فأكثر من ٣٠ طائرة عسكرية قد اسقطت منذ ٢٠٠٣.

ترتفع المروحيتان في وقت واحد وبارتفاع ٢٠٠ قدم عن الأرض يمكن رؤية أسطح بغداد ثم الحقول ثم القرى المبنية بالطين والحجارة. وبعد ٢٠ دقيقة تهبط المروحيتان للتزود بالوقود.

وبإشارات باليد يوجه الملاحون الركاب جميعًا إلى منطقة انتظار خلف حائط كونكريتي لمدة ١٠ دقائق.

المحطة التالية هي مهبط في قاعدة بلد وهذا طريق ترانزيت إلى شمال بغداد وليس نهاية خط الرحلة.

(بقي على المغيب ساعتان يوم السبت - قاعدة بلد - المسافة المقطوعة: ٤٥ ميلا).

فليك وهو طيار هليكوبتر عسكري سابق زاد وزنه ولكن مايزال يحتفظ بخطوته العسكرية يتبع الآخرين على طريق ترابي إلى مكتب عمليات الطيران في تريلة مموهة. تفحص امراة شابة خلف مكتب الكومبيوتر وتنقل لفليك أخبارًا سيئة. الرحلة التالية

إلى الموصل لن تكون قبل الساعة ٨,٢٠ من صباح الغد.

لمثل هذه الحالات هناك حافلة من مركز عمليات الطيران لنقل المتأخرين إلى ثكنات بعيدة من أجل قضاء الليل. ولكن فليك يدبر لنفسه شيئًا أفضل. بعد ثرثرة قصيرة مع بعض ضباط العلاقات العامة التابعين لمكتب الطيران، يستضيفونه في سرير شبه خاص ويقضي معهم أمسية حافلة بالأحاديث ثم يعدونه أن يوقظوه في الوقت المطلوب.

أوقظوه في الساعة السادسة صباحًا. وبما أن دخول منطقة الطيران سيكون بعد ٥٠ دقيقة فما زال لديه وقت للذهاب إلى غرفة الطعام للإفطار. حين يصل فليك إلى مكتب الطيران في الساعة ٧ وعشرين دقيقة يجد كل المسافرين قد غادروا فقد نودي عليهم في الساعة السابعة وعشر دقائق وركبوا كلهم الحافلة إلى محطة الهبوط.

أمرته المرأة الشابة: "انتظر هنا".

بعد دقائق قصيرة تأتي حافلة وتقله إلى محطة الهبوط ولكن المروحية كانت مليئة بالركاب ومكنتها تدور. ينظر إليه الطيار الأول نظرة يمكن أن يفهم منها: "لقد تأخرت".

بعد ذلك لن يترك فليك الخط مرة أخرى.

تقلع المروحيتان في هواء الصباح. هناك محطة توقف في القاعدة بمدينة تكريت لإنزال بعض الجنود وأخذ آخرين. والتوقف الأخير فوق جبال منخفضة الارتفاع وحقول ممتدة مزروعة بالحنطة وتستمر الرحلة ساعتين ثم تنتهي بنمط مألوف: توقف للتزود بالوقود ثم الوصول إلى مركز عمليات الطيران في معسكر دياموندباك في الجهة الجنوبية للموصل.

الأحد - ست ساعات قبل المغيب - الموصل - المسافة

المقطوعة: ١٧٠ ميلا.

بعد ساعة من ضرب أرقام تليفونات على هاتف ميداني يستطيع فليك أن يوصل رسالة بالبريد الإلكتروني إلى فرقة المهندسين العسكرية في القاعدة الضخمة. في دقائق قليلة تصل السارجنت توانا أيرز التي انتظرت فليك طوال الليل تصل بمركبة ملطخة بالطين.

تقود أيرز فليك إلى تريلة ليستريح حتى يصل الرتل الذي سيأخذه إلى محطته وهي معسكر الشجاعة كوريج. في شمال المدينة. لقد فاته رتل الصباح. في الساعة ١٥,٠٠ يصل فليك إلى المعسكر في وقت كاف ليحصل على سرير ويتعشى. ولن تكون هناك رحلات أخرى هذا اليوم.

الساعة التاسعة من صباح الاثنين: الموصل.

مرت الرحلة إلى أكاديمية تدريب الضباط في شمال المدينة بسلام وبعد جولة قصيرة استعد فليك للرجوع. الوقت العصر وهناك وقت كاف لرحلة سريعة إلى بغداد.

ولكن بدلا من نقل فليك إلى المطار، يقف رتله في قاعدة أخرى. وعلى فليك أن يأخذ رتل العصر من هناك إلى معسكر دياموند باك مع رتل مركبات سترايكر الذي يغادر في الساعة ١٤,٣٠.

حاملة الجنود ستراكير عبارة عن صندوق فولاذي مدرع وثقيل يمشي على عجلات وليس فيه إلا فراغ قليل للجنود حيث يجلسون على مصطبتين. وهناك شاشة فيديو هي الصلة الوحيدة مع الخارج وتتشنج عضلات الركاب لتوقع الانعطافات الحادة للعربة حتى يتخدر الجسم قبل أن تنتهي الرحلة التي تستغرق ٢٠دقيقة.

الساعة الثالثة — الاثنين.

قاعدة دياموند باك - المسافة المقطوعة: ١٥ ميلا.

حين تتوقف العربة فليك يجد أيرز تنتظر مرة أخرى وتبلغ فليك

أنه ليس هناك رحلات أخرى إلى بغداد ذلك اليوم. ولكن في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة في اليوم التالي الثلاثاء، يمكنه أن يأخذ رحلة تستغرق ساعة واحدة في طائرة النقل ١٣٠ سي.

يقول فليك بدون تردد: سوف آخذها.

في الساعة السابعة صباحًا الثلاثاء – الموصل.

يصحو فليك بمزاج رائق ولكنه يجد نفسه وجهًا لوجه مع الشخص الوحيد الذي يمكن أن يجعل الصعب مستحيلا: مقاول أهلي.

قال الموظف: "أريد جواز سفرك وتصاريحك".

ولأول مرة يشعر فليك بالغليان. ويقول بغضب إنه طار حول نصف العراق دون أن يسأله أحد عن ذلك. ولكن الموظف يصر.

وبعد قليل من النداءات الهاتفية تقول أيرز أن التصاريح يمكن الحصول عليها، ولكن الموظف لا يتزحزح فيما يخص الجواز. فهو يقول إنه أحيانًا تغير الطيارة وجهة سيرها وبدلا من بغداد تذهب إلى الكويت وقد كان موضع مساءلة لحادثة سابقة من هذا النوع ولن يتعرض لنفس الإحراج مرة أخرى.

هذا يترك لفليك خيارين: إما أن يأخذ هليكوبتر في المساء عائدًا إلى معسكر سبايخر خارج تكريت ومن هناك ينتظر لعله يجد توصيلة ليلية إلى بغداد أو ينتظر يومًا حتى تصل مروحية بغداد ولكن يمكن أن تكون مليئة.

يقرر فليك أن يعود إلى القاعدة في تكريت. ضوء النهار يتلاشى فوق تكريت حين تهبط البلاك هوك في القاعدة.

الساعة الخامسة - الثلاثاء - قاعدة سبايخر - المسافة المقطوعة: ١٢٠ ميلا.

يدخل فليك إلى خيمة أسطوانية تضم مكتب عمليات الطيران ويستلم الأخبار الجيدة السيئة: هناك طائرة الساعة السابعة إلى بلد

ولكن قائمة الانتظار مليئة بأسماء الجنود المتأخرين من ليلة أمس.

يتناول فليك هامبورجر في أحد مطاعم الوجبات السريعة في القاعدة ويعود إلى مكتب الطيران.

في الظلام يأخذ مكانه قرب نهاية طابور من ٢٧ شخصًا. هناك زيادة ٣ أشخاص عن قدرة المروحيتين البلاك هوك حتى لو جاءتا فارغتين.

في الساعة السابعة ترتفع معنوياته حين يهبط جسم عملاق من السماء.

يقول فليك بفرح: "إنها شينوك. وتتسع لـ ٤٠ راكبًا".

تختفي الفرحة حين يظهر قائد الطائرة ليقول للملاحين الأرضيين إن معظم الفراغ في الطائرة مزدحم بالبضائع وليس هناك مكان سوى لحوالي ١٢ راكبًا.

يتبقى ١٥ راكبًا وبينهم فليك. يعودون مع معداتهم إلى الخيمة ليعرفوا متى موعد الرحلة القادمة. يقال لهم إنها ستكون الساعة التاسعة مساء الغد بعد أكثر من ٢٤ ساعة. ينصرف الجنود إلى الثكنات.

يقول ضابط العمليات الشاب لفليك إن عليه أن يعود في منتصف الليل حتى يضعوا اسمه على أول القائمة. ولكن حظه يتغير فجأة. يظهر قائد الشينوك على الباب ويقول. "أحتاج إلى ثلاثة إلى بلد الآن". وبمعجزة كان فليك أول الصاعدين.

بعد دقائق يشحن في القاعة المظلمة الباردة في المروحية الضخمة لا يستطيع الحركة مع الجنود على الصفين وحقائبهم تشكل جدارًا عند أحذيتهم. وهناك صناديق هائلة في المؤخرة.

ترتفع المروحية ثم تطير بسرعة أبطأ من البلاك هوك. ثم تهبط الطائرة.

يصرخ قائد الرحلة: كركوك.

الساعة السادسة والنصف - الثلاثاء - كركوك - المسافة المقطوعة: ٧٠ ميلا - في الاتجاه الخطأ.

هذه محطة بضائع. يفتح الباب الخلفي ويتعاون حوالي دستة رجال على تفريغ الصناديق في تراكتورات ووضع بضائع بدلها. يستمر العمل لمدة ٢٠ دقيقة ثم مرة أخرى تقلع الشنوك.

تتوقف بعدها مرة أخرى للتزود بالوقود حيث ينتظر الركاب مرة أخرى بدون حركة لمدة ٢٠ دقيقة. ثم تتوقف مرة أخرى في جزء آخر من القاعدة لإنزال جندي. ثم ساعة طيران أخرى ويهبط فليك في بلد.

الساعة العاشرة مساء الثلاثاء - قاعدة بلد - المسافة المفطوعة: ١٠٥ أميال.

أولا تأتي محطة البضائع ثم إنزال صناديق مرة أخرى ثم يصل فليك أخيرًا إلى مكتب عمليات الطيران الذي كان عنده قبل ثلاثة أيام. يقال له أن الرحلة التالية لبغداد سوف تغادر في الساعة السابعة وعشر دقائق صباحًا. لقد فاته العشاء وسيكون لديه وقت للنوم خمس ساعات ولكن لن يجد وقتًا للإفطار. وافق فليك على تسجيل اسمه.

يوقظونه في الساعة الخامسة صباحًا وفي الساعة السادسة يقف فليك في الظلام بجانب جدار واق من القنابل. ينتظر لمدة ساعة حتى يهيئ الملاحون الطائرة ويبزغ الفجر على بلد.

كانت الرحلة باردة ولكن قصيرة.

الساعة ٨ وعشر دقائق – الأربعاء.

يهبط فليك في مهبط واشنطن في المنطقة الخضراء. رحلة الخمس ساعات استغرقت أربعة أيام.

قتلة بالفطرة!

تشارلز كلوفر

فاينانشال تايمز نيوزNews.ft.com

يونيو ٢٠٠٤

إحدى ذكرياتي المريرة عن تجربتي في تغطية الحرب على العراق كصحفي مرافق للقوات الأمريكية كان لجندي أمريكي صغير السن بعد معركة في شوارع النجف. خلال تبادل إطلاق الرصاص مع قناص أسرعت سيارة فيات زرقاء في الشارع محاولة الهرب، أطلق الجندي ١٥ صلية من سلاحه الآلي وقتل السائق الذي تبين أنه أستاذ جامعة غير مسلح. بعد ساعة سمعت الجندي يشكو من أن سلاحه محشور مما يمنعه من إطلاق المزيد من الصليات. وفي هذه الأثناء تجمع زملاؤه الجنود حوله يهنئونه على أول عملية قتل يقوم بها. ولم يكن من الواضح حينئذ إذا كان يعرف من قتل أو إذا كان لذلك أية أهمية.

وقد كنت أجد صعوبة دائمًا في فهم كيف يمكن لواحد مثل هذا: مراهق أمريكي قد يكون نشأ في الضواحي مثلي، يمكن أن يكون له هذه النظرة إلى القتل. لقد رأيت الكثير مثله.

إن هذه المجموعة من الأمريكان الشباب العنيفين هم موضوع أحد أفضل الكتب عن حرب العراق وهو كتاب (قتل الجيل) لمؤلفه إيفان رايت الذي غطى الحرب لمجلة رولنج ستون بصفته مراسلا مرافقًا للمارينز. ولا يعرف المرء كيف يصنف كتاب (قتل

الجيل). انه ليس مناهضًا للحرب في تناوله ولكن مجمل الملاحظات التي قدمها رايت تقود إلى تجريم السلوك الأمريكي في العراق. ومثل الجيل الذي يراقبه فإن الكتاب لا يمتلك بوصلة أخلاقية، إنه ببساطة تسجيل للأحاديث والأفعال والأخطاء -- وكل ذلك مدون بأسلوب بديع يرفع من نسبة الأدرنالين لدى قارئه.

والعنوان يقول كل شيء: هذا هو كتاب حول معاصري مذبحة مدرسة كولومباين الثانوية في كولورادو الذين يشقون طريقهم كرأس حربة في العراق. "إنهم يمثلون تقريبًا الجيل الأمريكي الأول المكون من الأطفال الذين يسهل التخلص منهم بعد الاستعمال". يقول رايت الذي يقدر أن نصف الفرقة التي كان يرافقها جاءوا من منازل تفتقد أحد الأبوين. "الكثير منهم نشأوا على قضاء وقت مع ثقافة ألعاب الفيديو وبرامج الواقع في التلفزيون وفي الإنترنت أكثر مما يقضونه مع عائلاتهم".

إن جوهر الكتاب يناقش التقاطع المظلم للحرب واستحواذ العنف على نفوس هذا الجيل.

وقد نقل رايت عن أحد الجنود قوله: "كنت أفكر في شيء واحد ونحن ندخل في ذلك الفخ.. لعبة السرقة الكبيرة: مدينة الخطيئة (يشير إلى لعبة كومبيوتر معروفة) لقد شعرت أني أعيش تلك اللعبة عندما رأيت اللهب يخرج من النوافذ والسيارة المتفجرة في الشارع والرجال الذين يزحفون حولنا وهم يطلقون علينا النار. كان شيئًا رائعًا".

إن هذا الجيل سوف يلعب دورًا حاسمًا في حرب أمريكا اللانهائية على الإرهاب - دورًا جيدًا أو سيئًا - فكما يلاحظ رايت كان الجنود من العنف بحيث إنهم لا يحتاجون إلى سبب للقيام بمهامهم الشنيعة.

وعلى عكس جيل فيتنام الذين كانت تمثل لهم الحرب فقدان

البراءة، لم يكن لدى جيل جنود العراق (الأمريكان) براءة يفقدونها. إنهم جيل (الحكومة الكاذبة كذبًا ضروريًا مثل الضرائب) كما يقول رايت وهم سعداء تمامًا بمعرفتهم أن الحرب هي من أجل الحصول على النفط.

ومن خلال تغطيتي للحربين في أفغانستان والعراق في السنتين الماضيتين رأيت هذه المجموعة من الشباب المنحرف اجتماعيًا والمسلح تسليحًا ثقيلا وهم يصبحون مسئولية أمريكا الدولية. إن الثقافة الشبابية العنيفة في أمريكا كانت منذ زمن مثار فضول العالم ولكنها أصبحت الآن في تماس مباشر وغير مسبوق مع حضارات قديمة لا شبابنا يفهمها ولا هي تفهمهم.

والنتيجة فظيعة ومأساوية وبالنهاية هازمة للولايات المتحدة وحلفائها. فقبل كل شيء كان التغير الحاسم في الرأي العام العراقي ضد الاحتلال في الأشهر الأخيرة بسبب التماس بين العراقيين وهؤلاء الشباب والشابات.

فبدلا من كسب القلوب والعقول خارج أمريكا أصبح الجنود المصدر الرئيسي للغضب العالمي ضد الولايات المتحدة. وهي حقيقة تمثل بوضوح أولوية الولايات المتحدة القومية في إنتاج الصواريخ وحاملات الطائرات على حساب التعليم والتثقيف وتلقي الضوء على اللاعدالة في توزيع الدخول التي صنعت من الفقراء مرتزقة.

وقد شرح أحد جنود المارينز في الفرقة التي رافقها رايت والبالغ عددهم ٣٧٤ بحريًا ثقافتهم العنيفة بقولهم:" لقد تم غسيل أدمغتنا وتدريبنا على القتل. أثناء التدريب علينا أن نصرخ (اقتل) ٣٠٠٠ مرة في اليوم. ولهذا فإن القتل سهل بالنسبة لنا".

كما يوضح ناثانيل فيك اللفتنانت البالغ من العمر ٢٥ سنة هذه النقطة قائلا:" من الغريب أن نسبة عالية من المارينز الذين نزلوا على السواحل في الحرب العالمية الثانية، لم تطلق النار. ولكن

ليس هؤلاء الشباب الذين لايهمهم القتل".

وبين مهرجانات العنف هذه كانت هناك لحظات من الندم. سارجنت أمر بطريق الخطأ أحد الجنود أن يقصف منزلا مدنيًّا، كان عليه أن يواجه نتائج عمله: طفل عمره ١٢ سنة مصاب إصابة بليغة وأمه الباكية. ويعلق على ذلك بقوله: "إن الطيار لا يرى نتائج فعلته ولكن رجال المدفعية على الأرض يفعلون ذلك. إن التفكير في هذا يقتلني".

شيء ما مريب وخاطئ!

توماس ي. ريكس[*]

كاتب صحفي في واشنطن بوست

الاثنين ٢٤ يوليو ٢٠٠٦/٨/١٣

منذ أول أيامها في العراق في أبريل ٢٠٠٣، خلقت فرقة المشاة الرابعة انطباعًا سيئًا لدى الجنود من الوحدات الأخرى.

يتذكر السارجنت كايلا ولياّمز وكان عندئذ ضابط استخبارات عسكرية في الفرقة ١٠١ المحمولة جوًا "مرت مركبتنا بطيئة برجال فرقة المشاة الرابعة وكان يبدو عليهم الشر والشراسة. كانوا يقفون في أعلى شاحناتهم وأسلحتهم مصوبة مباشرة إلى المدنيين.. ماذا يمكن أن يكون هؤلاء المحليون قد ارتكبوا؟ هل كان هذا الترهيب ضروريًا؟ لم يشرح لنا أحد. ولكن الأمر كان يبدو مريبًا وخاطئًا".

اليوم يتذكر الجميع فرقة المشاة الرابعة وقائدها الميجور جنرال ريموند ت. أوديرنو لأسرهم الرئيس العراقي السابق صدام حسين وهي نقطة مهمة من نقاط الاحتلال الأمريكي. ولكن في أواخر صيف ٢٠٠٣، حين كان القادة الأمريكيون الكبار يحاولون مكافحة التمرد الصاعد بعمليات تطويق وتفتيش، كانت فرقة المشاة الرابعة معروفة لأساليبها العدوانية التي كانت تبدو ظاهريًا وكأنها تهدئ

(*) فصل من كتاب توماس ركس (فشل المغامرة العسكرية الأمريكية في العراق) الذي صدر في العام الماضي. سبق نشر الموضوع في مجلة "وجهات نظر" المصرية.

المثلث السني الشمالي على المدى القصير ولكنها، وطبقًا للعديد من تقارير الجيش الداخلية والحوارات مع القادة العسكريين، كانت تساهم في استعداء أجزاء كبيرة من السكان.

والوحدة وهي فرقة مسلحة تسليحًا ثقيلا رغم اسمها، كانت مشهورة "باعتقال سكان قرى كاملة لأن الجنود المقاتلين كانوا غير قادرين على التمييز بين من له قيمة "استخباراتية" ومن ليس كذلك". كما جاء في تحقيق تال لعمليات الاعتقال التي قامت بها فرقة المشاة الرابعة من قبل مكتب المفتش العام للجيش. وقد ملأت اعتقالاتها العشوائية سجن أبي غريب بالعراقيين بما هو فوق قدرة وطاقة نظام الاستجواب الأمريكي وحراس السجن.

يقول اللفتنانت كولونيل ديفد بوارير الذي كان يقود كتيبة شرطة عسكرية ملحقة بفرقة المشاة الرابعة وكان مقر عمله في تكريت من يونيو ٢٠٠٣ إلى مارس ٢٠٠٤، إن مقاربة الفرقة كانت بدون تمييز " لقد أصبح الأمر فلسفة لقادة اللواء والكتيبة: " اعتقلوا كل الذكور في سن التجنيد لأننا لا نعرف من الصالح ومن الطالح" ولدى الكولونيل ألان كنج وهو ضابط شؤون مدنية يعمل في سلطة التحالف المؤقتة نفس الانطباع عن سلوك الفرقة الرابعة مشاة " كل ذكر من سن ١٦ إلى ٦٠" استطاعت الفرقة الرابعة مشاة إمساكه كان يعتقل وحين كانوا يخرجون يتحولون إلى أنصار للمقاومة".

لم تكن تكتيكات الوحدة صدفة فقائدها كما يقول نقاده "يدق بالمطرقة على أي شخص" كما يقول جوزيف ك. كيلوج جونيور وهو جنرال متقاعد كان يعمل مع سلطة التحالف المؤقتة وهي هيئة الاحتلال الذي تقودها الولايات المتحدة.

ولكن هذا الانتقاد لم يضر بوظيفة أوديرنو التالية. فحين عاد إلى الولايات المتحدة في منتصف ٢٠٠٤ رقي أوديرنو إلى مساعد

عسكري لرئيس أركان الجيش. وهو يتولى حاليًا منصبًا قياديًا في فورت هود بتكساس، ومهيأ له أن يعود في نهاية هذا العام إلى العراق ليصبح القائد الأمريكي الثاني الذي يشرف على العمليات اليومية للقوات الأمريكية هناك.

في حوار معه، دافع أوديرنو دفاعًا مستميتًا عن أداء فرقته وقال إن أي إيحاء بأن "كل ما فعلناه هو قتل الناس عشوائيًا وانتهاك الأسرى.. هو شيء كاذب تمامًا في رأيي".

وقال أوديرنو إنه جعل من عمليات الاعتقال بؤرة اهتمام قيادته بعد أن اصبح واضحًا في صيف ٢٠٠٣ أن على الفرقة أن تحتفظ بالأسرى "ذلك ما يزعجني" في انتقاد سلوك الفرقة الرابعة مشاة "لأني قضيت وقتًا طويلا في هذا الأمر. وكان من المهم لي أن أفعل الصواب".

قبل سنتين وفي اجتماع رابطة الجيش الأمريكي أوضح أوديرنو أن أساليبه العدوانية كانت وليدة التجربة "كنا نذهب ونداهم بيتًا دون أن نفتش أي من النساء وحين كنا ندير ظهورنا للمغادرة، كنّ يسلمن رجالهن أسلحة مخبأة تحت ملابسهن لإطلاق النار علينا".

ولذلك يقول: "نعم، مبدئيًا، ربما ارتكبنا بعض الأخطاء ولكن تعلمنا منها بسرعة".

المعركة الأولى منذ عقود

على عكس فرق الجيش الأخرى لم تكن الفرقة الرابعة مشاة قد حاربت منذ عقود، فهي لم تشترك في حرب بنما ولا حرب الخليج ١٩٩١ ولا الصومال أو البوسنة أو كوسوفو أو أفغانستان. وفي مقر الفرقة في فورت هود بتكساس كانت الفرقة أحيانًا موضع سخرية وقد أطلق عليها اسم "الفريق الاحتياط" الذي يجلس في المقاعد الخلفية لجاره فرقة الفرسان الأولى.

كانت مهمة الفرقة الأولى هي غزو العراق من الشمال في ربيع

٢٠٠٣، ولكن المهمة تغيرت بعد أن رفضت الحكومة التركية السماح لتحرك القوات الأمريكية من خلال أراضيها. وحينها، شحنت معدات الفرقة الرابعة إلى الكويت ودخلت العراق من هناك بعد أن انتهى الغزو.

في منتصف أبريل، كلفت الفرقة بالحلول محل المارينز الذين كانوا يحتلون تكريت مسقط رأس صدام حسين.

وبلغة غير معتادة في الوثائق الرسمية فإن سرد العملية الذي كتبته فرقة المارينز الأولى كان ينضح بالانتقاد وحتى الاحتقار لما وصفته بأنه سلوك "عدواني جداً" للفرقة الرابعة مشاة منذ دخولها العراق.

ويذكر التقرير بتجهم أن المارينز "رغم بعض التخوف" سلموا المنطقة إلى الفرقة الرابعة مشاة وغادروا في ٢١ أبريل. ويمضي التقرير "المحلات التي أعيد فتحها سرعان ما أغلقت مرة أخرى وأخلى الناس الشوارع ثانية وهم يتكيفون مع الأساليب الامنية الجديدة وقد ذبلت بسرعة براعم التعاون بين المواطنين والقوات الأمريكية. إن العلاقة العدائية الجديدة سوف تكون مصدر متاعب رئيسي في الشهور القادمة".

في يوليو، كتب أحد أفراد فريق العمليات النفسية الملحقة بالفرقة الرابعة مشاة والمسماة "قوة مهام المدفعي الحديدي" شكوى رسمية حول معاملة الجنود للعراقيين. كتب الجندي الذي حجب اسمه من الوثائق التي سمح الجيش بنشرها "بعض المداهمات والاعتقالات التي نفذتها قوة مهام المدفعي الحديدي نتجت عن اعتقال أي شخص مناهض للتحالف أو مصادرة أي أسلحة غير قانونية".

وقد وضع اللوم على قائد وحدة المدفعية الكولونيل كيفن سترامارا "لقد شهد هذا الفريق، الكولونيل وهو يبادر بهذه الأحداث" وقال إن ممارسات الاعتقال كانت حسب نزوات القائد أو لمجرد وجود دنانير تعادل أكثر من ١٠٠ دولار مع أي عراقي.

ويروي الجندي أنه في أحد أيام يونيو فتحت مركبة باردلي مقاتلة النار على أحد البيوت مما تسبب في اشتعاله بالنار وفي حادثة منفصلة، أجبروا والد طفل في الثانية عشرة من عمره كان قد قتل بالخطأ من قبل القوات الأمريكية ودفن أن يحفر القبر ويستخرج الجثة بنفسه.

وفي تقرير آخر أقرّ الجندي تحت القسم أن بعض اتهاماته كانت تستند على ما يسمعه من أقوال ولكنه أصر على موقفه: "كان شعوري العام أن معاملتنا للسكان المدنيين كانت سلبية. إني أخرج إلى المجتمع حوالي ثلاث مرات في الأسبوع من أجل محاولة التواصل مع العراقيين للحصول على تقييم عام حول نظرتهم إلينا. ومن خلال الترجمة يسألنا العراقيون: لماذا تعاملونا بكل هذا الظلم؟".

وقد وجد التحقيق العسكري أن معظم الاتهامات التي أدلى بها الجندي كانت صحيحة. ولكن التقرير أعطى بعض التفسيرات: أشعلت النار في المنزل لأنه كان هناك مخبأ فوق السطح وجدت فيه بعض الهاونات وطلقات المدفعية. وان الصبي المقتول دفن لعدم وجود مكان للاحتفاظ بجثته وان قبره حفر بدون مساعدة امريكية لأن العائلة طلبت ذلك.

ولكن التحقيق لم يتناول المسألة الأساسية وهي ما إذا كانت أساليب الفرقة خاطئة.

ومثال آخر واضح لا لبس فيه على انتهاكات الفرقة الرابعة مشاة:

في ١١ سبتمبر ٢٠٠٣، أطلق جندي النار على معتقل عراقي مقيد اليدين اسمه عبيد رداد في زنزانة انفرادية في مركز الاعتقال في معسكر باكهورس بمدينة تكريت، بدعوى أن العراقي كان يحاول عبور سياج شائك. وكان رداد قد سلم نفسه قبل تسعة أيام بعد أن سمع أن القوات الأمريكية تبحث عنه. وقد

اخترقت الرصاصة ذراعه واستقرت في معدته.

بعد ثماني عشرة ساعة، بدأ محقق عسكري في النظر بالحادثة، وطبقًا لتقرير عسكري داخلي، كلف الميجور فرانك رانجيل جونيور الضابط التنفيذي لكتيبة شرطة عسكرية تابعة لفرقة المشاة الرابعة، بمهمة التحقيق. ولم يصدق قصة الجندي بأن رداد حاول الهروب. وقال لاحقًا: "اعتقدت أن المشتبه به قد ارتكب جريمة قتل بالإهمال" وجنح أخرى أقل. ولكن اللفتنانت كولونيل بوارير وهو قائد رانجيل قال إنه يجب محاكمة القاتل عسكريًا لأن الجندي "قد ارتكب جريمة قتل".

ولكن أوديرنو رفض النصيحة وفي النهاية سرح الجندي من الجيش تسريحًا غير مشرف وقال في إحدى المقابلات "لقد اتخذت القرار بهذا التسريح بسبب ظروف الجندي. لقد كان طباخًا ولم يكن قد حصل على تدريب صحيح وكان هذا المعتقل عدواني جدًا. كان شخصًا شريرًا".

في ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣ أصدر أوديرنو مذكرة حول معاملة المعتقلين لكل من في فرقته: "على الجنود معاملة كل المعتقلين بالاحترام أو على الأقل بما يتماشى مع معايير المعاملة الإنسانية كما ينص عليها القانون الدولي. في حين انه يمكن استجواب المعتقلين لدى القوات الأمريكية لأغراض أستخباراتية فإن استخدام التعذيب الجسدي أو النفسي أو الترهيب لإجبار الأفراد على تقديم المعلومات ممنوع منعًا باتًا.. ولن تبرر ضغوط القتال ولا الاستفزازات الشديدة، المعاملة اللاإنسانية ".

بعض الإنذارات المبكرة

ومع ذلك استمرت الانتهاكات. فبعد عدة أشهر تم توبيخ جندي آخر من الفرقة الرابعة مشاة وهو السارجنت المشرف على قسم الاستجواب في المعتقل الرئيسي للفرقة في تكريت لضربه عراقيًا

بالعصا أثناء استجوابه.

وجاء في خطاب التوبيخ الذي وجهه في ٦ نوفبمر اللفتنانت كولونيل كونراد كريستمان قائد الكتيبة الاستخباراتية العسكرية ال١٠٤ محذرًا إياه من "أن هذه الأفعال تشوه الجيش الأمريكي تشويهًا كبيرًا وتبين افتقارك لحكمة الإشراف".

وقد دافع السارجنت الذي حذف اسمه من الوثائق الرسمية قبل الإفراج عنها، عن نفسه بإلقاء اللوم على سلسلة القيادة.

كتب يقول: "باستثناء نفسي، فإن كل المحققين في (مقر سيطرة الاستجواب التابع لقوة مهام الحصان الحديدي) كانوا ويبقون على الأكثر، عديمي الخبرة في الاستجواب). وإن جهود الاستخبارات التابعة للفرقة كانت "مرتجلة" بسبب "عدم كفاية الأفراد والوقت والموارد".

كما أن الجيش لم يعد السارجنت وجنوده للمهمة التي كلفوا بها "لم تتدرب وحدتنا مطلقًا على عمليات السجون لأن وحدتنا لم تكن مصممة أو مهيئة لهذه المهمة... (جنودي) كلفوا بمهمة لم يدربوا عليها وهناك نقص في الأفراد والمعدات والتجهيزات بحيث لا يمكنهم القيام بها بشكل فعال".

وأكثر من ذلك، كما يقول السارجنت أن مؤسسة الجيش لم تكن قد اتخذت خطوات مناسبة للاستعداد لمثل هذا النوع من الحروب. "حسب معلوماتي لا يوجد دليل ميداني يغطي عمليات استجواب مكافحة التمرد".

ولكن أكثر ما يثير الانتباه في هذا الرد كان تنديدًا مفصلا بالارتباك الاستراتيجي لقادة الجيش في العراق "أعتقد جازمًا أن (اسم جندي مسح من الوثيقة) فعل ما فعله بسبب إدراكه للمناخ العام في قيادة الفرقة " فقد أدلى القادة بتعليقات مثل "إنهم

إرهابيون وسوف نعاملهم على هذا الأساس".

وكما كان يحدث في أنحاء العراق، ذكر السارجنت إشارات على استخدام القوات الأمريكية شكلا من خطف الرهائن باعتقال أعضاء من عائلات المشتبه بهم من أجل إجبار المطلوبين على تسليم أنفسهم.

"كان العاملون في مركز الاستجواب يرون المعتقلين أساسًا كرهائن. وهم قد اعتقلوا من قبل قوات التحالف لأنهم عائلة أفراد مطلوبين من جهة ما بناء على اتهامات قد تكون صحيحة أو غير ذلك، ولا يتم الإفراج عنهم إلا بعد أن يسلم المطلوبون أنفسهم لقوات التحالف".

في الواقع، يقول السارجنت إن الجيش الأمريكي لم يكن يفي بتعهده في الصفقة بسبب عدم كفاءة نظام الاعتقال "في واقع الأمر إن هؤلاء المحتجزين الرهائن كانوا ينقلون إلى سجن أبي غريب ويضيعون هناك في شبكة الاعتقالات بغض النظر عما إذا كان المطلوبون من ذويهم قد سلموا أنفسهم أم لا".

وقد أعجب قائد الاستخبارات العسكرية كريستمان بحجج السارجنت بحيث قرر في النهاية أنه من الخطأ أن يضع اللوم عليه في ظروف انعدام الإشراف ولهذا أمر أن يحذف التوبيخ المكتوب من سجل السارجنت الدائم.

وفي مراجعة لاحقة قام بها مكتب المفتش العام للجيش الأمريكي جاء أن المحققين ذكروا أن "المعتقلين كانوا يصلون إلى القفص وهم في حالة سيئة بعد ضربهم. وكان يجري الضرب بعد تقييد المعتقلين من قبل بعض وحدات الفرقة الرابعة مشاة".

وحين سئل أوديرنو عن هذا التقرير قال إنه لم يقرأه ولم يبلغ بالتهمة.

انتقام نهر دجلة

أبرز مثال على انتهاكات الفرقة الرابعة مشاة حدث بعد ٢ يناير

٢٠٠٤ بوقت قصير حين قتل الكابتن إريك باليوودا وهو قائد فريق الهندسة في اللواء الثالث بهجوم هاون أثناء تواجده في مقر قيادته.

وفي شهادته تحت القسم، قال اللفتنانت كولونيل ناثان ساسامان قائد الكتيبة التي كان فريق باليوودا جزءًا منها، والذي احتضن الضابط المصاب إصابة قاتلة قبل نقله إلى مروحية الإخلاء الطبي "موت الكابتن باليوودا، غير نظرتي للحرب".

لقد أثار موت باليوودا مزاج انتقام لدى أفراد الوحدة التي عرفت كيف تنفذ انتقامها. في تلك الليلة الباردة من ليالي يناير، انطلق جنود الوحدة لقتل بعض العراقيين. في حوالي الساعة التاسعة والنصف كانت هناك دورية من فريق ألفا يوقف السائقين المخالفين لحظر التجول خارج سامراء. وكان يقود الدورية اللفتنانت جاك سافيل.

كانت أول سيارة يوقفها رجال سافيل لعائلة عائدة من المستشفى حيث كانت الأم قد ولدت لتوها. وقد أمرهم الجنود بالذهاب إلى البيت.، والسيارة التالية كانت لعضو من أعضاء مجلس المدينة. أما الثالثة فقد كانت سيارة نقل صغيرة بيضاء. قيد الجنود الراكبين وسيقا إلى نهر دجلة وأجبرا على القفز إلى النهر من ارتفاع ستة أقدام. وقد غرق أحد الرجلين وهو زيدون فاضل حسون ويبلغ من العمر ١٩ سنة طبقًا لما قاله الآخر وهو ابن عمه مروان فاضل حسون وعمره ٢٣ سنة.

في أول الأمر، أصر الجنود أمام المحققين العسكريين أنهم أطلقوا سراح الرجلين بدون ذكر أنهم "أطلقوا سراحهم في النهر" وحين ضغط عليهم قالوا إنهم رأوا الرجلين يسبحان إلى الشاطئ ويخرجان من النهر.

وكان هذا كذبًا كما شهد سافيل فيما بعد. في واقع الأمر إنه انطلق في تلك الليلة بأمر من قائد وحدته الكابتن ماثيو

كننجهام "لقد فهمت بأنه يوجهني وجنودي لقتل بعض العراقيين تلك الليلة ممن نشك أنهم ساهموا بقتل قائد الفريق في وحدتنا".

وكان التوجيه ألا يأخذ أسرى.

بعد عدة ساعات وفي نهاية سلسلة من المداهمات للبحث عن متمردين مطلوبين في مدينة بلد، قام جندي آخر من نفس الفريق وهو السارجنت شين ويرست بسحب عراقي إلى داخل منزله وضربه عشر مرات ثم إطلاق الرصاص عليه ست مرات من سلاحه الآلي.

وشهد فيما بعد الجندي ناثان ستيوارت الذي كان مرافقًا لشين ويرست تلك الليلة بقوله" لقد شعرت بأني كنت جزءًا من عملية إعدام" وحقائق الجريمة ليست موضع خلاف. فبعد إتمامها سحب ويرست مسدسًا وأطلق منه عيارات في الحائط ثم أمر ستيوارت أن يلوثه بطبعات أصابع القتيل.

وحين اتهم بعد شهور بالجريمة، شهد ويرست بأنه كان في حالة دفاع عن النفس. وقال إنه زرع المسدس في يد الرجل القتيل "بعد إعادة التفكير". وقد حكم عليه بالبراءة من قبل محلفين عسكريين.

وقد نصح محام عسكري بتوجيه تهمة التشجيع على الجريمة والقتل غير العمد واتهامات أخرى إلى كننجهام. ولكن بعد تبرئة ويرست قرر الجيش إيقاف ملاحقته وترك كننجهام الجيش في يونيو ٢٠٠٥.

وقال سافيل إنه تناقش مع ساسامان حول كيفية تضليل المحققين العسكريين. ولكن لم يلحق ساسامان شيء سوى أنه تسلم لومًا مكتوبًا من أوديرنو. وبقي ساسامان في القيادة لعدة أشهر وهو ما أصاب بوارير زميله في قيادة الكتيبة بالصدمة ويقول عن ذلك في أبريل ٢٠٠٥ " حين يكون لديك قائد كتيبة يعلم جنوده كيفية تلفيق قصة حول جريمة.. ويظل في القيادة؟ هذا شيء غير

صائب" وقد تقاعد بوارير من الجيش بعد وقت قصير من ذلك.

وترك ساسامان الجيش في نفس الوقت تقريبًا ولكنه خرج بعاصفة حيث انتقد أوديرنو الذي كان قد جعل قصر صدام حسين في تكريت مقرًا له.

قال ساسامان في شهادته: " لو عاد الزمن كنت سأفعل نفس الشيء تمامًا. لقد أطلت التفكير في هذا الأمر. لقد علمنا الجيش أن نكسب المعركة وأنا كنت أحاول الفوز طوال مسيرتي ولا أتفق.. بشدة.. لا أتفق مع قادتي الكبار حول الإجراءات التي يعتقدون أنه يجب اتخاذها ضد هؤلاء الأفراد (المتهمين بحادثة جسر نهر دجلة) وعليكم – أيها السادة في الهيئة القضائية، أن تفهموا أن قادتي الكبار لم يكونوا يقاتلون في شوارع سامراء، بل كانوا يعيشون في قصر في تكريت".

بغداد: الصحافة المحاصرة

أورفيل شيل Orville Schell (*)

٩ مارس ٢٠٠٦

المصدر: - www.nybooks.com/articles/18844

-١-

"سيداتي وسادتي" أعلن الطيار الجنوب أفريقي بنبرة واقعية من خلال الإنتركم "أننا نبدأ هبوطنا اللولبي في بغداد حيث درجة الحرارة ١٩ درجة سليزية". لقد انتهى عند نهر دجلة ذلك الامتداد الشاسع والذي يأخذ بالألباب للصحراء الممتدة مثل ورق الزجاج تحت الطائرة. ومن أجل تفادي هبوط عادي خطر فوق منطقة معادية والصواريخ ونيران الأسلحة الآلية، انحدرت الطائرة بشدة ثم وكما لو كانت قد وقعت في سورة مائية، غطست وهي تحوّم باتجاه الأرض في حركة لولبية مثل فتاحة الفلين.

عند الوصول إلى عمان وهي البوابة المدنية الرئيسية إلى بغداد ينتاب المرء شعور من يقترب نحو مفاعل نووي في حالة انصهار. حتى في الأردن هناك إحساس واضح كأنك في آخر دائرة آمنة في منطقة إشعاع ينشر موجات تلوث لا يمكن التحكم بها.

وتقريبًا لم يحدث في عالمنا المتجانس أن يقذف عبور حدود

(*) نشرت المقالة المترجمة في مجلة "وجهات نظر" المصرية.

دولية بالمسافر إلى أرض متفردة حقًا. ولكن على أية حال، هل هناك مكان مثل العراق؟ وحتى في مطار الملكة عالية الدولي في عمان، يجد المرء تلميحات حول تلك البلاد المرعبة القادمة. على الجدار فوق سير الحقائب إعلان ملصق عن " شركة أي اس بيك، بون، ألمانيا: سيارات مدرعة مرخصة" وشعار الشركة عبارة عن سيارة سيدان مثبت على حاجز الريح الزجاجي بجانب السائق منظار بندقية قناص، ويقول الإعلان بمرح: "عند الذهاب إلى العراق، تأكد أن تكون السيارة مدرعة". وعند بوابة المغادرة هناك لافتة قرمزية تحذر من حمل مواد ممنوعة:" بارود ومضارب جولف وقنابل يدوية وفؤوس جليد ومناخس أغنام وعصي هوكي وسواطير لحوم وبنادق كبيرة " مما يجعل المرء يتساءل ما إذا كانت البنادق الصغيرة مقبولة.

كانت الطائرة الأردنية الملكية الصغيرة من نوع فوكر إف ٢٨ -٢٤٠٠، التي تقوم برحلات يومية إلى بغداد، تقف على الإسفلت بعيدًا عن طريق النفاثات وكأن بعض مسئولي المطار كانوا يخشون أن تكون عبوة ناسفة بدائية محمولة جوًا (عبوة ناسفة بدائية هو مصطلح عسكري أمريكي). وهؤلاء الذين يقومون برحلة الحج هذه إلى مركز الصراع المناهض للغرب والاسلامي الطائفي هم خليط غريب من حراس أمنيين أهليين ومقاولين عسكريين وموظفين أمريكان ورجال اعمال عراقيين وصحفيين، وشاب يرتدي قميصًا أعلن أنه من " فريق الشرطة العسكرية K-9 " أي الكلاب الشامة للقنابل.

مطار بغداد الدولي يمتلئ بالحراس المسلحين وتحيطه مركبات مدرعة. لم أر حافلات أو سيارات أجرة تنتظر وصول المسافرين، فكل مسافر تقريبًا يجد في انتظاره أحدًا ما. وكان في انتظاري رئيس أمن صحيفة نيويورك تايمز البريطاني والذي يعمل طوال

الوقت والذي جاء بموكب مصغر من السيارات (المصفحة) أي ضد الرصاص ويرافقه عدد من الحرّاس العراقيين المسلحين يتصلون ببعضهم البعض بأجهزة الراديو.

وبحلول الذكرى الثالثة لتورط أمريكا في العراق، ذهبت إلى العراق ليس لملاحظة الحرب ذاتها وإنما لمراقبة كيف تغطى إعلاميًا. ولكن بطبيعة الحال لا يمكن تفادي الحرب. فليس هناك خطوط قتال أو جبهات أو حتى فاصل بين القروي والحضري مما كان يميز حروب العصابات دائمًا. بدلا من ذلك تجد القتال في كل مكان ولامكان في نفس الوقت.

بدأت الحرب بالنسبة لي في الطريق إلى بغداد، وهو الطريق الذي يبلغ طوله ٧ أميال الذي صار يسمى الطريق الأيرلندي على اسم اللواء ٦٩ الأيرلندي من الحرس الوطني لنيويورك والذي كان يسيّر دورياته فيه بعد الغزو. والبعض يسميه أيضًا طريق الموت لأن الكثير من الهجمات حدثت على امتداده، والآن تشارك القوات العراقية في حراسته ولم يعد الطريق ميدانًا للقتال كما السابق ولكن مازالت الرحلة من المطار هي الأكثر تلفًا لأعصاب أي مسافر.

ورغم أن عراق ما قبل الحرب كان لديه نظام طرق خارجية حديث نوعًا ما حيث الطرق مقسمة إلى حارات ومعابر علوية وتقاطعات وحتى لافتات دولية خضراء وبيضاء باللغتين العربية والإنجليزية، ولكن كل ذلك محي بالإهمال والقتال والتفجيرات ووطأة الدبابات التي لها شكائم ومقسمات وسطية. ففي كل مكان تجد الشارع مقلوبًا تملأه مخلفات وقمامة وأسلاك شائكة تتعلق بها أكياس بلاستيكية قذرة وأشجار نخيل مقطوعة الرءوس ومعدات مدمرة ومصابيح شوارع مكسورة وقطيع من الكلاب الصفراء الضالة تتشمم أكوام القمامة وهي أماكن مثالية لإخفاء العبوات الناسفة التي تفجر بواسطة الهواتف النقالة لتحية أرتال

القوات الأمريكية التي تحرس الطريق. يبدو العديد من جوانب الطريق وكأنها مناطق قتال حتى لو لم تكن قد تعرضت لهجوم.

وقد أصبح الكثير من طرق بغداد الرئيسية كابوسًا للمرور المختنق. وحين تظهر على الطريق دوريات أمريكية أو عراقية في مركبات الهمفي المزودة بالرشاشات ذات عيار ٥٠ ودبابات ابرامز ام -١ ومركبات برادلي المقاتلة، تتباطأ حركة كل شيء إلى درجة الزحف. فهناك لافتات مربوطة على نهايات المركبات تحذر باللغتين العربية والإنجليزية (خطر: ابق بعيدًا) وكل سائق يفهم الرسالة. فالفشل في الاحتفاظ بمسافة يمكن أن يتسبب في إطلاق النار(*) وهكذا مثل قطيع من الحيوانات الباردة والجائعة والخائفة من الاقتراب إلى نار المعسكر، تنكمش السيارات خلف مثل هذه الدوريات وفي حين يضطر سائقوها الغاضبون إلى الانتظار.. يتنفسون عادم السيارات وهم يلعنون الاحتلال.

ورغم أنه بعد الاحتلال توقفت تقريبًا كل أنشطة الحكومة العادية - مثل تسجيل السيارات وإصدار رخص القيادة - فقد تدفقت على أسواق العراق آلاف المركبات من دول أخرى. والإشارات الضوئية نادرًا ما تعمل الآن بسبب انقطاع الكهرباء لساعات كثيرة. والسيطرة الوحيدة تأتي من بضعة رجال شرطة

(*) كما كتب جون برنز رئيس مكتب نيويورك تايمز في بغداد في ٦ مارس ٢٠٠٥ بعد أن أطلق الجنود الأمريكان النار على الصحفية الإيطالية جليانا سجرينا أثناء رحلتها إلى المطار وهي الحادثة التي قتل فيها عميل المخابرات الإيطالية: "يعمل الجنود الأمريكان بقواعد اشتباك تعطيهم سلطة إطلاق النار متى كان لديهم سبب للاعتقاد بأنهم أو آخرين في وحدتهم يتعرضون لخطر تفجير انتحاري أو أي هجمات أخرى" وأضاف برنز بأنه النادر من هذه الحوادث يتم التحقيق فيها " أي غربي يعمل في العراق يصادف العديد من حوادث قتل الأمريكان وإصابة الأبرياء من السواقين والركاب في ظروف تجعل العراقيين في حيرة من معرفة الخطأ الذي ارتكبوه".

مرور وضعوا في التقاطعات المهمة من أجل توجيه تدفق المركبات الذي لا ينتهي. ومما زاد الطين بلة، أنه بعد عدة هجمات أو تفجيرات، يرفع الجيش الأمريكي أو الحكومة العراقية لافتة في وسط شريان رئيسي للتحذير "شارع حيفا خطر، لا تستخدمه". وأكثر من ذلك، فإنه مع ازدياد العنف والفوضى في المدينة، بدأ الناس يغلقون شوارعهم بمحض إرادتهم من أجل خلق مناطق آمنة وطالما لا وجود لسلطة القانون فلا أحد يمنع هذا التعديل الخاص لفضاء عام.

في البداية وبعد الاحتلال، تدبر الناس أمنهم بوضع أكياس الرمل على طول الشوارع أو أمام بيوتهم ومكاتبهم. ولكن حين انتشرت التفجيرات (الانتحارية) وصارت الشحنات الناسفة أكبر وأكثر تدميرًا وتأثيرًا، أصبحت جهود الدفاع الذاتي أكثر تطورًا. وبدخول (الجدران المضادة للانفجار) تغيرت خارطة بغداد.

وكان الإسرائيليون قد استخدموا هذه الجدران من أجل وضع حاجز نفسي بينهم وبين الفلسطينيين، ولكن نسخة العراق من هذه الجدران العازلة تتكون من آلاف قطع الكونكريت المسلح المتنقلة والتي يبلغ ارتفاعها ١٢ قدمًا، وهذه (الجدران ذات الشكل T) تبدو مثل شواهد قبور عملاقة أو ربما طواطم معدلة من الإرث الثقافي المنقرض في إيستر آيلاند Easter Island (جزيرة في جنوب الباسيفيك تبعد ٢٠٠٠ ميل عن تاهيتي وتتميز بتماثيل ضخمة منحوتة حولها ولا أحد يعرف تاريخها أو أصلها - المترجمة). وحين يوضع أحدها إلى جانب الآخر كجدران مضادة للانفجار فهي تشكل تموجات رمادية هي الملمح الأكثر شهرة الآن لبغداد. ولأنها انتشرت خلال إدارة بول بريمر الثالث، فقد أصبحت تسمى (حيطان بريمر).

على سبيل المثال، حين ازداد قلق مؤسسة صحفية رئيسية من

تدهور الوضع الأمني في المدينة وكان مقرها في جزء من أبي نواس وهو الشارع الرئيسي المحاذي لنهر دجلة وضع الجيش الأمريكي حواجز أمام الفندقين المجاورين بشكل متاهة من الجدران المضادة للانفجار وأبراج حراسة ومرافق أخرى. وهكذا ففي حين كان هذا في السابق شارعًا رئيسيًّا تظلله الأشجار الممتدة في وسطه أصبح الآن مثل ساحة تشبه الحديقة لإيواء سيارات وتحيطها جدران كونكريتية حامية بارتفاع ١٢ قدمًا.

ومع ازدياد البحث عن أمن خاص أكثر فاعلية، نما شعور عام جديد وغير متوقع من عدم الأمان. فمع تغيير مسار المرور إلى شوارع مفتوحة تتناقص باستمرار، أصبح ازدحام المرور أكثر حدوثًا معرضًا الأجانب والبغداديين الأغنياء وأي شخص لا يتفق مع هذه الجماعة أو تلك من (المتمردين) إلى إخطار الاختطاف أو إطلاق النار أو التفجير. ومما يثير الأعصاب (وهو أقل ما يمكن قوله) أن تحشر في زحمة مرور، محصورًا في خضم سيارات خاصة ونصف نقل وشاحنات وعراقيين مسلحين بأسلحة ثقيلة يحدقون بصفاقة من خلال نوافذ سيارتك المصفحة في حين يجلس حراسك الأمنيون إلى جوارك يحتضنون رشاشاتهم. وبانعدام أي فرصة للهرب فلا يسعك إلا التساؤل متى تأتي لحظتك المنحوسة. وحين يتوقف المرور كليًّا ويبدأ السائقون يخرجون عن الخط، أو يصعدون على الرصيف أو يعبرون الفاصل الوسطي للشارع أو يندفعون إلى الحارة العكسية للطريق، فمن الصعب البقاء هادئًا.

أسوأ المخالفين هم الحراس الأمنيون الخصوصيون المتلزمون بحماية من في مسئوليتهم بأي طريقة ممكنة، والشرطة العراقية الذين يركبون الآن أسطولا جديدًا من سيارات كروزر الخضراء والبيضاء ذات الصفارات الصاخبة التي تسمح لهم بشق طريقهم خلال الشوارع المقفلة بالمرور وكأنهم أطفال في سيارات مدينة الملاهي.

ومما يزيد من العريدة الشاملة والإحساس العام بالقلق حقيقة أنه من الصعب أن تعرف إذا كانت أصوات الصفارات التي لا تتوقف ودفقات أسلحة الرشاشات المتقطعة أو الانفجارات بين حين وآخر والتي تسمع طوال اليوم تعني شيئًا أو لا أهمية لها. فهناك ميادين تدريب الشرطة داخل المدينة وأحيانًا يقوم حارس ضجر بإطلاق عدة عيارات نارية على سبيل التحذير. وكما أوضح بورزو دراجاهي من لوس أنجيلوس تايمز: "إن إطلاق عدة عيارات نارية من الأسلحة الآلية هنا في بغداد مرادف لاستخدام بوق سيارتك في أمريكا".

وهكذا ما لم يكن صوت الانفجار قويًا فإن الناس عادة لا يرمشون جفنًا. وأقصى ما يمكن للصحفي عمله إذا كان الصوت قويًا جدًا، هو أن يصعد إلى سطح المكتب ليرى من أين يأتي الدخان.

بدون شك هناك شيء مثل بليد رانر Blade Runner في هذه المدينة (بليد رانر هو اسم فيلم من الخيال العلمي أنتج عام ١٩٨٢ وأصبح من اشهر الأفلام في هذا المضمار وهو يقدم رؤية قاتمة للمستقبل – المترجمة). فالعنف مبهم وغير مفهوم حتى إنك تتساءل ما الذي يظن الناس أنهم يموتون من أجله. ومع ذلك ورغم حقيقة أن العنف اليومي رهيب فالأمر لا يأخذ الكثير من الوقت قبل أن تصبح الأصوات القاتلة والدمار في كل مكان جزءًا من المشهد العادي. وسرعان ما تجد، بشكل يفاجئك تمامًا أنك لم تعد تولي اهتمامًا لأصوات الرصاص أكثر مما يفعل ساكن نيويورك تجاه أبواق السيارات التي تنطلق كل ليلة.. أقصد، إلى أن يفجر شخص تعرفه، أو جار أو مجرد شخص سمعت به أو تطلق عليه دورية النار أو يخطفه (المتمردون).

بعد أيام قليلة من مغادرتي بغداد نشرت صحيفة عراقية خبرًا صغيرًا يقول إن مصرفيًا عراقيًا غنيًا هو غالب عبد الحسين قد اختطف من منزله المحصن، من قبل مسلحين يرتدون ملابس

الجيش العراقي. خمسة من حراسه الشخصيين قتلوا بطريقة الإعدام. هذه واحدة من آلاف الحوادث المشابهة. ولكن ماعدا خضوعك لأوامر حراسك الأمنيين المسئولين عنك (إذا كان لديك مثلهم) فليس هناك الكثير الذي تستطيع أن تفعله.

عند التجول في شوارع بغداد بالسيارة، تستطيع أن ترى رجال الشرطة العراقية الجديدة ذوي الملابس الزرقاء والتي تفتخر بها إدارة بوش على أنها مؤشر واعد عن (العرقنة). ولكن لأن محطات تجنيد الشرطة ومدارس التدريب ومراكزها هي أهداف مفضلة للمتمردين، فإن الكثير من هؤلاء الشرطة الجديدة يخافون من التعرف عليهم بصفتهم متعاونين مع الأمريكان أو مع الحكومة العراقية الجديدة. وعلاجهم لهذا هو وضع أقنعة سوداء فيها فتحات للعينين والأنف والفم وهكذا يماثلون في الشكل الكثير من لصوص البنوك. والمرء يرى حماة السلام هؤلاء بهذا الشكل المخيف في تقاطع المرور أو يلوحون بأسلحة آلية في خلفية سيارات نصف نقل اشتراها لهم الأمريكان، مما يجعل منظرهم مهددًا وليس مطمئنًا.

-٢-

المكاتب الجديدة

زيارة أي من المكاتب الجديدة تعطيك انطباعًا فوريًا عن كيفية تحصن الصحفيين الأجانب الآن وكيف أصبح من العسير عليهم القيام بواجباتهم. وكل من تحدثت معه اشتكى من أن الحالة الأمنية المتدهورة قد حولتهم إلى سجناء في مكاتبهم.

كتبت فرناز فصيحي مراسلة وول ستريت جورنال في فبراير هذا العام تقريرًا في الصفحة الأولى حول الأوضاع في بداية وصولها عام ٢٠٠٣ : "كنا نستطيع أن نذهب إلى أي مكان في العراق بسيارة عادية ومن غير حماية. كنت وأنا بملابس غربية - بنطلون وتي شيرت وحذاء مفتوح - أتجول بحرية في بغداد أثرثر مع أصحاب المحلات وأتغدى أو أتعشى مع أناس ألتقي بهم " ولكن في ربيع ٢٠٠٤ كتبت:

"انتشر (التمرد) وازداد قوة أسرع مما تخيلناه ممكنًا. ولأول مرة استأجرت حراسًا مسلحين وبدأت أتنقل بسيارات مصفحة. وكان الخروج محددًا ومقيدًا وكانت الرحلات البرية قليلة ومتباعدة.. وكلما ازداد التدهور الأمني في أنحاء البلاد تتقلص المناطق التي يمكن لنا العمل فيها بأمان".

مكاتب الأخبار الأجنبية إما في أو قرب بعض الفنادق العاملة مثل الحمراء والرشيد وفلسطين. ومثل سفن حربية متضررة ولكنها مازالت في البحر، نجت هذه الفنادق من هجمات القنابل المتكررة ولكنها استطاعت أن تظل مفتوحة. وأصبحت قلة من الفنادق مثل الرشيد، حيث كان هناك صورة لجورج بوش الأب من الموزاييك على عتبة الفندق، داخل حمى المنطقة الخضراء. وهناك مكاتب أخرى قليلة لها مقراتها المستقلة وهي عادة فيلات متهالكة ميزتها أنها داخل محيط الدفاع الجماعي الذي جعل من الجوار مثل مدينة من القرون الوسطى محاطة بالأسوار.

وحيثما تكون مكاتب الأخبار في المدينة تصبح هي أيضًا مناطق محصنة بحراسها الخاصين قليلي العدد والذين يعملون أربع وعشرين ساعة في اليوم عند البوابات وأبراج الحراسة وحول المحيط. وللوصول إلى هذه المكاتب يجب أن يمر المرء بمتاهة من نقاط التفتيش والحراس المسلحين وتحصينات الجدران المضادة

للانفجار والأسوار التي تحيط بأرض الأخطار هذه حيث يتكرر تفتيش كل الزوار وسياراتهم.

الحقيقة المرة هي أن القيام بأي مهمة خارج هذه المناطق المحمية من الأمريكان أصبح من الخطورة للأجانب إلى حد اعتبارها انتحارًا. ويتصاعد عدد الصحفيين الذين يجدون أنفسهم محجوزين داخل أي فقاعة ملاذ خلقوها لعزل أنفسهم من الخارج المارق. (في ملحق صدر في يناير من USAID خاص بتطبيق عقود الحكومة يحذر من أن غياب سيطرة الدولة وعدم وجود قوة شرطة مؤثرة أطلق العنان للعناصر الإجرامية داخل المجتمع العراقي).

وقد شعرت كل مجموعة أجنبية تعمل في العراق أنه من الضروري أن تستأجر عنصر أمن شخصي PSD من أكثر من ستين شركة عسكرية خاصة PMF – وهكذا فإن شركات تريبل كانوبي، وايرنيز انترناشيونال لمتد، وبلاكووتر – تجني أرباحًا طائلة من العراق. وفي الواقع يقال الآن أن هناك على الأقل ٢٥ ألف رجل مسلح من هذه الشركات الخاصة يعملون في العراق اليوم. وتحت قيادة بريطانية وأفريقية جنوبية وأمريكية يشكل عناصر الأمن شبه العسكريين الخفيون عالمًا موازيًا لقوات الاحتلال الأمريكية وحتى أنهم يملكون منظمتهم الخاصة بهم وهي رابطة شركات الأمن الخاصة في العراق.

ولم يغب عن أذهان احتياط الحرس الوطني الأمريكيين وجنود الجيش النظاميين والمارينز بأن نظراءهم المرتزقة يحصلون أربع أو خمس مرات ضعف ما يحصلون هم عليه وأحيانًا يصل الأجر إلى ١٠٠٠ دولار في اليوم. ولابد أن هناك الكثير من السخط بسبب اللامساواة هذه والكثير من الجنود الأمريكان يطمحون إلى الاستقالة من وظائفهم العسكرية ذات الأجور المنخفضة للانضمام إلى إحدى هذه الشركات.

وقد أخبرني مارينز شاب سابق: "أنا أنظر إليها من هذه الزاوية. أن الوحدة العسكرية كانت بالنسبة لي مثل دورة تدريبية مدفوعة التكاليف تؤهلني للانضمام إلى القطاع الخاص".

ولكن عمل الحارس الخاص محفوف بالمخاطر كما أدرك الحراس الأربعة من شركة بلاكووتر الذين كانوا في مهمة عام ٢٠٠٤ لنقل بعض معدات المطابخ من قاعدة الفرقة ٨٢ المحمولة جوًا في الفلوجة وقد هوجمت مركباتهم وأحرقت وقتل الأربعة ومثل بهم حيث علقوا على جسر على نهر الفرات. (وفي الوقت الذي دفعت بهذا التقرير إلى النشر أذيع خبر اختطاف ٥٠ موظفًا من شركة عراقية أمنية خاصة في بغداد).

وقد انتهت الحكومة الأمريكية إلى استئجار آلاف من الحراس الخاصين لحماية مقاوليها وموظفيها الكبار مثل بول بريمر. في الواقع تبين من مراجعة حسابات الحكومة الأمريكية في ٢٠٠٥ أنه بين ١٦ و٢٢٪ من ميزانية مشاريع إعادة الإعمار في العراق يذهب الآن إلى نفقات الأمن وهو تقريبًا ١٠٪ أكثر مما كان متوقعًا. وكما قال حارس شركة خاصة لمراسل برنامج (الجبهة الأمامية) في البي بي سي PBC مارتن سمث "نحن شركة تأجير سيارات ونحن مجهزون للدفاع عن أنفسنا إذا هوجمنا".

إن الأمن عمل مكلف جدًا، مما يعني أن المراسلين والصحفيين الذين يعملون بشكل حر والذين لا يقدرون على تكاليف مثل هذه الحماية، قد اضطروا لمغادرة بغداد. أما مكاتب الصحف الكبيرة مثل نيويورك تايمز والتي تستطيع دفع تكاليف الأمن والتي مازالت في بغداد فهي تملك وثائق تأمين مكلفة تتطلب أن تكون كل رحلات الذهاب والإياب – وكل نواحي الحياة خارج المجمع بضمنها الرحلات إلى المطار – تحت سيطرة رئيس الأمن الذي يعمل بدوام كامل ويقوم في المكتب بدور شبيه بما يقوم به الموجه الأرضي

للمرور الجوي. ومهمته هو اختيار الأوقات والطرق لرحلات الصحفيين ثم الحفاظ على اتصال مستمر بسياراتهم حتى يرجعوا سالمين. إذا كنت تريد القيام بحوار خارج المكتب فهناك احتمال كبير أن يلغى أو يؤخر لأسباب أمنية. ورؤساء الأمن مسئولون أيضًا عن عناصر الأمن المسلحين الذين يحمون المكتب ليلا ونهارًا. ولا أحد يخاطر بالخروج بدون خطة مرسومة مقدمًا ثم يفضل أن تستخدم سيارة مصفحة تتبعها سيارة (مطاردة) فيها عدد من الحراس العراقيين الموثوق بهم والجاهزين لإطلاق النار إذا تطلب الأمر.

حتى إذا أراد صحفي أن يجري لقاء في منطقة محمية أخرى فقد أصبح من الغباء عدم تنسيق المقابلة مسبقًا. إذا كان المصور خارجًا لتغطية تفجير انتحاري أو صحفي يحاور عراقيًا مثلا فهو ينصح/ أو هي تنصح بعدم إطالة اللقاء أكثر من دقائق لأن ذلك قد يغري أي شخص بالاتصال بجماعة جهادية لإبلاغهم مقابل أجر.

وقد كتب روبرت فيسك مراسل الإندبيندنت اللندنية حول كيفية تحول الصحفيين الغربيين إلى "صحافة الفنادق" أو ما يصفها رئيس مكتب واشنطن بوست السابق راجيف تشادرسكاران "صحافة الريموت كونترول" أما مراسلة الجارديان الحربية ماجي أوكين فقد كانت أكثر تأكيدًا "إننا لا نعلم ماذا يجري ولكننا نتظاهر بأننا نعلم ".

والواشنطن بوست التي اضطرت لأسباب أمنية على تغيير مقرها أكثر من مرة تقيم الآن في منزل كبير يجاور فندق الحمراء. وحين توقفت هناك للغداء مع مجموعة من صحفيين آخرين أخبرني جوناثان فاينر مراسل البوست أن القلق على حياة الصحفيين "غير تمامًا طريقة التحرك في أرجاء المدينة ".

وقال لي بورزو دراجاهي مراسل لوس أنجيلوس تايمز ومكتبه في الحمراء إنه في صيف ٢٠٠٣ كنت تستطيع أن تخرج خارج

الفنـدق و"توقـف سـيارة أجـرة أو تقـود بنفسـك إلى الفلوجـة لتنـاول العشاء هناك أو تستنشق الهواء أو تذهب إلى محل لبيع السيديهات. أما الآن فإن الأسوشيتد برس تمنع موظفيها حتى من مغادرة المدينة".

"مـن المـدهش الآن عنـدما أفكـر فـي نـوفمبر ٢٠٠٣ حـين بـدأ (التمرد) يستجمع قواه وكل ما كان لدينا هو بضعة أكياس رمل أمـام منزلنـا وبضـعة حـراس" والحـديث لإيـد وونـج الـذي يعمـل الآن للمرة السابعة فـي مكتـب نيويورك تـايمز ببغـداد " فـي ذلـك الحـين كنـت تصـادف بضـعة أشـخاص غاضـبين ولكنـك لم تكـن تشـعر بالخوف على حياتك. ثم بدأت الأمور تتغير. في البداية أصبح بعض المدنيين أهـدافًا ولكـن لـيس الصحفيون. ثم فـي ربيـع ٢٠٠٤ بـدأنا نغير أنظمة الأمـن باسـتخدام موكـب مـن سيارتين وحـراس. وكـان شعوري رهيبًـا. فـلأول مـرة أواجـه حـاجزًا بيني وبـين النـاس الـذين يفترض أن أنقل أخبارهم".

وأبلغني ديكسـتر فلكنـز مـن نيويـورك تـايمز والـذي كـان فـي أفغانستان قبل العراق:

"حين جئت لأول مرة هنا فـي مارس ٢٠٠٣ كانت مثل أي منطقة حرب غطيتها: خطرة ولكن الخطوط كانت واضحة. كنـا نتجـول فـي كـل المثلـث السـني فـي الليـل. وذهبـت إلى جنـازة عـدي وقصـي (ابني صدام حسين). حملقت عائلة صدام بنا ولكنـي لم أشـعر بـأي ذعر. الآن لا يفعل شيئًا من ذلك إلا مجنون!".

لقـد بـدأت الأمـور فـي التغير فـي خريـف ٢٠٠٣ حـين بـدأنا كلنـا نواجه تهديدات. لقـد أطلـق علـيّ الرصـاص وهـاجمني حشـد مـن النـاس ورميت أحجار على سيارتي وأطلق الرصاص على سيارة من سياراتنا.

ثـم تغير كـل شـيء تمامًـا بعـد أبريـل ٢٠٠٤ والفلوجـة وانتفاضـة جيش المهـدي (الميليشـيا الـتي يقودهـا مقتـدى الصـدر). احتجـز جـون برنـز وربطـت عينـاه ودفـع للسـير فـي حقـل. لقـد تصـور فـي حينهـا أنـه

ميت لا محالة. ثم في أواخر ٢٠٠٤ بدأ قطع الرءوس.

وطبقًا لفلكنز "لقد أصاب الوضع جوهر كونك صحفيًا ولكننا مانزال نستطيع أن نتحدث للعراقيين ونقوم بمهامنا الصحفية ولكن الأوضاع خطرة ولا يمكن التكهن بها".

وكما يقول لاري كابلو من صحف كوكس: "من المحبط عدم التمكن من الحديث للمتمردين " وكذلك عدم التمكن من معرفة ما يحدث في أجزاء أخرى من بغداد.

إن ثمن البقاء في بغداد هو أن تتخذ بدلاء عراقيين لإنجاز المزيد والمزيد من المهام من قيادة السيارات إلى التبضع إلى الحصول على تأشيرات مغادرة وبطاقات السفر و.. كتابة التقارير الصحفية. وهذا الوضع يحبط الصحفيين الأجانب تمامًا وهم الذي يفخرون باستقلاليتهم، ولكنهم يدركون كما ذكرت لجنة حماية الصحفيين أن ٦١ صحفيًا (العديد منهم عراقيون) قتلوا هنا وكثيرًا آخرين أصيبوا منذ غزو ٢٠٠٣.

وتقول سابرينا تافيرنيس مراسلة نيويورك تايمز والتي قضت عدة سنوات كمراسلة في روسيا ثم زارت بغداد عدة مرات قبل استبدالها الأخير:

أحيانًا أعتقد أن كل ما أعرفه هو قطع متناهية الصغر من لغز كبير. إذا كنت تستطيع أن تدخل منزل أحدهم فإنك تستطيع أن تنقل الوجه الآخر من القصة ولكن العقبات أمامك هائلة، حتى لو كانت مجرد زيارة إلى مستشفى بعد قصف. أثناء عيد للمسلمين صادف مؤخرًا، ذهبت إلى منتزه للحديث مع الأشخاص والأطفال ولكن كان معي مترجم ومصور وثلاثة حراس وسائقان".

وتضيف " كان منظرنا مخيفًا".

في التاريخ الحديث لم يكن هناك الكثير من الحروب أصعب

في التغطية من الحرب على العراق اليوم. حين كنت أغطي الحرب في الهند الصينية، كان المراسلون يخرجون إلى الميدان وحتى في داخل مناطق القتال عالمين بأننا في النهاية سوف نستطيع الرجوع إلى سايغون أو فنوم بنة أو فين تيان حيث نستطيع ملاقاة أصدقائنا المحليين أو نذهب للعشاء في مطعم مع رفاقنا. ومع أنه كان يحدث بين حين وآخر أن يرمي واحد من الفيت كونج قنبلة يدوية على حانة ما ولكن الحرب كانت أساسًا تدور خارج المدينة.

لقد وصلت هنا في بغداد وأنا أتوقع بسذاجة أنه كرد فعل لعزلتهم من المجتمع العراقي فإن الصحفيين قد يكونون شكلوا نوعًا من التآخي بينهم. ولكن ما اكتشفته هو أنه حتى أقل التعاملات الاجتماعية بينهم قد أصبحت عسيرة. والحق يقال أن بعض المكاتب الجديدة الأكبر والأكثر إمكانية (مع مطابخ وطهاة) قد حاولوا تنظيم أمسيات عشاء غير رسمية مع زملائهم ولكن في حين أن الضيوف كانوا قادرين على الوصول إلى دعوة عشاء مبكرة كانت هناك مشاكل في العودة ثانية إلى مساكنهم أو فنادقهم حين يحل الظلام حيث تزداد احتمالات الهجمات. البديل الوحيد كان قضاء الليلة لدى المضيف وهذا يسبب مشاكل للجميع خاصة للسواقين والحراس العراقيين.

كانت النتيجة أن يجد المراسلون أنفسهم يعيشون حياة متخلفة حيث تنتهي أيامهم قبل غروب الشمس. وأنهم يسحبون إلى مكاتبهم للعشاء مثل عائلة أمريكية في الخمسينيات من القرن الماضي. ولهذا لا عجب أن وجد العديد منهم السلوى في الطبخ بأنفسهم.

في مساء أحد الأيام حين كنت في بغداد ذكر حارس أمن بريطاني أن فوكس للأنباء تقيم "حفلة" في فندق فلسطين القريب الذي كان سابقًا فندق مريديان فلسطين الراقي ذا الخمسة نجوم والذي يقع على ضفة نهر دجلة.

وكان يحدوني الفضول لرؤية ما آل إليه هذا الفندق الأسطوري وكذلك كيف هو شكل اللقاء الاجتماعي بين الصحفيين الأجانب هنا الآن. وهكذا فعند المغيب وبصحبة حارسين مسلحين تمشيت إلى فندق فلسطين عابرًا متاهة الجدران العازلة.

أول شيء لاحظته هو أن الفندق الذي أصبح اسمًا يعرفه كل بيت في أمريكا حين فتحت الدبابات الأمريكية النار عليه في أبريل ٢٠٠٣ وقتلت ثلاثة صحفيين، كان مظلمًا تقريبًا الآن. ومن بين المكاتب الرئيسية لم يعد هنا غير مكاتب فوكس للأخبار وإيه بي تي إن APTN. إن فندق فلسطين وتوءمه في الشهرة عشتار شيراتون واللذين يسميان (مغناطيس الصواريخ) هما أعلى مبنيين في بغداد، وهما يقعان مجاورين لمحيط ساحة الفردوس التي شهرها تمثال صدام حسين حين أسقطته دبابة أمريكية في ٢٠٠٣. ورغم أن علاقة فندق عشتار بسلسلة فنادق شيراتون العالمية كانت قد قطعت منذ زمن طويل ولكن الفندق مايزال يسمي نفسه شيراتون مثل مطلقة عجوز لا تستطيع أن تتحمل فكرة التخلي عن لقب زوجها السابق.

في أكتوبر ٢٠٠٥ كان كلا الفندقين هدفًا لهجمات ثلاث سيارات مفخخة يقودها (انتحاريون)، آخرها كانت خلاطة أسمنت محملة بالمتفجرات واخترقت ثقبًا هائلا سببته مفخخة أخرى، وكان يمكن أن يدمر الفندقان لو لم يشتبك محور الخلاطة بحاجز من الأسلاك الشائكة وهنا فتح القناصون فوق سطح فندق فلسطين نيرانهم على الشاحنة مما فجرها بشكل أطاح – من بين أشياء أخرى - بنوافذ مكاتب رويترز ونيويورك تايمز وبي بي سي إلى مسافة بعيدة جدًا. وقد تضرر عشتار شيراتون إلى حد أنه لم يفتتح مرة أخرى في حين أن فندق فلسطين الذي دمرت ردهة الاستقبال فيه، استطاع بشكل ما أن يستمر في حالة من الحركة المؤجلة.

في داخل ردهته المظلمة كان هناك عراقي وحيد يغفو على مكتب خشبي متهالك تحت سقف محفور تتدلى منه الأسلاك وتثبيتات الكهرباء والسباكة، ولافتة باهتة مازالت معلقة على مطعم قطار الشرق السريع المغلق والذي كان يومًا مكان لقاء كل المراسلين الذين أقاموا هنا.

في بحثنا عن حفلة فوكس المزعومة، سألنا الحاجب في الردهة عن كيفية الوصول إليها، فقال لي ولحراسي أن نذهب إلى الطابق الخامس ولكنه أضاف إنه من أجل الوصول إلى فوق يجب أولا أن ننزل إلى تحت وهي كما يبدو استراتيجية لمنع (الانتحاريين) من الوصول مباشرة إلى أهدافهم. في السرداب وبين صفوف من الصناديق الكارتونية المهملة وأكوام زجاج النوافذ المكسور، وجدنا عراقيًّا يركع على سجادة أمام جدار عازل أسمنتي، ويفترض بالمصلي أن يتوجه في قبلته نحو مكة.

حين وصلنا أخيرًا إلى الطابق الخامس كان علينا أن نترك حراسنا في نقطة تفتيش محصنة بباب من الفولاذ. في الداخل يستقبلنا هواء ثقيل معبأ برائحة مطهر حشرات وكاري ودخان سجائر. وفي نهاية ممر تغطيه سجادة مزيتة وجدت غرفة صغيرة مفروشة بأثاث رث وتلفزيون يعرض لعبة كرة قدم، وكان السرور ظاهرًا على موظفي فوكس الذين كانوا يدخنون ويشربون، لرؤية أي شخص. والمشهد يذكرني بمجموعة من العجائز المتقاعدين يتشبثون بمبنى سكني تقرر هدمه.

سألت أحدهم وهو يلقي في يدي زجاجة بيرة، "أين الضيوف الآخرون؟". يسحب زوران كوسوفاك رئيس مكتب فوكس، وهو ضخم الجسم وغير حليق الذقن، نفسًا عميقًا من سيجارته ويوضح بلهجته الكرواتية وهو يضحك:" الكل عاد إلى بيته، اليوم السبت. وقد أردنا أن نمرح قليلا. اعتدنا من قبل أن نقيم حفلات إلى وقت

متأخر بالليل. ولكن الآن جماعة الأمن يقولون لنا إذا أردتم إقامة حفلة، فيجب أن تنتهي قبل الساعة ٦ مساء حتى يستطيع كل شخص العودة قبل الظلام. وقد بدأنا في الساعة الثالثة".

وقال آخر: "الحال مثل تلاميذ السنة الثالثة حيث الكل يعود قبل الظلام" وضحك الجميع.

وحين سألت كوسوفاك كيف تعمل فوكس في تغطية الأخبار قال إن التلفزيون يعني أن تكون قريبًا من الحدث "لأنه يجب أن نلتقط الصور وهذا شيء ضروري. لو كنت صحفيًّا في مطبوعة وخرجت في مركبة همفي فأنت تستطيع أن تنظر من خلال النافذة ولكن كمراسل تلفزيون يجب عليك أن تخرج وتلقط فيلمًا". كان الجميع يهزون رءوسهم تصديقًا لكلامه وهم يفكرون بلا شك بمراسل الآي بي سي، بوب وودرف ومصوره دوج فوكت اللذين أصيبا حين كانا في دورية. قال كوسوفاك " لكنا نعتمد على بدائلنا العراقيين الذين تعلمنا أن نثق بهم. إنهم "نسخنا الأصلية " ولكن مع ذلك فهم فلترات (مرشحات)".

يقع مكتب بغداد لهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي في الجوار في فيلا قديمة كانت في ثلاثينيات القرن الماضي مدرسة يهودية ومازالت نجمة داود في تشكيلات بلاط الأرضية وفي سور الشرفة الحديدي. ويقول رئيس المكتب الكندي المولد أوين لويد: "التحدي الذي نواجهه هنا هو كيفية الذهاب لتغطية الأخبار، ثم حين نذهب لا نستطيع البقاء أكثر من ١٥ إلى ٣٠ دقيقة. وفي النهاية يكون محور اهتمامنا على أمننا بقدر اهتمامنا بالحدث".

وسألت لويد كيف تتعامل البي بي سي مع هذه المشاكل فقال: "عندنا موظفون في غرفة الأخبار مع أربع عراقيين يسهلون عملنا. إنهم من مذاهب إسلامية مختلفة ويعطوننا فكرة عما يجول بخاطر الناس في مناطقهم. إننا لا نستطيع أن نعمل بدونهم".

-٣-

(الصحافة الجديدة)

لقد مضت الأيام التي كان فيها الصحفيون يستطيعون التجول في أنحاء العراق بعدم جلب الانتباه إليهم كأن يتنقلوا بسيارات قديمة أو يطلقوا شاربًا مثل العراقيين أو يصبغوا شعورهم الشقراء أو حين كانت الصحفيات ينشدن السلامة بارتداء عباءات سوداء وحجاب. حين أرادت جيل كارول مراسلة كريستيان ساينس مونيتور اتباع هذه التكتيكات في يناير اختطفت بينما كانت تحاول أن تجري حوارًا مع السياسي السني عدنان الدليمي.

الدرس الذي تعلمه الصحفيون في هذه الأوضاع غير المسبوقة هو الاعتماد بشكل متزايد على الموظفين العراقيين – لقراءة الصحف العربية وقيادة السيارات وتسهيل الأمور والبحث والترجمة وكتابة التقارير الصحفية وقد عينتهم المكاتب الكبرى في أنحاء البلاد أو في الوزارات الحكومية المهمة.

كتبت فرناز فصيحي كيف أنها في وول ستريت جورنال بدأت "الاعتماد بشدة على موظفينا لإجراء المقابلات وتغطية الأحداث في الشارع والقيام بدور عيوننا وآذاننا في بغداد".

في المناسبات استطاع الفريق المحلي للواشنطن بوست "إقناع العراقيين للمجيء إلى الفندق وإجراء الحوارات مما يعطيني فرصة للتفاعل الشخصي مع المصادر" كان هذا ما كتبته جاكي سبنر رئيسة مكتب بغداد للواشنطن بوست السابقة في كتابها الذي سينشر قريبًا بعنوان (قل لهم إنني لم أبكي) وقد روت كيف أنها

"قضت ليالي تكتب تقارير ملصقة من أخبار جمعها الفريق العراقي، سبيلي الوحيد للحرب.. خارج نافذتي".

ولكن في حين أن الصحفيين الغربيين يعتمدون على بدائلهم، فإن ما لاحظته في المكاتب حين زرت بغداد ينفي عنهم تهمة التقصير في مهامهم. وإذا كان يمكن وصف عملهم فهو يبين كيف أن نموذج المكتب القديم عبر البحار الذي يضم المراسلين المستقلين اضطر - من أجل الاستمرار - إلى التطور في ظل الضغوط الشديدة. معظم كتابة التقارير الأساسية يكتبها العراقيون؛ في حين أن معظم الكتابات والتحليلات يقوم بها الغربيون. وبعض العراقيين الذين قابلتهم كانوا مدهشين بمدى معلوماتهم والتزامهم بهذا النوع من عمل صحافة الفريق. ولكن هناك سؤال يظل يتكرر وهو ما إذا كان هؤلاء المراسلون المحليون يحصلون على اعتراف بمجهوداتهم. يجيب بسرعة عمر الفكيكي وهو عراقي شاب في مكتب الواشنطن بوست ببغداد: "بالتأكيد نريد أن يذكر اسمنا! فهذا عمليًا هو كل ما نحصل عليه".

وأسماء العراقيين المشاركين في التقارير تذكر في الواقع ولكن في نهاية التقرير وببنط أصغر من المراسل الغربي - وهو إجحاف بيّن. ولكن بدأ هذا الأمر يتغير خاصة في البوست. ومع ذلك تبقى الحقيقة وهي أنه بسبب مخاطر الارتباط بمكتب أخبار غربية لا يرغب الكثير من العراقيين في ذكر أسمائهم. حتى أن بعضهم - خوفًا من الانتقام – لا يخبرون حتى عائلاتهم أو أصدقاءهم بطبيعة عملهم.

القليل من المراسلين الذين تحدثت معهم سواء كانوا غربيين أو عراقيين هم من لديهم اتصال مباشر بالمتمردين أو بالميليشيات الطائفية. فهم يقولون إن الحديث مع العراقيين الذين يقاتلون أو يطلقون المتفجرات صعب وخطر جدًا. وهكذا فإن الهجمات

المختلفة والتفجيرات الانتحارية والمشاعر المعادية للغرب، إضافة إلى الكراهية الطائفية التي تفجرت بعد الاحتلال تستمر في كونها لم تبحث أو تفسر من وجهة نظر العراقيين، سواء كانوا متمردين سنة أو أعضاء ميليشيات شيعية أو من القوات العراقية المدعومة أمريكيا والذين يردون الهجمات.

-٤-

المنطقة الخضراء

عاجلا أو آجلا، فإن كل من له عمل مع الأمريكان يجب أن يذهب إلى ما يسمى (المنطقة الخضراء) وطالما أنه خطر جداً على الغربيين التجول في بغداد فإن المنطقة الخضراء هي أحد الأماكن القليلة جداً التي يمكن للصحفي أن (يغطي) حدثاً بشكل حقيقي. البديل هو أن ترافق الجيش الأمريكي. وتكمن المفارقة هنا في شعور الصحفيين الغربيين في رفقة الجيش نوعًا من الانعتاق من السجن اليومي في مكاتبهم، خاصة في ضوء الجدل الذي أثير قبل ثلاث سنوات حول رفض الصحفيين المرافقين للجيش القيود على حريتهم في وصف الحرب. الآن هم يقبلون بهذه القيود لأن العمل بشكل مستقل أصبح عمليًا مستحيلا، على الأقل وهم مع الجيش يستطيعون أن يروا عمليات القتل في الشوارع بشكل مباشر.

المنطقة الخضراء هي مجمع مساحته ٤,٥ ميل مربع في وسط بغداد، يحيطها جدران مضادة للانفجار بطول ٨ أميال وقد أطلق عليها أحدهم "مجتمع أكبر بوابة في العالم" لأن أسهل طريقة للوصول إليها هي أن (تهبط إليها) على مهبط المروحيات في المنطقة والذي يطلق عليه اسم (مهبط واشنطن) – من مطار بغداد الدولي أو إحدى القواعد الأمريكية العديدة التي تشكل الآن أرخبيلا

أمريكيًا في أنحاء العراق. وتهدر المروحيات طوال الليل والنهار فوق سماء بغداد وهي تحمل الضباط العسكريين ذوي الرتب والدبلوماسيين وخبراء الأمن والمقاولين والشخصيات المهمة.

وعلى الصحفيين الذين ينشدون الدخول إلى المنطقة الخضراء أن يقودوا سياراتهم إلى هنا ثم يتفاوضوا من أجل الدخول من خلال بوابة دخول محصنة بكثافة. حيث كانت مثل مغناطيس جاذب للهجمات (الانتحارية) وتحيطها المركبات المدرعة وأبراج الحراسة وفرق من القوات المسلحة تسليحًا ثقيلا. وإذا كان أحد الزوار لا يحمل رخصة المرور الخاصة التي يصدرها الجيش الأمريكي لمركبته فيجب عليه النزول منها في مكان خاص خارج البوابة في متاهة من الجدران العازلة والأنقاض والأسلاك الشائكة والأسلحة. ولكن السيارات لا تجرؤ على البقاء إلا للحظات عابرة وبعكسه يعتبر الجنود أن سيارتك مفخخة ويفتحون النار عليك.

حالما يغادر السيارة يمشي الزائر عبر أرض خطرة جدًا إلى أول نقطة تفتيش. وبينما السيارات تمرق حولك وأنت تبحث عن طريقك عبر ممرات الجدران العازلة والأسلاك الشائكة وشبكة دبابيس ضخمة معدنية تشبه قطعة شطرنج مليئة بالتراب والرمل كحواجز مانعة، عندها تشعر أنك معرض للخطر تمامًا. وقد كانت هناك في الواقع عدة هجمات على هذه البوابات. في ديسمبر ٢٠٠٤ على سبيل المثال انفجرت سيارة محملة بالمتفجرات عند بوابة الحارثية وقتل ٧ أشخاص وأصيب ١٩. وقد نشرت على أحد مواقع الإنترنت رسالة تزعم أنها من أبي مصعب الزرقاوي يعلن بافتخار "في هذا اليوم المبارك، ضرب أحد ليوثنا من كتيبة الاستشهاد تجمعًا للعملاء والأمريكان في المنطقة الخضراء ".

وفي البوابة نفسها تستقبلك لافتات باللغة الإنجليزية والعربية تقول: "لا تدخل أو سنطلق عليك الرصاص" أو " قف هنا وانتظر" أو

"ممنوع استخدام الهاتف النقال في نقطة التفتيش" (الخوف طبعًا أن يفجر المتمرد بهاتفه النقال عبوة ناسفة بالريموت كونترول).

ثم يجب أن تبحر عبر العديد من نقاط التفتيش التي يقوم حراسها بفحص هوياتك مرة وأخرى ويمررونك عبر كاشفات المعادن وآلات الأشعة ثم يقدمونك إلى الكلاب الكاشفة للقنابل ويفتشونك ذاتيًا، وهدفهم أن يتأكدوا تمامًا من عدم مرور (إرهابي) من خلال هذه الجدران كما حدث في أكتوبر ٢٠٠٤ حين فجر (انتحاريون) أنفسهم داخل مقهى في المنطقة الخضراء وقد قتل في ذلك التفجير العديد من المقاولين بما يذكر الجميع أنه حتى الحواجز المنيعة التي تقسم المنطقة الخضراء يمكن اختراقها.

أول بضع نقاط تفتيش يحرسها الآن فريق من جنود جورجيا بملابس القتال الكاملة، وأسماؤهم على بادجات التعريف كلها تنتهي بلفظة (فيلي) ولا أحد منهم يتكلم الإنجليزية. بعد ذلك يواجه الزائر فريقًا من الحراس المتحدثين بالإسبانية الذين يخبرونك بإنجليزية ركيكة أنهم من بيرو وكولومبيا وهندوراس وتشيلي. وبسبب عدم كفاية إعداد الجنود الأمريكيين وكلفتهم العالية لجأ البنتاغون لبعض الوقت إلى الاستعانة بشركات خاصة لتجنيد الحراس في المنطقة الخضراء من دول أخرى - بنفس طريقة استعانة الصحافة الغربية بالفريق العراقي. وفي بداية الأمر لجأت الولايات المتحدة لشركة بريطانية هي جلوبال ستراتيجيز جروب لمتد Global Strategies Group Ltd، التي كانت تستورد المرتزقة المدربين من قبل بريطانيا، من سريلانكا وفيجي والنيبال. ولكن في نوفمبر ٢٠٠٤ بعد أن أعادت الولايات المتحدة فتح عقود المناقصات، تقدمت الشركة الأمريكية تريل كانوبي إنكوربوريشن Triple Canopy Inc، ومقرها في فرجينيا في عام ٢٠٠٣ وأصحابها مجموعة من المحاربين القدماء من قوة دلتا

الأمريكية وفازت بالعقد. ومن أجل تخفيض التكاليف بدأت الشركة تجند مرتزقة من أمريكا اللاتينية.

انضم هؤلاء الحراس إلى قوة عمل ضخمة من سائقي الشاحنات وعمال الأغذية والخدمات في المنطقة الخضراء (والقواعد الأمريكية الأخرى) والذين يأتون من دول متعددة مثل الفلبين وبنجلاديش وبلغاريا والهند. النتيجة هي قوة عمل دولية تجعل المنطقة الخضراء تبدو مثل إحدى الإمارات العربية المتحدة حيث يزيد عدد الآسيويين في الغالب عن عدد المواطنين. وهؤلاء (المحاربون الأهليون) وعمال الخدمات في العراق يقدرون بما يعادل ٣٠ كتيبة من القوات العسكرية.

ويبدو أن المعرفة باللغة الإنجليزية لم تكن من متطلبات الوظيفة لعمال شركة تريل كانوبي في برج بابل الجديد هذا. وطالما أن اللاتينيين مقطوعون عن مطبوعاتهم أو إذاعاتهم باللغة الإسبانية فمن الصعب تخيل ما يدركونه من هذا الوضع المعقد الذي يجدون أنفسهم فيه. حين أسأل حارسًا من بيرو يقف عند نقطة التفتيش تحت خيمة أمام كتابة عربية منقوشة على فولاذ عملاق مع اقتباس من أقوال صدام حسين عن رأيه في العراق؟ يعبس ويؤشر بإبهامه إلى تحت.

-٥-

امتياز أجنبي

أخبرني العديد من الأشخاص أن اسم المنطقة الخضراء مستمد من التعابير العسكرية: حين يفرغ الجندي خزانة رشاشته إم ١٦ يقال أن سلاحه الآن (على الأخضر) في حين أن (الأحمر) يعني أن الرشاش (مقفل ومحشو) وجاهز لإطلاق النار.. ومن هنا أصبحت هذه

المنطقة الآمنة التي يحتلها (المحررون) الأمريكان تسمى المنطقة الخضراء، في حين أن كل ماعداها من أماكن في الخارج حيث الأسلحة معبأة وإطلاق النار لا يتوقف يسمى المنطقة الحمراء.

وعندما يهبط المرء (داخل الأسلاك) كما يسمى داخل المنطقة الخضراء، يتملكه الشعور بالوصول إلى منتجع في عالم آخر يتحول فيه الجنود إلى موظفين. والسير بين الشاحنات والمكاتب النقالة ومولدات الكهرباء وحاويات الشحن (مليئة بالآف المعدات) ومكاتب البريد ومنافذ الوجبات السريعة وأحواض السباحة ومرافق الاستجمام الأخرى ومؤونة لاحدود لها من المشروبات الغازية الأمريكية وحتى منظر القصور السابقة والمباني الخاصة بصدام حسين وصفوف النخيل، ليست كافية لتعيد إحساس المرء إلى العراق.

تضم المنطقة الخضراء كل ما له أهمية في العراق: ما يسمى (السفارة الأمريكية) التي تقيم في القصر الجمهوري القديم وسفارات أجنبية مفضلة أخرى (البريطانيون وليس الفرنسيون الذين استمروا في مكانهم عبر النهر) وبقايا مفوضية الأمم المتحدة ومكاتب شركات إعادة الإعمار الكبيرة مثل كيلوغ وبراون وروت وبيكتل ومراكز قيادة الجيش الأمريكي ومطعم (بتزا إن) وبار يسمى بنكر (ملجأ) والسي إن إن، وصحيفة وول ستريت جورنال. الكل سعى إلى هذا الملاذ الآمن في المنطقة الخضراء. وهناك أيضًا مركز المؤتمرات ومقر المستقبل للبرلمان العراقي الجديد إضافة إلى مكاتب مهمة للحكومة العراقية الجديدة. وبالضبط مثل (الامتيازات) الأجنبية في مدن مثل شانغهاي التي سمحت في الماضي للصينيين (المقلدين للغرب) بالعيش في الداخل مع المنفيين السابقين للتمتع بالحقوق المتميزة، هنا أيضًا مركز المعلومات الصحفية الذي يسمى CPIC حيث يعقد مؤتمراته الصحفية كل يوم خميس مما يذكر المحاربين القدماء بمهزلة

(حماقات الساعة الخامسة Five oclock follies) الذي كان يعقد في سايغون في الساعة الخامسة من كل يوم على مسرح مكتب الشؤون العامة المشتركة الخالي من النوافذ. وحينذاك كان هناك جيل أقدم من (ضباط المعلومات الصحفية) يقدمون للصحفيين إيجازات كاملة مع خرائط وبيانات بأربعة ألوان مجدولة بعناوين (إعداد القتلى) و(ضربات الأهداف) (المباني المدمرة) (القرى الخاضعة) في حرب بدت وكأننا انتصرنا فيها إحصائيًا حتى لو كنا في الواقع قد خسرناها.

ومركز المعلومات الصحفي في المنطقة الخضراء هو المكان الذي يجب أن يذهب إليه الصحفيون الوافدون على البلاد لتصويرهم وأخذ طبعات أصابعهم وترخيصهم. وبالتأكيد فبدون بادج المركز يكون مستحيلا على أي صحفي أن ينجو في هذا العالم الأمريكي الموازي التي يحوي - ماعدا استثناءات طفيفة - البنى التحتية الوحيدة الذي تعمل في هذه البلاد مثل النقل وتوصيل الطعام وأماكن المبيت والاتصالات والطوارئ الطبية.

داخل المنطقة الخضراء يواجه المرء عالمًا لا يوجد مثيل له في خارجها. المنطقة لها خدمات سيارات الأجرة الخاصة بها. هناك نساء يمارسن رياضة الجري ورجال يرتدون قبعات سفاري وشباب في الثلاثين من العمر يرتدون الملابس الرسمية ويعملون في وظائف توصف بشكل مبهم على أنها (استشارية) للعراقيين في مسائل السياسة والإدارة، ونساء يتصبب منهن العرق وهن يرقصن مرتديات صديريات ضيقة وجيبات قصيرة. وكل شخص هنا لديه علاقة تعريف حول رقبته تتدلى منها مربعات بلاستيكية شفافة من الجهتين تضم كل بطاقات التعريف المهمة تلك. ولو لم يكن أغلب حامليها طوال القامة وذوي بشرة بيضاء ووزن ثقيل، لربما حسبهم الرائي من أولئك اللاجئين الذين تزدحم بهم مطارات أمريكا وهم ينتظرون أن تحملهم طائرات الرحمة إلى مدينة جديدة مضيافة.

والبادجات الضخمة التي تتصدرها كلمات (المنطقة الدولية) هي جزء من جهد علاقات عامة مستمرة ومتشعبة للحكومة الأمريكية لإعادة تسمية المنطقة الخضراء. وفي يناير الماضي وبعد الانتخابات التشريعية سلمت اسميًا إدارة حوالي عشرين مبنى في المنطقة إلى العراقيين في احتفال كان فيه فرقة موسيقية وكعكة شيكولاتة.

وإصرار إدارة بوش على تغيير اسم المنطقة الخضراء هو إحدى معاركها لتطويع اللغة. فإن استخدامها المستمر لعناوين مثل (قوات التحالف) (عملية تحريرالعراق) أو (القوة متعددة الجنسيات لـ ٢٧ دولة) تبدو مقصودة لإنهاء الهوة الآخذة في الاتساع بين اللغة الرسمية وحقيقة واقع الأمر في بغداد. في حين أن اللغة الرسمية لا تمل من إظهار التفاؤل ولكن الحقيقة الكابوسية تزداد سوءًا كل يوم. وفي حين أن المنطقة الخضراء أصبحت أكثر أمنًا والسيطرة عليها أكثر إحكامًا وفيما تستمر لغة الحكومة في عرض مستقبل مضيء للجهود الأمريكية في العراق، تغرق بقية البلاد في اضطراب عنيف هائل. وفي أثناء ذلك وخلال خدمتهم في العراق نرى القليل جدًّا من المبشرين الأمريكان بالديمقراطية من يتعلم العربية أو يلمس دينارًا عراقيًّا أو يشتري أي شيء عراقي ماعدا في محلات الحلي الصغيرة في المنطقة الخضراء أو يشارك في وجبة في بيت مواطن عراقي.

وفي أوائل الاحتلال في سبتمبر ٢٠٠٣ قال محلل الأمن الأمريكي أنطوني كوردسمان: "ارتكب خطأ بالغ هنا. أن خلق مناطق آمنة أمريكية حول المقرات الأمريكية في وسط بغداد، يعني خلق مناطق حظر للعراقيين وقد سمح ذلك للمهاجمين أن يدفعوا الولايات المتحدة داخل قلعة مما يعزل الشخصيات الأمريكية عن العراقيين".

منذ ذلك الحين، أصبحت هجمات المتمردين على القوات الأمريكية والحكومة العراقية والقتال الطائفي بين السنة والشيعة أكثر تدميرًا مما يسمح للصحفيين أن ينقلوه. كل صباح يكتشف أهالي بغداد أكوامًا من الجثث موثقة الأيادي والرءوس مثقوبة بالرصاص وقد ألقيت بدون هويات تعريف في الشوارع الخلفية. وحتى الآن إذا كان هناك أي سيطرة للحكومة فهي بيد وزارة الداخلية العراقية الجديدة التي تبقى بأيدي الشيعة ولكنها متهمة بالتواطؤ في القتل الطائفي.

وحسب التصريحات الرسمية يفترض أن الوزارة تنفذ خطة جديدة شاملة رسمها الليفتنانت جنرال مارتن ديمبسي والميجور جنرال جوزيف بترسون لبناء جيش وطني جديد وقوة شرطة جديدة. في الواقع وكما أخبرني العراقيون الذين قابلتهم، فإن وزارة الداخلية لها سمعة سيئة لاحتضانها ميليشيات شيعية مارقة. وقبل أن ينشر إدوارد وونج تقريرًا عن الوزارة في نيويورك تايمز عدد ٧ مارس، لم يتمكن صحفي على حد علمي من تقديم أي تفاصيل عن كيفية عمل الوزارة وماهية علاقتها مع الميليشيات الشيعية.

وقد تقدمت الحرب الأهلية في العراق خطوة أخرى إلى الأمام في ٢٢ فبراير حين دخل مسلحون سنة(*) يرتدون ملابس الجيش

(*) ملاحظة المترجمة – في حين أن الكاتب يستخدم وصف الاحتلال على القوات الغازية في العراق وله نظرات انتقادية لكثير من الممارسات الأمريكية في العراق، ولكنه في وصف العراقيين يستخدم التعابير التي درج على استخدامها الخطاب العسكري والإعلامي الأمريكي في العراق فهو يسمي مقاومة الاحتلال (تمردًا) كما يستخدم مصطلح (العنف) ليصف كل أشكال ما يجري في العراق بما فيه جرائم الاحتلال أو فرق الموت أو عمليات المقاومة ويسمي

العراقي وفجروا مسجد العسكري ذا القبة الذهبية في سامراء.

وأخذًا بالثأر هوجم حوالي ٢٠ مسجدًا سنيًا. وصحيفة واشنطن بوست عدد ٢٨ فبراير هي الصحيفة الأمريكية الوحيدة التي رأيتها تكتب تقريرًا عن (حوالي أكثر من ١٣٠٠ عراقي) قتلوا في الأيام التي تلت، وبعد ذلك حين شكك البعض في هذا الرقم كتبت الصحيفة أن ثلاثة مصادر أخرى أبلغوها بأن التقدير هو ١٠٠٠ أو أكثر ولم يعط أحد رقمًا يصل إلى ١٣٠٠. وفي حين أن كل هذه البيانات عرضة للمساءلة في العراق فإن ادعاءات الرئيس بوش بأن رجال الدين في العراق هدءوا الحالة بناء على طلبه منهم، تبدو جوفاء حيث قتل في اليوم التالي العشرات من المواطنين. ورغم أنه من العسير تصور بغداد في حالة أسوأ مما هي عليه ولكن فيما يتصاعد العنف فإن هذا الصراع قد يغرق العراق في صراع متسع قد يغطي على العنف اليومي ضد الأمريكان والمشاعر الوطنية الحادة المناهضة للأمريكان.

عدنان الباجة جي سياسي محترم في منتصف الثمانينات من العمر وكان في المنفى لفترة طويلة ولكنه انتخب أخيرًا لعضوية البرلمان وهكذا انتقل إلى سكن في حي المنصور الراقي حيث

العمليات الاستشهادية (انتحارًا)، ناهيك عن قصر المقاومة على (السنة) والذي يخالف واقع الأمر. ورغم أن مثل هذه التعبيرات يأبى أي وطني عراقي أن يستخدمها ولكني تركتها دون تغيير لتبقى المقالة بنفس أسلوب صاحبها. وهي مهمة في نقل حقيقة الأوضاع التي لا يذكرها الإعلام الغربي السائد ولكنها لا تمثل بالضرورة قناعاتي الشخصية لذا اقتضى التنويه.

تحليل الكاتب لأحداث سامراء يخالف الرأي الذي يكاد يجمع عليه العراقيون وهي أن مرتكبي الجريمة لم يكونوا من (السنة) كما يقول الكاتب وإنما أطراف خارجية لإثارة النعرة الطائفية، وعلى أية حال لم تظهر أي نتائج لأي تحقيق من قبل أي جهة فاتهام الكاتب للسنة بذلك تسرع غير مقبول خاصة في ضوء ما يعترف به الكاتب من قلة إمكانية الصحفيين الأجانب بسبب الظروف الراهنة من التعرف على الوجه الاخر للحقيقة من العراقيين أنفسهم.

يعيش معزولا في مقره الخاص بصحبة ميليشيا خاصة من الحراس ومولدة ديزل، وهو يمثل رؤية أعقل ولكن ربما غير واقعية لمستقبل العراق. الباجة جي مسلم شيعي ويشعر بالحزن لزيادة العنف الطائفي وهو مثل بعض المنفيين المعروفين لم يكن يتوقعها. "العراقيون معروفون بأنهم أقل الشعوب تدينًا في الشرق الأوسط" ويضيف: "لقد كان شيئًا محبطًا أن ٨٠ ٪ من العراقيين انتخبوا طبقًا لانتماءاتهم المذهبية وليس معتقداتهم السياسية ".

ويقول الباجة جي إن ما يلزم هو "اتحاد فدرالي جديد وبعض الوقت من أجل أن تستقر البلاد ولكن هناك الكثير من العنف والخوف وانعدام الثقة حتى أن تفاؤلي يتضاءل. ويبدو أننا نسقط في حالة حرب أهلية بين الطوائف والقتل المنظم من كل جانب. قبل ثلاث سنوات حين أطيح بنظام صدام حسين، لم يكن أحد منا يتصور أن الأمور سوف تتردى إلى هذا الحد".

ويمكن القول أن صحافة أمريكية محاصرة في العراق سوف لن تجد الخبر الرئيسي هو مقاتلة الأمريكان للمتمردين العراقيين ولكن خبر الأمريكان وهم يقفون جانبًا عاجزين في مقراتهم المحصنة والمنطقة الخضراء والقواعد العسكرية وهم يشاهدون العراقيين يقتلون عراقيين آخرين والبلاد تتفتت، سوف يكون مفارقة كبيرة إذا كانت هذه هي نتيجة غزو مارس ٢٠٠٣ الذي روج له على أنه خطوة ضرورية من أجل إرساء السلام في الشرق الأوسط.

وشم الحرب

حكايات من المستشفى!

ليس لدي فكرة حقًا عما كانت عليه مهمتي!

الجندي راندال كلونين(*)

كنا نحاول اعتقال الناس الذين يقومون بالتفجيرات، ونبحث عن كلاشينكوفات وآر بي جي، أشياء من هذا القبيل. وجدنا بعض الأسلحة ولكن معظم الوقت كنا نذهب لاستجواب الناس وحين لم نكن في مهمة كنا ننام أو نأكل. وكان لدينا تلفزيونات وأجهزة بلاي ستيشن. كنت أحب تلك الحياة والإثارة التي فيها: الأدرنالين. إنك لا تعرف ماذا سيحدث بعد قليل. أعني أنك قد تدخل منزلا وإذا به يتفجر. أو أن تدخل ويقابلك الرصاص. أنا مهووس بالأدرنالين وأحب الإثارة. على الأقل هناك شيء أفعله في حياتي بدلا من التعطل والتسكع.

نعم كان العراقيون مذعورين. تصور أن يدخل بيتك ٩ جنود أمريكان مدججين بالسلاح يصرخون وهم يضعون سلاحهم في وجهك. نعم كانوا مذعورين. كنا نداهمهم وقت نومهم، نقتحم المنزل ونوقظهم ولم يكن لديهم وقت لارتداء ملابسهم.

ليس لدي اتجاهات سياسية. أنا جندي أنفذ الأوامر. كنا نساعدهم ليعيشوا حياة مثلنا فتكون لديهم حرية ولا يشعرون بعد ذلك بالخوف من شيء. كنا نحاول أن نحررهم. كنا ننظر للمسألة بهذا الشكل. أحيانًا كنا نكره وجودنا هناك لأنهم لم يحترموا ما نفعله لهم. كنا

(*) الجندي راندال كلونين (١٩ سنة) من القوة ١٠١ المحمولة جوًا ومقرها تلعفر/نينوى وكان راندال يقوم بمهام الحراسة في ٨ كانون الأول ٢٠٠٣ حين اخترق فدائي البوابة وفجر نفسه وسيارته. دخلت شظايا في وجه كلونين.

نحاول مساعدتهم ولكنهم يريدوننا أن نخرج من بلادهم.

إصابتي كانت بسيارة مفخخة. "انتحاري" اقتحم البوابة وفجر السيارة ونفسه. وقد أصبت حتى تحول أنفي إلى الجهة اليسرى من وجهي ولم أكن أستطيع أن أتنفس وكان يجب أن يفتحوا قصبتي الهوائية. كنت أنزف بشدة وقد وضعوني في المستشفى في غرفة وحدي لأن شكلي كان بالغ السوء كما أعتقد وكانت الأنابيب تخرج من كل أجزاء جسدي.

وقد ذهبت كل الإثارة. الآن أتفرج على الأخبار أو أتفرج على أفلام الحرب. أجلس مع والدي لنشاهد أفلام جون وين.. أفلام الكاوبوي والهنود الحمر وأفلام الحرب.

قصة قصيرة جداً!

الجندي لويس كالديرون (٢٢ سنة) من بورتوريكو قصته قصيرة جداً: مدفعجي، من الفرقة مشاة الرابعة أصيب يوم ٥ مايو/ آيار ٢٠٠٣ في تكريت حين وقع عليه جدار كونكريت يحمل صورة صدام كان قد أمره قائده بتحطيمه بالدبابة ولكن الجدار الضخم وقع على الدبابة وقطع الحبل الشوكي مما تسبب في شلل رباعي. لم يأخذ وساماً على إصابته لأنها لم تكن (قتالية).

لا أنام!

اللفتنانت جوردان جونسون(*)

لقد عانيت كثيرًا حتى من وجودي هنا. قالوا لي الشهر الماضي إن لدي عارض اضطراب عقلي مزمن، ولهذا ألتقي أسبوعيًّا بطبيب نفسي، وهذا يساعدني في الحديث لشخص ما. أساسًا أعاني من عدم القدرة على النوم. ربما أنام ٣ إلى ٤ ساعات في الليلة وهو نوم مضطرب. وهذا شيء غريب لأني أرهق نفسي إلى أقصى حد بدنيًّا وربما عاطفيًّا ولكني لا أتعب. لا أستطيع النوم. عندما وصلت إلى المستشفى في والتر ريد كان هناك جماعات مساندة لكل الجنود الذين أصيبوا في العراق. كنت المرأة الوحيدة. وقد دفع هذا الآخرين إلى الحديث عن إصاباتهم وتحولت المسألة إلى الاستعراض أمام أنثى. لقد شعرت بالتوتر وبالإحباط. فمن الجميل أن يعاملك الناس بلطف وبالمساواة ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

أحدهم سألني قبل أيام كيف شعوري حين أعرف أنا ذهبنا إلى هناك لإيجاد أسلحة دمار شامل ولم نجدها؟ كان شيئًا مخيبًا للآمال. فأنت تذهب إلى هناك بتصميم معين كجندي بأنك تؤدي مهمة. ومسألة عدم عثورنا على أسلحة دمار شامل تسبب لنا الإزعاج. وأخي سيذهب إلى هناك في كانون الثاني، فما هي

(*) اللفتنانت جوردان جونسون (٢٣ سنة) كانت مسئولة عن المجموعة التي تحمي جنرال الفرقة المدرعة الأولى وكانت في طريقها من مطار صدام (بغداد) الدولي في ٢٠ تموز ٢٠٠٣ حين تعرضت الهمفي التي كانت فيها إلى التدمير وقد تهشمت ساقها وعظم العصعص ودخلت في غيبوبة. وقد مات جندي آخر في الحادثة.

مهمته هناك؟

باعتبارنا جزءًا من الولايات المتحدة، فإن هدفنا الرئيسي دائمًا هو أن نتدخل لنثبت أننا قوة كبرى. لماذا نحاول أن نثبت ذلك؟

كل ما أريده فعلا أن أستطيع السير ثانية. أن أركض مرة أخرى. لقد كنت بطلة رياضية وأصبحت الآن لا أستطيع أن أقوم بتمرين بسيط لست مرات. إني أتقدم ببطء شديد ولكني أتعامل بشكل جيد مع حالتي. لا أحتاج إلى ميدالية أو أي مكافأة تقول من أنا لأني أعرف من أنا. أنا لست بطلة وإنما ناجية.

العراقيون مثل المجانين

كابتن تايسون جونسون (*)

ذهبنا إلى معسكر الاعتقال هناك (concentration camp) وقد قضيت معظم خدمتي هناك. كان جنونًا. العراقيون يستيقظون في الساعة الخامسة صباحًا ويظلون يتمشون ذهابًا وإيابًا مثل المجانين. أتكلم بجد.

معظم أصدقائي هناك كانوا في أسوأ حالاتهم النفسية. كانوا على استعداد ليفعلوا أي شيء للخروج من هناك، أي شيء، وكان أحد رجالي يقول لي: لقد ولدت زوجتي ابنًا. لا أستطيع الانتظار حتى الوصول إلى البيت ورؤيته. لكنه مات هناك. وأنا أفكر بهذا كل يوم.

شظايا في ظهري وشظايا في رأسي وفي رئتي وقد كسرت ذراعاي وفقدت كلية وأمعائي في حالة يرثى لها وقد أخذوا شريانًا من ساقي اليسرى ووضعوه في ذراعي الأيمن. لقد خسرت حياتي.

كان من المفروض أن أحصل على علاج بدني ووظيفي ولكنهم ألغوه لأني تغيبت ٣ أيام في الخدمة. إني مريض وأتقيأ أي شيء أتناوله. وأحاول أن أعلم ابني كيف يعد على أصابعه وكما ترى أن اصابعي لا تصلح. أحيانًا تحمر يداي مثل جمرة نار حتى لا أستطيع

(*) كابتن تايسون جونسون (٢٢ سنة) ميكانيكي في الاستخبارات العسكرية وقد أصيب بهجوم هاون على سجن أبو غريب في ٢٠سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٣. وقد كانت إصابات داخلية كبيرة ويعتبر الآن ١٠٠% معاق.

آن أقود السيارة فأضع قفازات. لا أستطيع أن ألمس أي شيء.

لقد حصلت على مكافأة في الحرس الوطني لانضمامي إلى الجيش. الآن عليَّ أن أعيد لهم المكافأة وهي ٢٩٩٩ دولار. لو كنت استمررت وأكملت عقدي لما كان عليَّ أن أعيدها. ولكن الحرس يريد الآن أن أعيد له المكافأة وهي دين عليّ. إني أحترق في داخلي.

لقد مات اثنان من أصدقاء المدرسة. وجدوهما في حفرة وبقية أصدقائي في السجن. لهذا بعد الدراسة الثانوية التحقت بالجيش لأني كنت أعرف أني إن لم أفعل سوف تنتهي حياتي مثل أصدقائي. وها إني أعود ولا أعرف أين أنتهي.

نستحق أن نعرف لماذا ذهبنا إلى هناك!

الجندي روبرت أكوستا (*)

كان أول ما فتّح عيني على الحقيقة، هو المضي في الصحراء ورؤية مركبات مفجرة وملابس جيش في كل مكان وبعد الحرب رؤية الناس يرموننا بالحجارة وكراهيتهم لنا. كان مثل استفاقة صادمة. كان هناك الكثير من الأشياء التي لا ينبغي للناس أن يروها مثل الدمار والمنازل المحطمة والتي كان يعيش فيها الناس، مثل مناظر الأطفال مشردين في العراء وقد قضي على عائلاتهم. كانت المدينة جميلة ولكنها الآن مدمرة.

كان ذلك في ١٣ يوليو/تموز وكان هناك ثلاثة زملاء قتلوا في اليوم الذي أصبت فيه. كان أثناء النهار وقد طارت القنبلة اليدوية من الشباك وحطت على الراديو بيني وبين زميلي. كان يقود المركبة ولم يرها ولهذا حملتها بيدي وحاولت أن أرميها من الشباك، ولا بد أن مرفقي اصطدم بشيء فسقطت القنبلة على الأرض بين قدمي وعندما حاولت إمساكها مرة أخرى انفجرت في يدي وأخذتها معها وهشمت ساقي اليسرى وكسرت كاحلي الأيمن وفجرت جسم الهمفي وجزءاً من الموتور وصديقي أنطوني كان في حالة جيدة لم يصبه شيء. إنه في ألمانيا الآن وقد أخلي

(*) الجندي روبرت أكوستا (٢٠ سنة) اختصاصي ذخيرة بالفرقة المدرعة الأولى. أصيب في ١٣ يوليو/تموز ٢٠٠٣ حين كان يقود الهمفي قرب مطار صدام الدولي وقد رميت على المركبة قنبلة يدوية وفقد في الانفجار يده اليمنى والقدرة على تحريك قدمه اليسرى.

لأسباب نفسية فقد حطمته نفسيًا تلك الحادثة.

في مستشفى والتر ريد كان هناك الكثير من الشباب المعوق. أعتقد أنك تسمع بإصابات هنا وهناك ولا تدرك واقع الحال حتى تراه، لأنه حين يصاب أحدهم يتم إخلاؤه إلى خارج العراق خلال ساعات. تسمع قصصًا. البعض أصيب ولكنك لا ترى إصاباتهم حتى تلحق بهم في المستشفى. حيث تصبح واحدًا منهم. عمري ٢٠ سنة وهؤلاء الشباب بين ١٨ و٢٣ سنة. إنه شيء رهيب.

أعني إننا نلتقي واحدنا بدون يد وآخر بدون ساق وثالث بدون ذراع وكلنا نمشي على عكازات أو كراسي بعجلات.

ولكن هنا في كاليفورنيا لا أحد يعرف حقيقة ما يتعرض له الجنود، يرون على التلفزيون أن جنديين أصيبا اليوم ويفكرون: حسنًا سوف يكونان بخير. ولكن ما لا يعرفونه أن هذا الجندي قد أعيق مدى الحياة بدنيًا وعقليًا. ولكنهم لا يفهمون. يرون جنديًا مصابًا وبعد قليل يغيرون القناة وينسون.

كنت قبل الإصابة أحب حضور الحفلات، كنت أرتاد الكثير من النوادي، كنت في كل مكان، ومنذ الإصابة لم أذهب إلى أي ناد أو حفلة ولا يهمني ما يفكر به الناس. لا أريد أن أستمع إلى أسئلتهم الغبية خاصة من الشباب الذين في سني. إنهم لا يعرفون ماذا يحصل حقًا فيسألون أسئلتهم الغبية مثل: هل كانت الحرب قوية؟ هل قتلت أي أحد؟ يريدون مني أن أمجد الحرب وأقول إنها كانت رائعة وإني فعلت هذا وفعلت ذاك. إنهم جهلة، أعني إنك تشاهد أفلام الأكشن وهم يمجدون كل ما يجري فيها وكأن الحرب شيء تريد أن تكون فيها. عندما كنت طفلا اعتدت على مشاهدة برامج التلفزيون وكنت أفكر كم سيكون رائعًا أن أشارك في حرب. ولكن الحقيقة شيء آخر. إن كل ما رأيته يضرب في رأسي ولا أستطيع النوم. ولكنهم لا يفهمون.

كنت أحب الجيش، كان حياتي وكنت أحبه وأفتقد الحياة التي عشتها في الجيش، أفتقد أصدقائي، كنت ناجحًا وكنت سعيدًا وكل ذلك حرمت منه الآن.

أجل لقد حصلت على وسام القلب القرمزي ولكني لا أهتم. ليس هناك جندي يحب أن يحصل على قلب قرمزي. المكافآت لا تعني شيئًا لي. لا أريد أي شيء يثبت أني كنت هناك. أعرف أني كنت هناك. فقد عدت بشيء يذكرني باستمرار أني كنت هناك.

أقصد أنه مثل كل مبررات الحرب التي خضناها.. تبدو غير شرعية بما يكفي ليفقد الناس حياتهم من أجلها. وبالنسبة لي أن أفقد ذراعي والقدرة على استخدام ساقي وأن يفقد زملائي أطرافهم. وكنت أتحدث مع زميل لي قبل أيام ونحن نريد أن نعرف، أشعر أننا نستحق أن نعرف لماذا ذهبنا إلى العراق.

هنا.. أيتها الرصاصة!

قصائد جندي أمريكي في العراق

الجندي الأمريكي برايان ترنر نشر كتاب شعر قبل بضعة أشهر بعنوان (هنا أيتها الرصاصة – Here,Bullet) ضمنه قصائد كتبها من خلال تجربته في العراق.

برايان ترنر - خدم ٧ سنوات في الجيش الأمريكي وهو من عائلة عسكرية. ومنذ ٢٠٠٣ كان قائد فريق مشاة في العراق مع فريق القتال للواء الثالث سترايكر التابع للفرقة الثانية مشاة.. هنا بعض قصائده..

رثاء

(في ذكرى جندي من فرقته أنهى حياته بيده تخلصًا من العذاب)

حدث ذلك يوم الاثنين الساعة ١١.٢٠ دقيقة صباحًا

حين كان حراس البرج يأكلون الساندويتشات

والنوارس تحلق فوق نهر دجلة

ويدير السجناء رءوسهم باتجاه الغرب

رغم الاكياس والكمامات التي تغشيهم

وحدث هذا، في يوم مشمس، سماؤه زرقاء صافية

حين سحب الجندي ميلر الزناد ليضع الحديد والنار في فمه

تجفل الطيور بعيدًا عن المياه

يتوقف النمس تحت أشجار البرتقال

لا شيء يوقف حركة الرصاصة مهما حدث

ومهما كانت الأصوات الضبابية

التي تضج بالراديو، في حالة جماد مرتبك

لو توقفت الأرض عن الحركة هذه اللحظة فقط

لرأى الجندي ميلر كيف يكون السكون

هناك في ظل الكالبتوس عند النهر.

أشباح

أشباح الجنود الأمريكيين
تتجول في شوارع (بلد) ليلا
متعبة، لا تعرف الطريق إلى الوطن

رياح الصحراء تدفع النفايات إلى الحارات الضيقة في حين
يرتفع صوت من المنارة.. نداء روحاني
يذكرهم بوحدتهم وضياعهم
والأموات العراقيون يرقبون بصمت من أسطح المنازل
وتصطف ظلال أشجار النخيل على جرف النهر
تميل نحو مكة حين تهب نسائم الفجر.

هنا أيتها الرصاصة

إذا كان الجسد ما ترغبين
إذن هنا عظم وغضروف وجلد
هنا رغبة طقطقة الترقوة
صمامات الأورطي المفتوحة، القفزة
التي تصنعها الفكرة في فجوة الكروموسومات.

هنا دفقة الأدرنالين التي تعشقين
ذلك الهروب العسير، ذلك الثقب المجنون
في الحر والدم. وأتحداك إنهاء
ما بدأت، لأن، هنا أيتها الرصاصة
هنا حيث أنهي الكلمة التي تأتين بها
تئز عبر الهواء، هنا حيث أندب
مريء الماسورة البارد، شاحذًا متفجرات لساني
للحزوز التي في داخلي، كل رشقة من الطلقات
تنغرز أعمق، لأن هنا أيتها الرصاصة
هنا ينتهي العالم، كل مرة.

نجف ١٨٢٠

قوافل الجمال تنقل الموتى

من فارس وما ورائها، أجسادهم يابسة

ملفوفة بالسجاد، وصيتهم عند الموت

أن يدفنوا قرب علي

إلى حيث جر جسده أول جمل عبر الصحراء مربوطًا بوهنه.

النجف.. مآل الموتى إليها،

حيث تفتح لهم أبواب الفردوس

بضياء سرمدي، وتغسل أجسادهم

من الدماء.

شهر نوفمبر

حيث غيوم البارود والمطر

والأرض حبلى بالموت

وتلال القبور تمتد صفًا بعد صف

ومازالت الأرض تكفي ما تأتي به السنوات

لا يحتاج حفارو القبور سوى أن يحفروا

جرفة إثر جرفة.

طلب بسيط

في رسائل

من شرطي سابق إلى الجيش الأمريكي

وبالعكس

يبين هذا الموضوع إلى أي مدى نجحت بروباغندا بوش في تضليل الشعب الأمريكي للتصديق بأن للعراق علاقة بأحداث ١١ سبتمبر / أيلول. ويبين كيف يساهم الجيش الأمريكي في تأكيد هذه الدعاية السياسية المضللة.. الموضوع من موقع الجيش الأمريكي على الإنترنت.

فقد سارجنت متقاعد في شرطة مدينة نيويورك ابنه في مركز التجارة العالمي في ١١ سبتمبر/ أيلول. اتصل بالمارينز وطلب أن يكتب اسم ابنه (جيسون سيكتزر) على إحدى القنابل التي نسقطها على بغداد. ولدهشته استلمنا الرسالة الإلكترونية التالية و٣ صور من الميجور جو بويهم المتمركز في الكويت.

والقصة منذ بدايتها تحكيها رسائل إلكترونية:

❖❖

من (...) أرسلت: الجمعة ١٤ مارس ٢٠٠٣ إلى pao@centcom.mil

الموضوع: طلب بسيط.

السيد مسئول الشئون العامة

إذا كان ممكنًا تحويل هذه الرسالة إلى البحرية أو القوة الجوية أو الجيش أو وحدة المارينز في منطقة الخليج. طلب بسيط من محارب في حرب فيتنام وسارجنت متقاعد في شرطة نيويورك فقد ابنه في مركز التجارة العالمي في ١١ سبتمبر/ أيلول. يتمنى أن يوضع اسم ابنه على إحدى الذخائر (قنبلة، صاروخ، قذيفة مدفع) من التي تستخدم في الحرب ضد الإرهاب بضمنها العراق. اسم ابنه هو جيسون سيكتزر، والأب هو ولتون سيكتزر ويمكن الوصول إليه في البريد (..) شكرًا.

جاري جورمان – ضابط شرطة متقاعد – بروكلين/ نيويورك.

❖❖

من ستيفن فرانزوني. أرسلت: ١٧ مارس ٢٠٠٣ إلى: اللفتنانت الكولونيل مارتن بي كومبتون. الموضوع: تحويل رسالة: طلب بسيط.

هذا طلب نتمنى تحقيقه.

ستيفن فرانزوني – مسئول الإنترنت في القيادة المركزية (سينتكوم).

التصنيف: غير سري.

❖❖

من اللفتنانت الكولونيل مارتن بي كومبتون. أرسلت: الاثنين ١٧ مارس ٢٠٠٣ إلى: ستيفن فرانزوني. الموضوع: يتعلق بطلب بسيط أرسل إلى توماس والدرسون.

اللفتنانت الكولونيل مارتن بي كومبتون – الشؤون العامة في القوة الجوية الأمريكية.

❖❖

من ستيفن فرانزوني. أرسلت: الاثنين ١٧ مارس ٢٠٠٣ إلى الكولونيل ريك توماس. الموضوع: تحويل: طلب بسيط.

حضرات السادة:

عادة لا نقبل الطلبات الشخصية ولكني أعتقد أن هذا الطلب يستحق. أقدر مساعدتك وأشكرك مقدمًا لأي عون يمكنك تقديمه.

ستيفن فرانزوني – مسئول الإنترنت في السنتكوم.

❖❖

من الميجور جيفري نايهارت. الثلاثاء ١٨ مارس ٢٠٠٣ إلى الميجور توماس جونسون. الموضوع: تحويل طلب بسيط.

طلبك أدناه. الابن مات في ١١ سبتمبر/ أيلول. يريد أن يعرف إذا كنا نستطيع وضع اسمه على قنبلة. ربما يستحق الأمر صورة ورسالة إلكترونية. أبلغني إذا كان ذلك في الإمكان.

❖❖

من الميجور توماس جونسون. أرسلت: الاثنين ١٧ مارس ٢٠٠٣ إلى الميجور جوزف بويهم. نسخة إلى: الميجور جيفري نايهارت والسارجنت وليام نابر والسارجنت شانين نونتافونج والسارجنت جون ديدومنكو. الموضوع: تحويل طلب بسيط.

جو. مسألة سهلة جدًا. ألا تعتقد ذلك؟ يمكن أن أطلب من احد الشباب التقاط صورة. أرجوك أعلمني عندما يتوفر لك الوقت. شكرًا.

❖❖

من الميجور جوزف بويهم: أرسلت الأربعاء ١٩ مارس ٢٠٠٣ إلى الميجور توماس جونسون. نسخة إلى: الميجور جيفري نايهارت والسارجنت وليام نابر والسارجنت شانين نونتافونج والسارجنت جون ديدومنكو. الموضوع: تحويل طلب بسيط.

ممكن.

الميجور جو بويهم.

❖❖

من جون ديدومنكو: أرسلت الجمعة ٢١ مارس ٢٠٠٣. إلى الميجور جوزف بويهم. الموضوع: ما يتعلق بطلب بسيط.

سيدي:

كنت أتساءل إن وصلتك الصور؟

السارجنت ديدومنكو.

❖❖

من الميجور جوزف بويهم: أرسلت الأربعاء ٢ أبريل/ نيسان ٢٠٠٣ إلى: السارجنت جون ديدومنكو والميجور توماس جونسون. الموضوع: ما يتعلق بطلب بسيط.

وصلتنا الأمس. أرجو أن تحوز الرضا. نعتذر للتأخير ولكن البزنس مزدهر. الأسلحة لا تبقى وقتًا كافيًا للكتابة عليها. للتاريخ: السلاح الذي كتب عليه هذا الإهداء يزن ٢٠٠٠ رطل. وهي قنبلة موجهة للهجوم المباشر المشترك (JDAM). إنها كبيرة وقبيحة ودائمًا فتاكة كما نحب أن تكون القنابل. وقد أسقطت في ليلة ١ أبريل/ نيسان ٢٠٠٣ على أهداف في شرق بغداد. على فرقة النداء في الحرس الجمهوري. وقد قامت بالمهمة وحدة المارينز (F/A-18D) المتمركزة في الكويت. كانت المهمة والسلاح ناجحين ١٠٠٪. أبلغني إذا كان هناك المزيد الذي يمكنني أن أفعله. هذا من دواعي شرفي وسروري. تحياتي.

الميجور جو بويهم.

ملاحظة المترجمة: الصورة المقصودة في المراسلات الأخيرة هي صورة الصاروخ أو القنبلة وعليها اسم المتوفي ترسل إلى الأب صاحب الطلب.

القَسَم العسكري الأمريكي: لن أقبل الهزيمة مطلقاً!!

بقلم: روبرت فيسك

٢٠٠٦/٩/١٦

المصدر: الإندبيندانت

في نفس الأسبوع الذي أخذ جورج بوش يتحدث عن رؤاه حول الحرب الدموية على ما يسمى الإرهاب والتي ستقود القرن الحادي والعشرين إلى "عصرالحرية الإنسانية المنير" كنت أقلب في رسائلي فوجدت رسالة مخيفة موجهة إليّ من محارب أمريكي قديم يخدم ابنه في العراق برتبة لفتنانت كولونيل.

وباختصار فإن صديقي الأمريكي يعتقد أن تغير العقيدة العسكرية في عهد إدارة بوش من عقيدة "الجندي soldier" إلى عقيدة "المحارب warrior " هي التي تشجع القوات الأمريكية على اقتراف الفظائع.

من أبي غريب إلى غوانتنامو إلى باغرام إلى ميادين القتال في العراق إلى السجون "السوداء" لوكالة المخابرات المركزية، أصبح الإذلال والضرب والاغتصاب والقتل شائعًا إلى درجة أن فضائح هذه الفظائع لا تجد إلا الصفحات الداخلية للصحف. أن دفاتر ملاحظاتي مليئة بشكوى الأفغان والعراقيين من التعذيب والضرب منذ أغسطس/ آب ٢٠٠٢ ثم منذ ٢٠٠٣ إلى الآن. وأظل أسأل نفسي: كيف حدث هذا؟ ومن الواضح أن تتبع الأثر يصل إلى القمة. ولكن متى بدأت عقيدة الوحشية هذه؟

إليكم "عقيدة الجندي" (القسم) في الجيش الأمريكي الرسمي وهي رسمت بدقة حتى تمنع أية فظاعات كالتي حدثت في فيتنام.

(أنا جندي أمريكي

أنا عضو في جيش الولايات المتحدة الأمريكية - حامي أعظم شعب على الأرض. لأني فخور بالزي الذي أرتديه سوف أتصرف دائمًا بالطريقة التي تشرفني في الخدمة العسكرية والشعب الذي أقسمت على حمايته.

لا يهم أي ظروف أكون فيها لن أفعل أي شيء سواء من أجل المتعة أو الربح أو السلامة الشخصية، مما قد يشين الزي والوحدة والوطن الذي أنتمي اليه.

سوف أستخدم كل الوسائل لدي، وحتى خارج الخدمة، لكبح رفاق الجيش من القيام بأفعال مشينة لهم وللزي.

أنا فخور ببلادي وبعلمي.

وسوف أحاول أن أجعل أهل بلادي فخورين بالخدمة التي أمثلها لأني جندي أمريكي)

والآن هذه هي النسخة الجديدة مما يسمى (أخلاق المحارب):

(أنا جندي أمريكي

أنا محارب وعضو في فريق وأخدم شعب الولايات المتحدة

وأعيش قيم الجيش.

سوف أضع دائمًا المهمة فوق الجميع.

لن أقبل الهزيمة مطلقًا.

ولن أهرب

ولن أترك رفيقًا سقط

انا منضبط وقوي بدنيًا وعقليًا ومدرب ومحترف في مهامي القتالية والتدريب. وأحافظ دائمًا على سلاحي ومعداتي ونفسي.

أنا خبير وأنا محترف. ومستعد للانتشار والاشتباك وتدمير عدو الولايات المتحدة في المعارك. أنا حارس الحرية والطريقة

الأمريكية للحياة.

أنا جندي أمريكي).

❖❖

مثل معظم الأوربيين والكثير جداً من الأمريكيين لم أكن أعلم على الإطلاق بهذا (القسم) العنيف للقوات المسلحة الأمريكية مع أنه ليس من الصعب أن نرى أنه يتسق تماماً مع هلوسات بوش. وأشعر بالرغبة في أن أتحدث بالتفصيل عن ذلك ولكن صديقي الأمريكي هو الذي فعل ذلك بفصاحة حتى إنني قررت أن يكون العرض بنفس كلماته.

كتب يقول: "عقيدة المحارب تسمح بعدم انهاء أي صراع الا بتدمير العدو تدميراً شاملا. فهو لا يسمح بالهزيمة ولا يسمح لأي شخص أبداً أن يوقف القتال (وهذا ما يفسر حديث بوش عن "الحرب الطويلة ") وهو لا يقول شيئاً حول تطبيق الأوامر أو إطاعة القوانين أو كبح الجماح. ولا يقول شيئاً عن الأفعال المشينة..".

كل يوم أصادف أمثلة جديدة على الوحشية الأمريكية في العراق وأفغانستان. على سبيل المثال الجندي توني ليجورانيس من فريق التحقيق المتحرك الأمريكي الذي يعمل مع المارينز الأمريكان والذي حاورته آمي جودمان من برنامج (الديمقراطية الأمريكية الآن) وقد وصف عملية في مدينة بابل العراقية عام ٢٠٠٤ "كل مداهمة تشترك فيها قوة ريكون كانوا يعودون بمعتقلين مرضوضين ومجروحين وعظامهم مكسورة وأحياناً أجسادهم محترقة. كانوا يعاملونهم بقسوة شديدة وكنت أسأل المعتقلين عما حدث وكيف أصيبوا وكانوا يخبرونني بأن هذا حدث لهم بعد إلقاء القبض عليهم وبعد إخضاعهم وتقييد أياديهم وحين كان يستجوبهم المارينز من هذه الفرقة. أحدهم أجبر على الجلوس على أنبوب عادم الهمفي وهكذا احترقت ساقاه من الخلف بحروق الدرجة الثالثة.

ليجورانيس الذي أعادت جودمان نشر قصته في كتابها الجديد (Static) أبلغ الحادثة لميجور في المارينز ولمحام برتبة كولونيل من مكتب قضائي عسكري أمريكي "ولكنهما لم يرغبا في الاستماع. أرادا أرقاما.. أرادا عدد الإرهابيين الذين قبض عليهم.. من أجل إبلاغ الجنرال بها".

وتزداد أخبار الوحشية كل أسبوع وأحيانًا كل يوم. في كندا طلب هارب من الجيش الأمريكي حق اللجوء وجندي آخر مازال في الخدمة شهد بأن القوات الأمركيية رأت أطفالا في شوارع الفلوجة فلم تتوقف المركبات خوفًا من الكمائن فقادوا مركباتهم فوق الأطفال بدون توقف. وهذا يحدث لأن عقيدتهم الجديدة تقول لهم (ضع المهمة فوق كل شيء) حين تذهب "لتدمير" وليس "هزيمة" عدوك.

وكما قال صديقي الأمريكي "إن الأفعال التي يرتكبها الجيش الأمريكي في السجون ومئات الفظاعات ضد المدنيين في العراق، ليست أفعالا فردية واستثنائية وإنما هي جزء مما يريد الجيش الأمريكي أن يكونه طبقًا للأخلاقيات العسكرية الجديدة. أعتقد أننا بحاجة إلى جيش يتكون من "جنود" وليس "محاربين".

وقد فهم ونستون تشرتشل الشرف العسكري "في الهزيمة، التحدي" كما نصح البريطانيين في الحرب العالمية الثانية "وفي النصر، الشهامة". ولكن لم يعد هذا هو السائد. فطبقًا لجورج بوش هذا الأسبوع "إن سلامة أمريكا تعتمد على نتيجة المعركة في شوارع بغداد!" لأننا مازلنا "في الساعات الأولى من هذه المعركة بين الطغيان والحرية".

وأفترض أننا في النهاية سوف نقود القرن الواحد والعشرين إلى العصر المنير للحرية الإنسانية في غياهب السجون "السوداء" تحت قبضات المارينز الأمريكان، وعلى أنابيب عادم الهمفيات. نحن المحاربون.. نحن الساموراي، نسحب سيفا وندمر.

المحتوى

المؤلفة

◆ **بثينة الناصري.**

- أديبة عراقية تكتب القصة منذ منتصف الستينات ونشرت اول مجموعة في بغداد عام ١٩٧٤
- في أواخر ١٩٧٩ هاجرت الى مصر واستقرت فيها منذ ذلك الحين.

◆ **من أعمالها القصصية:**

- **حدوة حصان** – نشرت في بغداد ١٩٧٤.
- **موت إله البحر** – نشرت في القاهرة ١٩٧٧.
- **فتى السردين المعلب** – نشرت في بغداد ١٩٩١.
- **وطن آخر** – نشرت في القاهرة ١٩٩٥.
- **الطريق إلى بغداد** – نشرت في القاهرة وبغداد في وقت واحد ١٩٩٨.
- **لماذا لا نذهب إلى البحر كثيرا ؟** - القاهرة ٢٠٠٨
- Final Night مختارات مترجمة الى الانجليزية صدرت عن دار نشر الجامعة الامريكية في القاهرة ٢٠٠١ وطبعة ثانية في ٢٠٠٨
- Notte Finale مختارات مترجمة الى الايطالية صدرت في ميلانو ٢٠٠٣.

◆ **تحت الطبع :**

مختارات من القصص، رواية

روايتان مترجمتان من الانجليزية من قبل بثينة الناصري

- ترجم العديد من قصصها إلى الانجليزية والفرنسية والالمانية والسويدية والنرويجية والاسبانية.
- مترجمة وكاتبة وباحثة ومديرة دار نشر لفترة وجيزة وإعلامية انترنيت، ومؤخرا صانعة افلام فيديو.

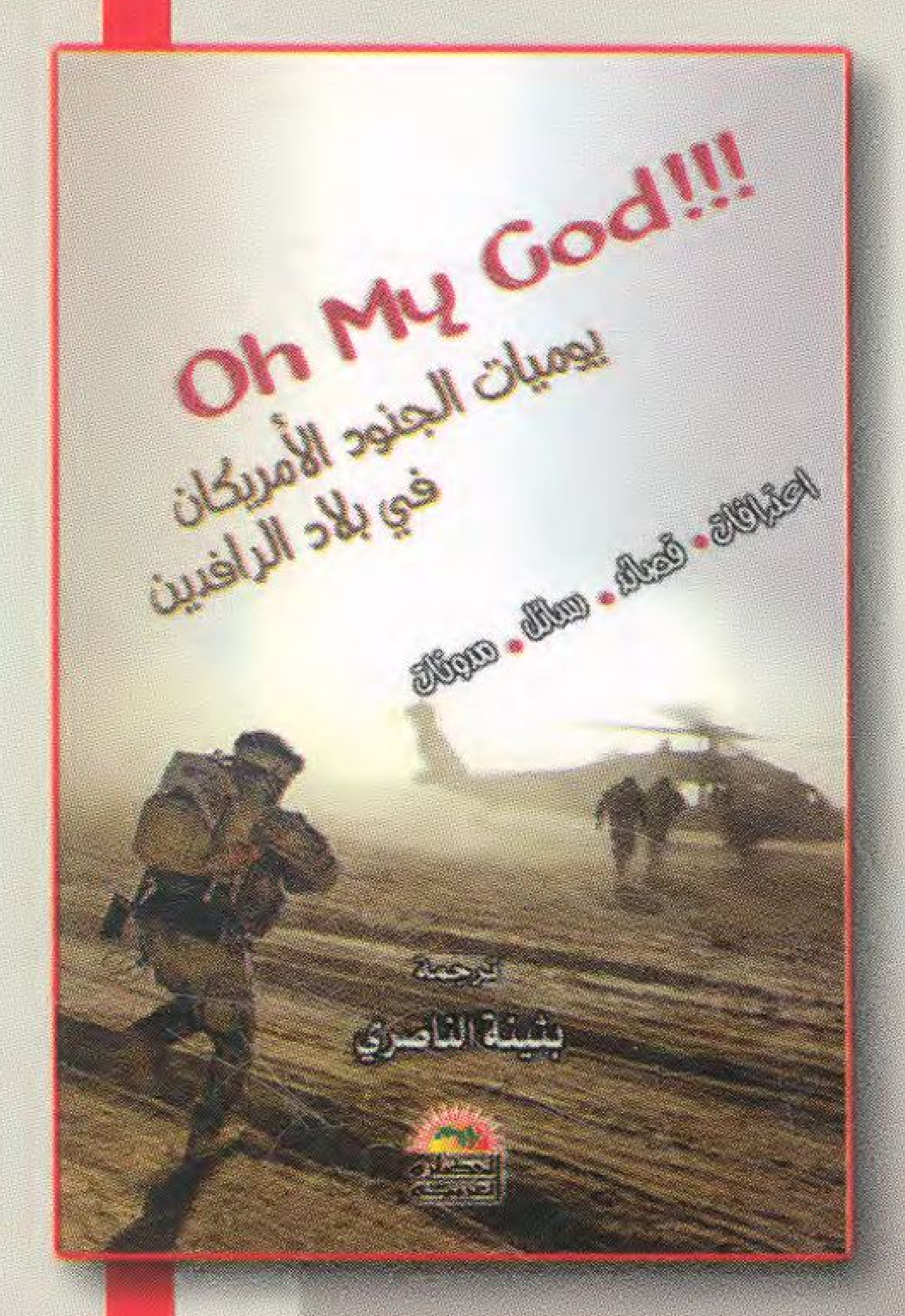
من قائمة الإصدارات

العرب وإسرائيل (ميزان القوى ومستقبل المواجهة)	د. محمد عبد الشفيع عيسى
حماس.. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
عروبة القدس بين الأوطان البديلة وطرق العودة	رمضان العباسى
شهداء القدس (الأوراق الساخنة)	شهاب نصار
اغتصاب الذاكرة (الاستراتيجية اليهودية لتهويد التاريخ)	إيهاب الحضرى
فلسطينيات	أمال عويضة
ومازال اغتيال القضية مستمرًا	حسنى أمين
نحن والغرب وإسرائيل	الطيب أديب
العقلية الماضوية والقرارات المسبوقة	محمد سعيد ريان
الصراع على الخليج وتوظيف الإسلام السياسى	محمد سعيد ريان
عندما يصفر التاريخ	محمد سعيد ريان
المبنى والمعرب فى دنيا السياسة	محمد سعيد ريان
المخططات اليهودية للسيطرة على العالم	أحمد أنور
أسفار العنف والمال	محمد عقيلة العمامى
التفكير الأسطورى فى الإسرائيليات	عبد الله سالم مليطان
أساطير الطوراة	عاطف عبد الغنى
السوق الشرق أوسطية	إكرام عبد الرحيم
السلام الفتاك (سلام أشد هولاً من الحروب)	محمد خليفة
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
المقاومة من العراق إلى الأمة	سميرة رجب
ما وراء الأدلة السرية	عاتى البركات
التربية السياسية فى أدب الأطفال	د. أسماء غريب بيومى
الهجرة وتهديد الأمن القومى العربى	د. عبد اللطيف محمود
أمريكا تضرب نفسها	محمود قاسم

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية؛ رواية.. قصة.. دراسات ونقد وكتب متنوعة: سياسية، قومية، دينية، معارف عامة، تراث، أطفال.

خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز



مشكلة الجندي الأمريكي وخسارته الروحية
هي في المفارقة التي يعيشها حين يكون "العدو"
شعبًا أعزل يعيش في قرى ومدن وقصبات على بعد
آلاف الأميال عن الشواطئ الأمريكية، ودون أن يكون
لهذا الشعب عداوة مع الشعب الأمريكي. كما أنه
يحارب جماعات من هذا الشعب لا يرتدون حتى
زيًّا خاصًّا فهم ليسوا جيشًا نظاميًّا وإنما هم رجال
يدافعون عن أرضهم، وهم بهذه الصفات لا يمكن
أن يزعم الجندي الأمريكي أنه استطاع "تدمير العدو"
كما تعهد في قسمه العسكري، لأنه حين يقتل واحدًا
ينبع له عشرة. ولا يمكن أن يزعم النصر، فهذا ليس
جيشًا نظاميًا سيرفع راية بيضاء ويدخل معه ف
مفاوضات هدنة بين منتصر ومهزوم. إنه يقاتل ج
أشباح، لا تختلف هيئاتهم عن الناس الذين ير
في الصباح، سمر الوجوه، ربما يبتسمون في و
ويمضون في سبيلهم. وفي الليل لا يعرف من
تأتي الضربات.

هذا هو المأزق الذي يعيشه رامبو في الع
ولهذا تكون يوميات الجنود وأفكارهم وخواط
واعترافاتهم، ورسائلهم ومدوناتهم، نافذة تطل
أرواحهم الضائعة في بلاد الرافدين وتكسر الأسطورة.

